المورد

حربنا .. انتصار أمة الجهاد

د. محمد البكاء

إدراك الابعاد الحقيقة للنصر مرهون بفضح أهداف العدوان ، ونياته الشريرة التي انطوى عليها ، لا فرق في ذلك بين العدوان الايراني الغاشم أو العدوان الاطلسي الغادر ، بعد أن أستُهدِفَ العراق التجربة الثورية (الانموذج) ، والثقل السياسي ، والعسكري الذي يصب لصالح أمتنا المجيدة ، وهي تخوض معركتها المصيرية مع عدوها التاريخي (الكيان الصهيوني) ، فضلاً عما مثله كلاهما من تحدٍ تاريخي ، ورهان على مستقبل الامة ، بعد ان كان العراق طليعتها المقاتلة ، وقاعدة نهوضها الثوري ، لذا جاء العدوان الاخير ، وما اعقبه من حصار جائر ، وتهديد لسلامة أمن العراق ، واستقلاله ، وسيادته حلقة متصلة بما سبقها من مسلسل التآمر الذي استهدف الامة ، ومركز الاشعاع فيها ، وثقلها الجهادي ، وهذا ما شهد به التاريخ من دور تخريبي مارسته ايران ومازالت تمارسه في التآمر على وحدة الامة ، وأمانيها القومية في مراحل تاريخية متعاقبة ، حفظتها كتب التاريخ ، فضلاً عن التوسع على حساب الحق العربي في الجناح الشرقي للامة ، أو التسلسل الى الداخل ، وممارسة الدور الشعوبي التخريبي ، والعمل على تشويه وتزييف كل ما هو ايجابي وخير .

واليوم ، ونحن نستذكر بدء العدوان الايراني الذي مرَّ على اندحاره أكثر من ثلاثة عشر عاماً ، كما اندحر مالحقه (العدوان الثلاثيني ـ الاطلسي) الذي جاء تتمة له ، وبصيغة أكثر شراسة بعدأن اخفقت (حرب النيابة) وافتضحت نواياها الشريرة .. ترى ، ما الابعاد الحقيقية التي انطوى عليها نصرنا التاريخي في (يوم الايام) الذي كان مقدمة لنصر (أم المعارك الخالدة) التاريخي وما أعقبه من تصاعد انتفاضة اهلنا في (فلسطين) العروبة ، والجهاد ، وما مثلته من رمز جهادي سيضاف الى ما حفل به تاريخ أمتنا المجيدة .

إن أهم أبعاد النّصر ، هو انتصار معنى القيادة التاريخية الذي مثله الرئيس القائد صدام حسين ، من خلال مسيرة النهوض التي شهدها العراق ، تحت قيادته الظافرة المقتدرة لكل مجريات (الحرب) ، وتفصيلاتها ليكون العراق بمستوى المجابهة التاريخية التي فرضت عليه ، وليقدم بالدليل الملموس : إن العراق كان وسيظل ـ كما كان شانه دائماً ـ قاعدة وثوب الامة ومهماز ، صحوتها القومية ، وجهادها المشروع لبناء مشروعها القومي النهضوي الحضاري ، وفي هذا تاكيد لانتصار معاني البناء المرتكز على قاعدة ايمان حقيقي بدور الانسان المؤمن المجاهد في تطوير الحياة وترسيخ قيمها ، ومثلها العليا .

لقد أثبت نصر العراق التاريخي صحة المنطلقات التي آمنت بها حركة الثورة العربية ، والتي أصبحت الامة بحضورها مهياة لان ياخذ نضالها القومي التحرري صيغة المشروع الحضاري الذي تعزز لاحقاً بنصر (ام المعارك الخالدة) وتنامي الفعل الجهادي في انتفاضة أهلنا بعد ان احتلت الامة موقعها الحقيقي (امة الرسالة الخالدة) ، ولولا ذلك ـ كما قال السيد الرئيس القائد ـ : « لانتصرت المادية التي يروج لها الغرب بقيادة اميركا في منطقة الشرق الاوسط ، وربما في أماكن أخرى امام حالة التدمير المرعبة التي تسببها الحالة المتخلفة القابعة حول صورتها المهترئة التي لبست لبوس الدين ، وجانباً من مظاهره ، ولا ندحر الايمان بعد ان تجفوه نفوس وعقول الناس الى حين ، ولكسبت الصهيونية ، واميركا المعركة من خلال لجوء الناس الى حماها تعلقاً بامل زائف للسلام والاستقرار » .

إن نصر العراق التاريخي بعد المنازلة المشرفة التي استمرت ثمانية اعوام في قادسية صدام المجيدة ، منذ ان بدأ النظام الايراني عدوانه ، الاثم ، وما أعقبه من نصر تاريخي آخر في « ام المعارك الخالدة » كان انتصاراً للارادة العربية ، والروح العربية ، والقيمة الحضارية التي ميزت امة العرب عبر تاريخها الطويل ، وبانها امة الجهاد التي لا تتنازل عن أداء رسالتها ، وسيادتها ، وكرامتها تحت أية ذريعة كانت .

المدارس النحوية

بين ايدي الدارسين

أ . د نعمة رحيم العزاوي
كلية التربية (ابن رشد)

المقدمة

موضوع (المدارس النحوية) من الموضوعات المهمة في تاريخ النحو العربي ، وقد تناوله القدامى ، ولكن ما أثر عنهم فيه لم يكن كافيا او شافياً ، ثم تناوله المستشرقون في اوائل هذا العصر ، فتلقفوا ما عثروا عليه من ملاحظات العرب القدماء ، وراحوايجتهدون في تفسيرها ، ومضوا ينفون ويثبتون من غير امانة علمية حينا ، ومن غير تمحيص او وعي حيناً اخر ، وجاء الدارسون المحدثون من العرب فوقفوا على ملاحظات القدماء وآراء المستشرقين بشان هذا الموضوع ، فتباينت اراؤهم فيه ، واحتدم بينهم جدل وخلاف ، فتوسع فريق منهم وزعم ان في النحو العربي خمس مدارس ، اي بعدد بيئات الدرس العلمي ، وأماكن ازدهاره ، ففي البصرة مدرسة ، وفي الكوفة ثانية وفي بغداد ثالثة وفي مصر والشام رابعة وفي الاندلس خامسة . واعتدل فريق اخر فاقام رأيه في مسيرة الدرس النحوي على اساس علمي ، قوامه فهم عميق لهذه المسيرة وادراك ناضج لمقولات القدماء وملاحظاتهم عنها ، فلم يصح لديه من هذه المدارس الا اثنتان هما البصرية والكوفية ، ولم يعتد بما اظهر الفريق الاول من تكلف في الرأي ، وابعاد في التفسير والتاويل ، لا يخفيان على الدارس اليقظ ، والباحث المتجرد . وتطرف نفر ثالث فزعم ان النحو العربي برمته هو علم واحد ، لم تتباين فيه مناهج الدارسين ، ولم تتعدد في ارساء قواعده سبل البحث ، فجميع النحاة عند هذا النفر سلكوا مهيما واحداً ، وتعاملوا مع كلام العرب بعقلية واحدة ، واذا كان ثمة خلاف بين النحاة فهو خلاف يسير ، يمس الفروع لا الاصول ، ويتناول الجزئيات لا الكليات .

ومما يلفت النظر حقاً ان هذه الاراء المتضاربة المتعارضة ، ما برحت تعرض على طلبة الجامعات كما هي ، من غير نقد لها او تمحيص لما هو حق وغير حق منها ، فيؤدي ذلك بهم الى فهم مضطرب لهذا الموضوع ، ويحول بينهم وبين استصفاء الرأي العلمي السديد .

وتحقيقاً لهذا الهدف كتبت هذا البحث ، وحاولت ان اصل بقارئه الى نتائج علمية موضوعية ، تستحق ان يفوز بها الباحث بعد ان يخوض عباب الاراء في هذا الموضوع ، الذي شاء بعض المستشرقين وبعض العرب المحدثين ان يغم أمره ، ويغيب وجه الحق فيه .

تمهـيد

الجهود الاولى في النحو

يكاد يجمع المؤرخون على ان بداية النحو العربي كانت على يدي ابي الاسود الدؤلي (ت ٦٩) وان هذه البداية كانت ترمي الى منع اللحن في قراءة القرآن ، وانها لم تتعد اول الامر نقط القرآن نقط شكل . جاء في الفهرست : ان الدؤلي قال لكاتبه : « اذا رأيتني فتحت فمي بالحرف فانقطه نقطة فوقه الى اعلاه ، وان ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف ، وان كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف »(١) .

وهذا يعني « ان عبارة (فتح) الفم و (كسره) و (ضمه) يسرت خلق مصطلحات ثلاثة ، وتلك المصطلحات الفتحة والكسرة والضمة ، ولعل الوصول الى هذه المصطلحات الثلاثة ان تكون بالنسبة لابي الاسود كشفاً هائلا يقف في بناء صرح النحو العربي موقف اكتشاف النار في تقدم الحياة الانسانية . ولعل الدليل القوي على ذلك ان النحو العربي بني كله على هذه الحركات ، لكونها اصبحت علامات الاعراب ، وآثار العوامل ، ومن الواضح ان النحو العربي بني على فكرة العامل ، وما كان لذلك ان يتم لولا الكشف عن الحركات الثلاث »(٢) .

وقد « حمل هذا الصنيع عن ابي الاسود تلاميذه من قراء

الذكر الحكيم ، في مقدمتهم نصر بن عاصم وعبد الرحمن هرمز ويحيى بن يعمر وعنبسة الفيل وميمون الاقرن ... وأضافوا الى ذلك عملًا جليلًا هو اتخاذ نقط جديدة للحروف المعجمة في المصاحف تمييزاً لها من الحروف المهملة . فقد ذكر الرواة ان الحجاج (ت ٩٥ هـ) امر نصر بن عاصم (ت ٨٩ هـ) او يحيى بن يعمر (١٢٩ هـ) باعجام حروف المصحف لتمييز الحروف بعضها من بعض »[٣]

فعن تلاميذ ابي الاسود المنوه بهم كان يؤخذ النقطان جميعاً : نقطا الاعراب والاعجام « وكان ذلك عملًا خطيراً حقا ، فقد احاطوا لفظ القرآن بسياج يمنع اللحن فيه »[٤]

وعلى الرغم من اهمية صنيع ابي الاسود وتلاميذه اننا لا نستطيع ان ننسب اليهم نشاطاً نظرياً معيناً على وجه التاكيد »[٥] . وقد اشار تمام حسان الى ان اداة النحو لم تكتمل « في ايدي الدؤلي واصحابه ، ولذا لم نسمع انهم طعنوا على اصحاب السليقة بواسطة تحكيم القواعد . ولم يتتبعوا شاعراً ولا ناثراً بالتغليط والتصويب ، وانما كان الطعن على العرب من نصيب احد خلفائهم من الموالي الفصحاء وهو عبد الله بن ابي اسحاق الحضرمي رئيس الجيل الذي تلا جيلهم »[٦]

ويبدو ان عبد الله بن ابي اسحاق الحضرمي (ت ١١٧ هـ) كما قال ابن سلام هو « اول من بعج النحو ومدّ القياس وشرح العلل » [٧] وذلك لان غاية الحضرمي « كانت الوصول الى انشاء الة نحوية لها من الاطراد والبعد عن التوسع والشذوذ ما يعصم الالسنة من الخطأ واللحن ، وبلغ من شغفه بالاطراد ، وحرصه عليه انه لم يكن يطيق ان يسمع كلاماً لا تصدق عليه قواعده التي توصل اليها ، لان كل مخالفة لهذه القواعد كانت في نظره تحديا لهذا الهيكل البنيوي البديع الذي اهتدى اليه »[٨] وآية ذلك ان مما وضعه الحضرمي من قواعد ان الخبر لا يكون جملة طلبية ، ولذا اختار قراءة النصب في قوله تعالى : (والسارق والسارقة اقطعوا ايديهما)[٩] على قراءة الرفع التي لا تتفق مع قاعدته المذكورة ، وذلك على رغم شيوع قراءة الرفع عند جمهور القراء ، وعلى رغم ان القراءة سنة متبعة لا تحكم عليها القاعدة[١٠] .

فالقرن الاول اذن « شهد ميلاد النحو ، وأن النحو منذ هذا القرن بدأ يحدد لنفسه منهجاً ، ويجرد اصولًا ، ويجند جنوداً متخصصين يفرقون بين طابع عملهم النحوي وطابع عمل اللغويين »[١١] يروى ان يونس بن حبيب اتجه الى متن اللغة ، فكان يسأل الحضرمي عن (السويق) وهل تلفظ (الصويق) فقال له الحضرمي : « نعم ، عمرو بن تميم تقولها . ثم قال له : وما تريد الى هذا ؟ عليك بباب من النحو يطرد وينقاس »[١٢] وهذه دعوة الى عدم الخلط بين (النحو) و (فقه اللغة) . والرواية تشير كذلك الى ان عناية الدارسين كانت تتجه الى متن اللغة كما « تتجه الى النحو ، اي ان العناية باختلاف لهجات القبائل واتخاذها ميداناً للدراسة قد بدأت مع بداية النحو »[١٣] .

يتضح مما تقدم ان اول نحوي حقيقي هو عبد الله ابن ابي اسحاق الحضرمي ، وان منهجه وأنظاره النحوية كان لها اثر بالغ في بعض تلاميذه البصريين ولا سيما عيسى بن عمر (ت ١٤٩ هـ) الذي « ورث عنه الطعن على العرب الفصحاء اعتداداً بما لديه من القواعد »[١٤] وان هذه السمة التي طبعت نحو الحضرمي كانت طابع النحو البصري ، كما سيأتي به البيان .

(١)
البصـــرة

ليس من وكدي في هذه الفقرة من البحث ان اؤرخ للنحو في البصرة ، او ان استقصي أعلامه في هذه المدينة ، وانما هدفي منها إبراز بضع حقائق ، تقتضيها طبيعة هذا البحث ، ويسوق اليها الغرض منه .

وأولها ان البصرة سبقت الكوفة الى تحمل عبء النحو ، وعملت على رفع قواعده واقامة صرحه . لقد بدأ في هذه المدينة وليداً تمثل في عمل ابي الاسود ومن خلفه من تلاميذه ، ثم انتهى الى عبد الله بن ابي اسحاق ، اذ اثرت عنه وعن تلاميذه أنظار وملاحظات ، ثم اصبح علماً مستوياً ، تام الاصول والقواعد في كتاب سيبويه[١٥] .

لقد افاد سيبويه ممن سبقه من العلماء ، واطلع على اعمالهم المدونة التي لم تصل الينا ، وآرائهم وملاحظاتهم التي بثوها في مجالس الدرس ، وتلقاها عنهم التلاميذ ومن هنا قيل : انه اجتمع على وضع كتاب سيبويه عدد من العلماء[١٦] . اي ان مادته وما انطوى عليه من اراء واقيسة واصول لم تكن لسيبويه وانما كانت لاساتذته ومن تقدمه ، وعلى رأسهم الخليل بن احمد ، الذي اكثر سيبويه من الرواية عنه ، وملأ كتابه بآرائه ومقولاته .

وقد اعترف القدماء بسبق البصرة الى النحو ، فنصوا على ذلك بعبارات ، منها قول ابن سلّام : « وكان لاهل البصرة في العربية قدمة ، وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية »[١٧] . وقول ابن النديم : « انما قدمنا البصريين اولا لان علم العربية عنهم أخذ »[١٨] ولا عبرة بما ذهب اليه بعض المستشرقين من ان هناك صلة بين نشوء النحو في البصرة والنحو السرياني واليوناني والهندي ، اذ لا يمكن اثبات شيء من ذلك علميا « وخاصة ان النحو العربي يدور حول نظرية العامل ، وهي لا توجد في اي نحو اجنبي »[١٩] وكل ما يمكن قوله ان نحاة البصرة الاولين ربما عرفوا « ان لبعض اللغات الاجنبية نحواً ، فحاولوا ان يضعوا نحواً

للعربية ، راجعين في ذلك الى ملكاتهم العقلية التي رقيت بعيداً بتأثير ما وقفوا عليه من الثقافات الاجنبية ، وخاصة الفلسفة اليونانية وما يتصل بها من المنطق مما دعم عقولهم دعما قوياً ، وجعلها مستعدة لان تستنبط النحو وعلله واقيسته »(٢٠)

وثاني الحقائق ان مرحلة صياغة القواعد ، مدونة كانت او غير مدونة ، كانت ثمرة لمرحلة سبقتها ، وهي مرحلة مراقبة اللغة واستعمالاتها والانتشار في البوادي او الرحلة اليها لسماع اللغة من اهلها ، والوقوف عليها وهي نشاط حي يتبادله الناس او يروونه ويتذاكرونه ، منحدرا اليهم عن اسلافهم ، شعراً او نثراً ، وقد حرص وضاع القواعد وصُوّاغها البصريون الاوائل على ان تطرد وتسلم من التعارض والتصادم ، فاداهم ذلك الى ان يطرحوا الشاذ ولا يعولوا عليه ، وكلما وقفوا على شيء منه اولوه او خطأوه ، كما حملهم على ان يقتصروا في جمع اللغة على القبائل خاصة ، قطنت اعماق نجد ، وعاشت في سرّة الجزيره ، لم تفسدها انحضارة ، ولم يطرق ديارها واغل او غريب . وأما هذه القبائل فهي تميم وقيس واسد وطيّء وهذيل وبعض كنانة(٢١)

ولم يحرصوا على الاطراد والشمول في وضع القواعد ، وعلى نقاء المسموع حسب ، وانما توسعوا في التعليل ، فطلبوا لكل قاعدة علة ، بل لم تكفهم العلل الظاهرة ، وانما التمسوا عللا وراءها(٢٢) فالتشدد في السماع ، والاطراد في القواعد ، والاهتمام بالتعليل ، كانت الطوابع البارزة التي ظهرت في نحو البصرة .

وثالث هذه الحقائق ، وقد مر جانب منها عند الكلام على الحقيقة الاولى ، ان بيئة البصرة كانت بيئة عقلية اتيح لاهلها بحكم كونها ثغراً ، او مرفا تجاريا ان يتصلوا بغيرهم من حملة الثقافات الاجنبية ، فنجم عن ذلك ان مال اهل البصرة الى التفلسف ، واعمال العقل في فهم ظواهر اللغة ، وتفسير حقائقها(٢٣)

والحقيقة الرابعة والاخيرة هي ان نحو البصرة ـ كما تقدم ـ يمكن ان يكون (مذهباً) خاصا في تاريخ النحو ، او يمكن ان يكون (مدرسة) لها خصائصها البارزة ، وسماتها الواضحة التي اشرنا اليها . وقد اعترف بهذه الحقيقية القدماء واكثر المحدثين ،

فاما القدماء فاثنان منهم قد ذكروا كلمة (مذهب) صراحة ، مقرونة بالبصريين مرة ، وبالكوفيين مرة اخرى ، الاول ابو بكر الزبيدي (٣٧٩ هـ) الذي قال عن ابي موسى الحامض : « كان بارعا في اللغة والنحو على مذهب الكوفيين »(٢٤) وقال عن ابن كيسان : « وكان بصرياً كوفيا يحفظ القولين ، ويعرف المذهبين ، وكان اخذ عن ثعلب والمبرد ، وكان ميلهُ الى مذهب البصريين اكثر ... وكان ابو بكر بن الانباري شديد التعصب على ابن كيسان والتنقص له ، وكان يقول : خلط فلم يضبط مذهب الكوفيين ولا مذهب البصريين »(٢٥)

والثاني ابن النديم الذي استعمل كلمة (منهب) ايضاً ، مشيراً الى البصريين والكوفيين ، فقال في ترجمة ابن قتيبة : « انه خلط المذهبين »(٢٦)

ولكن الزبيدي وابن النديم وغيرهما من اصحاب التراجم ، لم يجمعوا كل فريق من النحاة تحت اسم (منهب) ، وانما عرضوا للنحاة بحسب مواطنهم ، وجمعوا نحاة كل بلدة او اقليم على حدة ، فالنحاة في كتبهم (بصريون) و (كوفيون) و (اهل بغداد) و (مصريون) و (اندلسيون) و (من اهل قرطبة) و (من اهل دمشق)(٢٧) ومما يؤيد اعتراف القدماء بالمذهب البصري والكوفي ، انهم ذكروا حقائق كل منهما فيما وصل الينا من مطولات نحوية ، وفيما دعاه كتابا (الإنصاف) للانباري و (التبيين) للعكبري .

واما المحدثون فقد ايد كثير منهم وجود (مدرسة بصرية) و (مدرسة كوفية) وكان بروكلمان اول من استعمل كلمة (مدرسة) فقال : « وقد قسم علماء العربية مذاهب النحاة الى (كذا) ثلاث مدارس : البصريون والكوفيون ومن مزجوا المنهبين من علماء بغداد »(٢٨) . وتبع في ذلك جوتولد فايل الذي سماهما (المدرسة البصرية) و (المدرسة الكوفية) وان كان لكل منهما موقف سياتي بيانه . وتتابع الدارسون العرب على استعمال (المدرسة البصرية) و(المدرسة الكوفية) ، ومنهم مهدي مخزومي الذي الف كتاباً سماه (مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو) وقال انها تقف ازاء المدرسة البصرية ، اي انه قال بوجود مدرستين « بصرية ... وكوفية »(٢٩) وشوقي ضيف الذي الف (المدارس النحوية) وجعل منها (المدرسة البصرية) و (المدرسة الكوفية) وعبد الرحمن السيد الذي الف كتابا سماه (مدرسة البصرة النحوية) وخديجة الحديثي التي الفت كتبا عنوانه (المدارس النحوية وجعلت منها (المدرسة البصرية) او (المدرسة الكوفية) ، وعبده الراجحي الذي الف (دروس في المذاهب النحوية) جعل منها (المذهب البصري) و (المذهب الكوفي) ، وهذا يعني انه اثر كلمة (مذهب) .

واما دلالة كلمة (مدرسة) فقد حددها بعض هؤلاء الدارسين فقال فايل « الاشتراك في وجهة النظر الذي يؤلف الجبهة العلمية ، ويربط العلماء بعضهم ببعض على رأي واحد » (٣٠) وقال المخزومي في كلامه على الكسائي : « ان الكسائي بمنهجه واساليب دراسته مدرسة لها خصائصها ومميزاتها ، فليست المدرسة الا استاذا مؤثراً وتلاميذ متاثرين ، وقد اجتمعوا على تحقيق غرض واحد ، ونهجوا للوصول اليه منهجاً واحداً » (٣١) والى مثل ذلك ذهب احمد مكي الانصاري

الذي قال : « ان المدرسة « اتجاه له خصائص مميزة ينادي بها فرد او جماعة من الناس ثم يعتنقها آخرون »(٣٢) .

ويبدو ان كلمة (مدرسة) الحديثة تطابق كلمة (مذهب) التي قابلتنا عند بعض القدماء والمحدثين ، فالمذاهب في اللغة « المعتقد الذي يُذهب اليه والطريقة والاصل »(٣٣) .

نخلص من ذلك الى ان (المذهب البصري) او (المدرسة البصرية) امر اعترف به القدماء واكثر المحدثين ، لان نفراً من هؤلاء مالوا الى نفي سمة (المدرسية) عن نحو البصرة نفسه ، وانكروا وجود مدارس في النحو العربي ، وسياتي بيان ذلك .

اما (المدرسة الكوفية) فقد اتضح مما تقدم من اراء القدماء وبعض المحدثين انها قائمة في تاريخ النحو ، وسنعرض في الفقرة الاتية من هذا البحث لمن ينكرها ، وينفي وجودها .

(٢)
الكوفــة

على حين كانت البصرة منصرفة الى وضع النحو ، وارساء قواعده واصوله ، كانت الكوفة منذ تاسيسها « في شغل عن ذلك » بالفقه ووضع مقاييسه وأصوله وفتاواه وبالقراءات ورواياتها رواية دقيقة ، مما جعلها تحظى بمذهب فقهي هو مذهب ابي حنيفة ، وبثلاثة من القراء السبعة الذين شاعت قراءتهم في العالم العربي ، وهم عاصم وحمزة والكسائي ، وعنيت بجانب ذلك عناية واسعة برواية الاشعار القديمة وصنعة دواوين الشعر »(٣٤) .

وكان الاتصال بين الحاضرتين ميسوراً ، وكان انتقال العلماء من هذه الى تلك وبالعكس امراً معروفاً ، ولذا « ليس غريباً ان تنتقل الدراسة النحوية من البصرة الى الكوفة ، إما مع الذين شدوا الرحال من الكوفة الى البصرة طلباً للعلم ، ثم رجعوا الى الكوفة ، وإما مع الذين هاجروا من البصرة ليتخذوا من الكوفة دار إقامة »(٣٥) .

ومعنى ذلك ان الكوفيين كانوا الى عهد الخليل يتلقون النحو عن البصرة ، وسيأخذونه عن علمائها ، من غير ان يكون لهم رأي فيما يأخذونه ، واكبر الظن ان الخلاف والتنافس بين نحاة المدينتين « انما ظهر في عهد الكسائي وسيبويه بعد وفاة الخليل(٣٦) » .

ويختلف المؤرخون فيمن بدأت على يديه الدراسة النحوية في الكوفة ، فالقدماء يرون ان ابا جعفر الرؤاسي كان مؤسس النحو في الكوفة ، وان معاذا الهراء كان مؤسس الصرف فيها(٣٧) ، والى مثل ذلك ذهب عبد العال مكرم(٣٨) . واما المخزومي فينفي ذلك ويقول : « فلا معاذ الهراء ولا ابو جعفر الرؤاسي ممن نضعهم في طبقة المؤسسين ، ولم نسمع احداً من الكوفيين تخرج بهما ، واكتفى بما تلقاه عنهما ، وعرف بنحو خاص استمده منهما »(٣٩) . والى مثل هذا ذهب شوقي ضيف(٤٠) .

والمؤسس الحقيقي للنحو في الكوفة انما هو الكسائي وتلميذه الفراء « فهما اللذان رسما صورة هذا النحو ، ووضعا اسسه واصوله ، وأعدّاه بحذقهما وفطنتهما لتكون له خواصه التي يستقل بها عن النحو البصري ، مرتبين لمقدماته ، ومدققين في قواعده ، ومتخذين له الاسباب التي ترفع بنيانه »(٤١) .

بل ان بروكلمان حين عرض لنشاة النحو في الكوفة والبصرة ، وبعد ان ذكر الخليل وسيبويه قال : « وكان ينافس سيبويه في علم النحو احد قراء القرآن السبعة الكسائي ، الذي سبق له ان علم الرشيد نفسه ، ثم عهد له الرشيد تاديب ولده الامين »(٤٢) . ولم يشر الى نحاة قبل الكسائي . وهذا يعني ان نحاة البلدين « انما استمدوا النحو من البصرة ومن علم الخليل المتمثل في كتاب سيبويه خاصة »(٤٣) . فالكسائي والفراء كلاهما تخرجا بنحو الخليل ، قبل ان يكون لهما نحوهما الخاص ، كما سياتي بيانه ، اما الكسائي فقد صحب الخليل وتلمذ له وحضر مجلس يونس بعد وفاة الخليل(٤٤) » ، ثم « درس الكتاب على ابي الحسن سعيد بن مسعدة الاخفش بعد ذهاب الاخفش الى بغداد ، واتصاله بالكسائي »(٤٥) . وأما الفراء « فقد درس الكتاب ايضاً حتى لقد وجد بعضه تحت وسادته التي كان يجلس عليها »(٤٦) وحضر مجلس يونس بن حبيب .(٤٧)

وقد اجمع القدماء على ان نحو الكوفيين يشكل مذهبا مستقلا ، او كما نقل بلغة العصر مدرسة مستقلة ، سواء منهم اصحاب التراجم والطبقات مثل ابن النديم في كتابه (الفهرست) والزبيدي في طبقاته ، او اصحاب المطولات النحوية الذين نراهم دائما يعرضون في المسائل المختلفة وجهتي النظر المتقابلتين في المدرستين الكوفية والبصرية ، وقد افرد ابو البركات الانباري مجلداً ضخماً عرض فيه الخلاف بين البصريين والكوفيين) . وفي موسوعات النحو مسائل خلافية كثيرة غير ما ذكر في هذين الكتابين .

واهم ما يميز المذهب الكوفي او المدرسة الكوفية ثلاثة امور :

١ - توسع الكوفيين في الرواية « بحيث لا يتشددون في الفصاحة ، كما تشدد البصريون ، وانما ياخذون اللغة من قبائل نزحت من البادية واستقرت ... حتى اخذوا عن الغاف من اعراب الحواضر ، ومع ان الكسائي رحل الى البادية اقتداء بالخليل فاستنفد خمس عشرة قنينة حبر في الكتابة عن الاعراب ، وحفظ غير ذلك ، نجده يستعين باعراب الحطمية الواقفين بباب الرشيد لينصروه على سيبويه في المناظرة المشهورة »(٤٨)

٢ - توسع الكوفيين في القياس « فاذا كان شرط صحة القياس

عند البصريين الكثرة فان ذلك امر لا يحرص عليه الكوفيون »[٤٩] .

فقد كان ابو عمرو بن العلاء « يعتد بالكثير ويسمي القليل لغات ثم لا يقيس عليه ، وانما يدخله تحت العبارة المشهورة يحفظ ولا يقاس عليه ، وكان تمسك البصريين بهذا الموقف رغبة منهم في الوصول بالنحو الى مرتبة الصناعة والعلم المضبوط ، اما الكوفيون فقد كان لهم موقف اخر ربما رموا به كذلك الى غاية نبيلة تتناسب مع الطابع النقلي الغالب على افكارهم ، فلربما قصد الكوفيون باعتدادهم بالقليل الا يهدروا نصا اعتبروه فصيحاً »[٥٠] والملاحظ انهم لم يربطوا الفصاحة بالجغرافية ، وانما اخذوا عمن نزح من اعراب البادية الى الحواضر ، وعدوا كلامهم فصيحاً يقاس عليه[٥١] .

٣ ـ استقلال الكوفيين بعدد من المصطلحات غير التي استعملها البصريون ، وترددت في كتبهم ، ومما استعمله الكوفيون (الخلاف) وهو عامل نصب الخبر في (زيد امامك) و (الصرف) وهو عامل ينصب المفعول معه في مثل (جاء زيد وطلوعَ الشمس) و (التقريب) في مثل (هذا زيد قائما) فـ (هذا) في هذا الموضع من اخوات (كان) و (الفعل الدائم) وهو اسم الفاعل عند البصريين ، و (المكنيّ) و (الكناية) وهو الضمير عند البصريين ، و (الصفة) او (المحل) لما يسمى (الظرف) عند البصريين ، و (العماد) مما يدل على ضمير الفصل عند البصريين ، و (التفسير) لما يسمى التمييز عند البصريين و (النعت) وهو الصفة و (لا) التبرئة في (لا) النافية للجنس و (الجحد) وهو النفي و (ما يجري وما لايجري) وهو الممنوع من الصرف و (لام القسم) وهو لام الابتداء عند البصريين وابدال مصطلحات كل من القاب الاعراب والبناء بالاخر[٥٢] .

ويجب التنبه الى ان الخلاف حول مسائل معينة من النحو « لا ينهض مبرراً لدعوى وجود مدرستين نحويتين ، لان البصريين فيما بينهم يختلفون حول المسألة الواحدة تأويلاً وتخريجا ولكن الاصول واحدة ، ومن ثم يكون مجرد الخلاف حول المسائل بين البصريين والكوفيين ابعد ما يكون عن الدلالة على اختلاف المدرستين وقد كانت عناية كتب الخلاف تنصب في العادة على مسائل الخلاف دون الخلاف حول الاصول ، ولهذا لا يمكن للباحث عن الاسس التي قامت عليها المدرستان ان يلتمسها في الخلاف حول المسائل ، ولكن كتب الخلاف نفسها جاءت دون قصد وتعمد بالكثير من الاصول التي اختلف البلدان حولهما في معرض نقاش الخلاف حول المسائل »[٥٣] .

وينبغي كذلك « ان يستقر في الاذهان ان المدرسة الكوفية لا تباين المدرسة البصرية في الاركان العامة للنحو ، فقد بنت نحوها على ما احكمته البصرة من تلك الاركان التي ظلت الى اليوم راسخة في النحو العربي ، غير انها مع اعتمادها لتلك الاركان استطاعت ان تشق لنفسها مذهباً نحوياً جديداً ، له طوابعه وله اسسه ومبادئه »[٥٤] .

وتأثر كلتا المدرستين بالاخرى امر لا ينفي وجود المتأثر ، فقد تقدم ان الكسائي تلمذ للخيل وقرأ كتاب سيبويه على الاخفش ، وان الفراء قد رحل الى البصرة واختلف الى مجلس يونس بن حبيب وأكب على كتاب سيبويه يقرؤه ويدرسه ، وفعل ذلك جميع ائمة الكوفة من بعده[٥٥] .

واذا كان القدماء قد اقروا المذهب الكوفي او المدرسة الكوفية ، كما تقدم ، فان المحدثين تباينوا في هذا الموضوع ، فاعترف فريق منهم بالمدرسة الكوفية ، وانكرها اخرون .

فمن المحدثين الذين رأوا وجود مذهب كوفي يقابل المذهب البصري احمد امين في كتابه (ضحى الاسلام) تحدث عن المذهبين بطريقة المؤمن الواثق بوجودهما فقال : « ان البصريين كانوا اكثر حرية واقوى عقلًا ، وان طريقتهم اكثر تنظيماً وأقوى سلطاناً على اللغة ، وان الكوفيين اقل حرية واشد احتراماً لما ورد عن العرب ولو موضوعاً ، فالبصريون يريدون ان ينشئوا لغة يسودها النظام والمنطق ، ويميتوا كل اساليب الفوضى من رواية ضعيفة او قول لا يتمشى مع المنطق والكوفيون يريدون ان يضعوا قواعد للموجود حتى الشاذ من غير ان يهملوا شيئاً »[٥٦] .

وامين الخولي وقد كان من مؤيدي المدرسة الكوفية اذ قال[٥٧] : « واما في البيئة النحوية نفسها فهذا الكسائي حين سئل عن اختلاف احوال (اي) وتعليله ، اجاب بقوله : اي كذا خلقت ، ومعنى هذا في وضوح ان تلك الظواهر تنقل ولا تمنطق ولا تفسر بعمل عقلي ، وهو الاساس السليم للمنهج اللغوي ... والكسائي الكوفي باجابته هذه يذكرنا بمدرسة قومه في النحو وما تميل اليه من التتبع اللغوي وعدم التأويلات البعيدة والامعان المنطقي الذي جنحت اليه مدرسة البصرة »

وطه الراوي الذي ايد وجود المدرستين كذلك ، وفاضل بينهما منتهياً الى ان « مذهب البصريين اضبط قياساً ، واتقن رواية ، ومذهب الكوفيين اكثر تشعباً ، واوسع رواية ، وانت ترى ان البصريين في تشددهم وتحكيم قوانينهم ضيقوا على العربية واسعا في كثير من المواطن التي تتطلب السعة ، حتى لقد ضاق النحو الذي قدروه بمقاييسهم عن ان يسع نفسه ، وهو في ريعان شبابه ، ونعومة اهابه ، فوقعوا في تلحين خاصتهم ، وكبار أئمتهم »[٥٨] .

وسعيد الافغاني الذي اعلى من شان المدرسة البصرية فقال : « لعلك ما سبق موقن معي إن السماعيين هم البصريون

لا الكوفيون ، فمن احترام السماع صيانته وحفظه من كل موضوع ، ومن احترامه تحري حال المسموع منه فلا يدس فيه كلام الذين فسدت لغتهم من اعراب الحطمية واشياخ قطر بل ، ومن احترامه ألانساوي بين القليل والنادر والاكثر الشائع ، فتغمط حق هذا الاخير ، وأن حشرنا فيه الضعيف والشاذ والخطأ مما يقع فيه اعراب السواد والشعر المصنوع مما دسه حماد وخلف الكوفيان خفر لذمة ونقض لعهد . الحق ان البصريين عنوا بالسماع فحرروه وضبطوه واحترموه ، على حين زيفه الكوفيون وبلبلوه »[٥٩] وقال « أميل اذن الى ان المذهب الكوفي لا هو مذهب سماع صحيح ، ولا مذهب قياس منظم »[٦٠]

وعبده الراجحي الذي جنح الى المدرسة الكوفية فقال[٦١] : « والحق ان الدراسة الموضوعية لكلتا المدرستين تبين ان كثيراً من المسائل التي ذهب اليها الكوفيون اقرب الى الواقع اللغوي ، والى المنهج النحوي الصحيح من تلك التي ذهب اليها البصريون .

وتمام حسان الذي ذهب الى انه « يمكن القول بين نحاتنا القدماء كانوا يكونون مدرستين في النحو العربي »[٦٢] وعلى الرغم من عرضه اسس كلتا المدرستين والاصول التي قامت عليها دون انحياز الى احداهما ، بدا عليه احياناً انه يميل الى الكوفيين ، من ذلك قوله : « اما النحو فقد كان دون شك بضاعة البصريين في المقام الاول ، وعلى رغم ما يصيبه الكوفيون من توفيق في بعض انظارهم ، وما يحققونه من تفوق على البصريين »[٦٣]

وكنا قد اشرنا الى مهدي المخزومي الذي ايد وجود المدرسة الكوفية ، ونضيف هنا انه مال اليها ، فقال فيما قاله : « واذا ابعمنا النظر رأينا ان النحو الكوفي اقرب الى روح الدراسة اللغوية من النحو البصري ، وابعد عن الاخذ باسباب المنطق ، وان الكوفيين كانوا اجدى على العربية من البصريين بالرغم من سبق هؤلاء الى تناولهم البحوث اللغوية ، وابداعهم في جوانب منها[٦٤] » . وقال : « ولا يثنينا عن رأينا في التعلق وروايتهم اتقن ، فاننا لا نؤمن بالمقاييس العقلية تقاس بها الدراسة النحوية ، فليست اللغة نشاطا عقليا يضبطه العقل المنطقي ، وليست الظواهر اللغوية مما يفسر بعمل عقلي ، كما كان شان البصريين في تعليلاتهم وتفسيراتهم ، فان الدرس الحديث يقتضي الدارس واجبات أيسرها وأقربها التخلي التام عن التعليل النحوي في اي لون من الوانه النظرية »[٦٥] .

كما اشرنا الى شوقي ضيف ، ونزيد هنا انه ايد وجود المدرستين ثم فضل المدرسة البصرية ، متذرعا بما تذرع به احمد امين في تفضله المدرسة المذكورة[٦٦] .

وأشرنا الى خديجة الحديثي التي ايدت وجود المدرستين البصرية والكوفية ، ووصفت نحاة البصرة بانهم اقاموا النحو « على اصول سليمة ، وعلى مادة فصيحة ، اقرب ما تكون الى لغة الكتاب العزيز ، ولغة القبائل التي عُدت لغتها قمة الفصاحة والنقاء ، واتبعوا في سبيل ذلك منهجا قنعوا بسلامته وجودته ، بعد طول التتبع والمباحثة والمناقشة في مجالسهم »[٦٧]

ومن المستشرقين يوهان فك الذي قال : « كان لعلماء البصرة مذاهب معتمدة في القياس النحوي تختلف عن مذهب الكوفيين ، كما سلك كل من القبيلين في تفسير الظواهر طريقا خاصا »[٦٨] وهو بذلك يشير الى « اعتماد الكوفيين على المسموع وتعديل اصولهم وقواعدهم تبعا له ، مهما كان من القلة والندرة والى القياس في مذهب البصريين وقبولهم الاغلب من المسموع ، وتاويلهم ما لا يساير اصولهم ، او وصفه بالشذوذ .»[٦٩]

واوليري الذي قال : « المدرسة البصرية تنقد المسموعات ، وتطرح منها ما لا يتفق مع قواعدها الموضوعة ، فيما تتقبل المدرسة الكوفية جميع المسموعات التي تكون مجموعة لا باس بها من المواد . ويبدو من النظرة الاولى ان المنهج البصري افضل . ولكنه يجب ان يلاحظ ان هذا المنهج - يعني منهج البصريين - يقتضي ان توضع الامثلة لتتفق مع الاصول المرسومة ، بينما نجد النحاة الكوفيين يحورون اصولهم لتلتقي مع المسموعات »[٧٠]

واما الذين لم يطمئنوا الى ما ذهب اليه القدماء واكثر المحدثين من وجود مذهب كوفي مكتمل ، ونظروا الى هذا الموضوع نظرة الريبة والشك ، فقد ذكر المخزومي بعضهم فقال : « فالذي اعلمه ان اول من شك في وجود مذهب مكتمل للكوفيين هو (جو تولد فايل ، ثم حاكاه في رأيه المترجم لثعلب من الكوفيين في دائرة المعارف الاسلامية ، وبروكلمان كما يشير اليه كلامه في كتابه (تاريخ الشعوب الاسلامية)[٧١] » . واضيف الى هؤلاء باحثين آخرين هم ابراهيم السامرائي وعلي ابو المكارم وحلمي خليل . وساخص كلا منهم بوقفة اعرض فيها رأيه .

اما فايل الذي حقق كتاب (الانصاف) للانباري وكتب مقدمة له بالالمانية ، ونشره عام ١٩١٣ فقد قال : « ومع عظيم الإجلال لمناقبهم - يعني الكوفيين - في غير ذلك من النواحي ، فانهم لم يؤسسوا مدرسة نحوية خاصة »[٧٢] .

وقد عزا رأي المخزومي رأي فايل هذا الى ان صاحبه « لم يقف على مصنفات الكوفيين فلم يلم بآراء الكوفيين ، وأعلامهم التي يستطيع الدارس ان يرسم للمذهب الكوفي بها صورة واضحة الخطوط والملامح »[٧٣] .

ومعنى هذا ان (فايل) لم يطلع على كتاب (الحدود)

و (معاني القرآن) للفراء ولم يقف على (مجالس ثعلب) لانها كانت يومئذ من المخطوطات التي يحجم الدارسون عن الاطلاع بتحقيقها ونشرها . ومن هنا رأى فايل ان « علم النحو برمته بصري[٧٤] » وان يونس بن حبيب البصري كان صاحب التاثير الموجه في كلا الكوفيين : الكسائي والفراء ، وقد كان ليونس « قياس خاص في النحو ومذاهب تفرد بها ، وخالف فيها الخليل وخالفه فيها سيبويه[٧٥] » وقد بنى (فايل) رأيه هذا على :

(١) ان اسم يونس قرن باسم الكوفيين في بضع مسائل ذكرها الانباري .

(٢) ما ذكره اصحاب الطبقات من ان الكسائي والفراء كانا قد سمعا منه ، واخذا عنه ، وان الفراء خاصة استكثر عنه .

غير ان المخزومي نقض هاتين الحجتين ، فاما رده الاول فجاء فيه « فاذا كان يونس اثر فيهما في بضع مسائل فمن ترى صاحب التاثير فيهما من سائر المسائل التي خالفا فيها يونس والبصريين »[٧٦] واما الحجة الثانية فقد نقضها المخزومي قائلا : « واما ان الكسائي والفراء قد سمعا منه كما يقول اصحاب الطبقات فلا يدعم زعمه ايضاً ، لان اتصال الكسائي والفراء بيونس لم يكن من قبيل اتصال التلميذ باستاذه ، ولم يصح ان يكون الكسائي اخذ عنه »[٧٧] .

لقد اشارت المصادر الى ان الكسائي حين رجع من رحلته في البادية ، وجد الخليل قد مات ، وتصدر يونس في مجلسه ، فجلس الكسائي الى يونس « فجرت بينهما مسائل اقر له يونس بها وصدره في موضعه »[٧٨] .

واما اتصال الفراء بيونس فقد قال المخزومي عنه : « لا احسبه الا اتصال دارس طلعة ، يعني بان يلم باطراف الدرس ، وان يقف على الاراء المختلفة ، ولا اعلم ان الفراء كان قد انقطع الى يونس والى البصرة انقطاعاً ، اخذ في اثنائه عنه ، او تلمذ له ، او تاثر به ، ولعل اتصاله به كان عابراً »[٧٩] وقال المخزومي : « الحق ان الدارس ربما وقف على بضع روايات للفراء عن يونس ولكنها روايات لا تتعلق بالنحو ، ولا احسبني وقفت على حكاية للفراء عن يونس تتعلق بموضوع من موضوعات النحو »[٨٠]

وذكر شوقي ضيف حجة ثالثة لفايل في انكاره المدرسة الكوفية هي « كثرة الخلافات بين ائمتها على نحو ما سيلقانا بين الكسائي وتلميذه الفراء ، وكانها لا تؤلف جبهة علمية موحدة »[٨١] وقد رد ضيف هذه الحجة قائلاً : « هو دليل منقوض ، فقد كان نحاة الكوفة يكونون جبهة طالما تناظر افرادها مع افراد جبهة البصرة ، واكثر ابن جني وغيره من ذكر ارائها ، بل لقد افرد لها العلماء المصنفات على نحو ما مر بنا آنفاً عند ابي البركات الانباري في كتاب (الانصاف)[٨٢] » ثم قال : « اما مخالفة الفراء لاستاذه الكسائي في بعض المسائل « فهذا من حقه ، على نحو ما خالف سيبويه استاذه الخليل ، وعلى نحو ما خالفهما معاً تلميذهما الاخفش في كثير من المسائل ، وهم جميعاً ائمة المدرسة البصرية .[٨٣] »

ويبدو ان فايل لم يسلم من التناقض ، فقد قال في مقدمته لكتاب الانصاف وفي معرض حديثه عن طريقة كل من الكوفيين والبصريين في تفسير القرآن « فعلى حين كان اهل الكوفة يفسرون القرآن تفسيراً يلتزم الدقة في متابعة النص ، ظهر عند اهل البصرة ميل الى اكراه النص القرآني على قبول معنى خاص ، والتمحل في حمله على مطابقة قواعدهم النحوية »[٨٤] وقال في حديثه عن الفراء : « بل يبدو عليه طابع من يؤسس فرقة او مذهباً خاصاً ، ويختلف عن سيبويه اختلافا بينا »[٨٥]

اليس « فيما ذكره » جوتولد فايل من الفارق بين البصريين والكوفيين في تفسير القرآن الكريم ، وفيما ذكره من فروق بين سيبويه والفراء ما يشير الى الخطوط الاساسية للمذهب او المدرسة النحوية التي انكرها ، وقال : لا وجود لها[٨٦] » .

واما ماجاء في مادة (ثعلب) من دائرة المعارف الاسلامية فهذا نصه : « على اننا لا نستطيع في الحقيقة ان نقول بوجود مذهب مكتمل لنحاة الكوفة ، وهو أمر سبق ان بينه فايل ، واذ عُد اصحابه المزعومون - يعني ثعلباً - فريقاً قائماً برأسه ، فانما ذلك من اختراع النحويين المتاخرين »[٨٧]

واما ما قاله بروكلمان فهو انه « قد افترض العرب فيما بعد استناداً الى روايات التاريخ الادبي ان الخلاف كان قائماً بين مذهبين لغويين هما مذهب البصرة ومذهب الكوفة ، وان هذا الخلاف لم يسوّ الا بعد اجيال ، عندما اندمج المذهبان ، وتوحدا في مدرسة بغداد ، ولكن الذي يظهر لنا ان المنافسات بين علماء هاتين المدرستين - البصرة والكوفة - قد بولغ فيها الى حد لا مبرر له[٨٨] » .

واما ابراهيم السامرائي فقد ذهب الى ان الموروث من علم النحو هو علم واحد ، وان اختلاف الاوائل فيه لا يجاوز شيئاً يسيراً يمس الفروع ، ولا يقترب من الاصول[٨٩] . ورأى ايضاً ان مصادر البصريين هي مصادر الكوفيين نفسها « مع شيء يسير من الاختلاف ، كان يتوسع الكوفيون في الاخذ عن الاعراب ، وان يغلبوا المسموع على المقيس ، او انهم توسعوا في الاعتماد على القراءات ، وما يعرض لها من مسائل لا ترد كثيراً من المسموع المشهور »[٩٠] .

وقد رفض السامرائي ايضاً ان يكون البصريون وحدهم قد اعتمدوا على العقل في تعليل اللغة او استندوا الى المنطق في تفسير ظواهرها ، ورأى ان للكوفيين ايضاً تعليلات وتفسيرات كثيرة

مستمدة من العقل ، او قائمة على المنطق ، فقال : « انك تجد في كتاب الانصاف لابي البركات الانباري من تعليل الكوفيين وتاويلهم ضروباً لا تتصل بالعلم اللغوي على نحو ما تجد من ذلك في تعليلات البصريين ، وانت واجد هذا في اغلب المسائل الخلافية التي جمعها الانباري في هذا الكتاب »(٩١)

ونفى السامرائي كذلك ان تكون المصطلحات التي اعتمد عليها الكوفيون معلماً منهجياً اخر ينشا عنه اتجاه خاص ، وذلك ان كثيراً من هذه المصطلحات قد رددها البصريون ، وتداولوها في كتبهم(٩٢).

وبعد ان نفى ان تكون الفوارق المنهجية بين البصريين والكوفيين من العمق بحيث ينجم عنها اتجاهان متقابلان خلص الى القول : « ولعل من اليسير ان نخلص الى رأي الصق بالعلم التاريخي من الاقوال القائمة على التقليد تارة وعلى الحماسة التي لا تخدم العلم تارة اخرى ، فنقول : ان للكوفيين اراء في النحو ونظريات تختلف عن اراء غيرهم ، نلمس ذلك عند الكسائي والفراء وثعلب ومجموع هذه الاراء قد اتسع فيها القدماء فاسموها مذهب الكوفيين ، وتجاوز المحدثون هذا الحد فاسموه مدرسة ، وهي لا تعدو ان تكون نظراً اخر لا ينقض الاصول ، بل يعلق بالفروع ، وما قيل في مصادر الكوفيين واساليبهم في النظر لا يبتعد كثيراً عما سلكه البصريون ، وليس الاتساع في السماع عند هؤلاء والتشدد في القياس لدى الاخرين يدفعنا الى القول ان علم هؤلاء جديد ، يؤلف (مدرسة) ، يختلف عن علم الاخرين و (مدرستهم) »(٩٣)

ولم يخرج علي ابو المكارم عما ذهب اليه السامرائي في نفيه كلتا المدرستين ، فقد صرح بفساد الفكرة التي شغلت كثيراً من الدارسين في النحو العربي ، قدامى ومحدثين ، وهي وجود مدارس نحوية تتميز كل منها باسلوبه الخاص ، ومنهجها الذاتي(٩٤) . وقال : « ان المنهج الذي سارت فيه الدراسة النحوية في مدنه المختلفة تحكمه قواعد عامة لم يُخرج عليها ، وأن تفاوت تأثير بعضها وانن ليس ثمة مدارس ـ بالمعنى الذي يقطع بوجود منهج متميز لكل منها ـ في النحو ، وانما هناك تجمعات مدنية ، وهذه التجمعات تتحرك في اطارات متشابهة ، وتطبق اصولاً واحدة ، وان اختلفت فيما بينها في بعض الجزئيات ، فانه اختلاف لا ينفى عنها وحدة المنهج ، واتفاق الاصول »(٩٥)

اما حلمي خليل فقد ذهب الى مثل ما ذهب اليه هذان الباحثان ، فرأى ان النحو العربي اتجاه واحد ، ارست البصرة دعائمه ، واقامت اصوله ، وتبعها فيه علماء النحو في الكوفة وغيرها من المواطن التي ازدهرت فيها الثقافة اللغوية يومذاك ، كمصر والشام والاندلس .

لقد انطلق حلمي خليل في رأيه هذا من مفهومه للمدرسة اللغوية ، الذي حدده قائلاً : « ان مصطلح (مدرسة لغوية) يعني وجود نظرية لغوية مستقلة ذات اصول منهجية وفكرية جديدة ينادي بها احد العلماء ، ويلتف حوله عدد من الباحثين يؤمنون بهذه النظرية ويطبقونها ويعملون على تطويرها والدفاع عنها ، واستمرار هذه النظرية ودوامها عبر السنين شرط اساسي في تكوين المدرسة اللغوية التي لا يمكن ان تستحق هذا الاسم او يعترف بوجودها بمجرد وضع النظرية ، وانما لا بد ان تعيش ، ويكتب بها البقاء مدة من الزمن(٩٦) » .

ومعنى هذا « ان اتخاذ المعيار الجغرافي اساساً لتقسيم العلوم الى مدارس مختلفة لا يكون صحيحاً اذا لم تصحبه او تواكبه نظرية علمية جديدة ، لان وجود جماعة من الباحثين او العلماء في مكان واحد لا يكفي لتكوين مدرسة علمية الا اذا وجدت نظرية علمية ، ومن ثم لا يكون الداعي لاطلاق اسم المدرسة العلمية عليهم وجودهم في مكان واحد ، وانما اشتراكهم في العمل وفق نظرية واحدة ، حتى ولو وجدوا في بقاع مختلفة »(٩٧) ثم قال حلمي خليل : « فاذا نظرنا على ضوء هذا المفهوم لمصطلح (المدرسة العلمية) الى ما يسمى في تاريخ الفكر اللغوي العربي باسم المدارس النحوية فسنجد ان هذا المصطلح لا ينطبق الا على البصرة وحدها ، ولعل القدماء كانوا اهدى حساً عندما قالوا ان هناك خلافاً بين البصرة والكوفة ، وانما المحدثون هم الذين اطلقوا هذه التسمية حتى شاع تقسيم الفكر اللغوي الى مدارس فهناك بجانب البصرة والكوفة مدارس اخرى مثل المدرسة البغدادية والاندلسية والمصرية »(٩٨) .

فحلمي خليل اذن يرى ان البصرة وحدها خليقة بان يقال عنها انها صاحبة اتجاه نحوي ، او واضعة نظرية لغوية ، وان هذه النظرية التي سلم بها علماء العربية جميعاً في الكوفة وغيرها تتمثل في السماع والقياس والعامل ، ولا عبرة بعد ذلك في ان الكوفة خالفت البصرة في التوسع في السماع والقياس ما دامت « لا تطرح اصلاً من هذه الاصول جانباً او تغيره »(٩٩) . ولا عبرة ايضا فيما استعملت الكوفة من مصطلحات تختلف عن مصطلحات البصرة « فالمصطلحات في نهاية الامر هي الجانب السطحي من النظرية العلمية ، وليست الجانب الاصيل فيها ، اذا لم يصحب هذا الخلاف منطلقات نظرية وفكرية ومعرفية جديدة ... والا فماذا يغير من النظرية البصرية اذا ما اطلقنا على حروف الجر مصطلح الصفة ، اذا كان هناك اتفاق على ان هذا العنصر اللغوي يحدث الجر ، ومثل ذلك لو اطلقنا على النفي مصطلح الجحد او غيره من المصطلحات النحوية التي انفردت بها الكوفة »(١٠٠) .

وواضح ان هذه الادلة التي ساقها حلمي خليل هي الادلة التي استند اليها ابراهيم السامرائي وعلي ابو المكارم ، غير ان الجديد في ادلة خليل يتمثل في ذهابه إلى ان النظرية لا تكون نظرية حتى يكتب لها الدوام ، وتجد لها انصاراً عبر العصور ، وهذا ما لم تحظ به الكوفة « ولو ان العلماء وجدوا فيما يسمى بالمدرسة الكوفية شيئاً يختلف اختلافاً جذرياً ، نظرياً وفكرياً وتحليلًا عن النحو البصري لاتجهوا اليه ، وتوسعوا فيه ، ولكنهم وجدوا في النظرية البصرية وفي صنيع الكوفة تشابهاً جعلهم يتجهون الى الاصل »[١٠١] كما ان الجديد في ادلة حلمي خليل يتمثل في زعمه ان القدماء كانوا اهدى حسا عندما قالوا ان هناك (خلافا) بين البصرة والكوفة ، ولم يسموا ذلك الخلاف (مذهبا) .

وارى ان ما ذهب اليه هؤلاء الفضلاء لا يسلم من تعارض ، ولا يبرأ من وهن ، ففي الوقت الذي يرون فيه ان الاصول التي اعتمد عليها البصريون والكوفيون واحدة ، يقرون جميعاً ان خلافاً بين الفريقين حدث في تطبيق هذه الاصول ، ومعنى ذلك ان الخلاف ليس كما قال السامرائي اقتصر على الفروع ، ولم يمس الاصول ، كما ا ن وحدة الاصول لا تلغي استقلال الكوفيين باتجاه خاص ، لان العبرة ليست بالاصول التي يقوم عليها الفكر اللغوي ، وانما في طريقة تناول هذه الاصول ، واسلوب التعامل معها ، وقد أقر القدماء والمحدثون ، ومنهم السامرائي وابو المكارم وحلمي خليل ، ان هناك خلافاً بين الكوفيين والبصريين في تطبيق هذه الاصول .

ومما يحمل على التناقض في موقف بعض منكري المدرسة الكوفية ان حلمي خليل في الوقت الذي نفى فيه اي طابع خاص في فكر الكوفيين اللغوي قرر ان في صنيع الكوفيين مبادىء وصفية ينادي بها علماء اللغة الان ، وان الكوفيين « اقرب في درسهم للعربية الى طبيعة الظاهرة اللغوية والمنهج العلمي في درسها »[١٠٢]

اما التهوين من شان المصطلح الكوفي ، والنظر اليه على انه خلاف سطحي ، لا يتعلق بجوهر النظرية البصرية ، فامر مردود ، لان بعض مصطلحات الكوفيين أملاها فكرهم اللغوي ، وساقت اليها طبيعة نظرتهم الى الظواهر اللغوية ، من ذلك مصطلح (الخلاف) و (الصرف) اللذان يشيران الى ان الكوفيين لم يسلموا بـ (العامل) تسليماً تاماً ، ولم يردوا اليه بعض ما يظهر على اواخر الكلم من حركات .

واما القول ان النحو الكوفي لم يكتب له الدوام ، ولم يجد من الانصار ما وجده النحو البصري ، وان هذا يُعَد دليلًا على عدم استقلال النحو الكوفي بمنهجية خاصة ، فانه دليل متهافت ، لان الذي يقرر (النظرية) ويمنحها حق الوجود ، ما تقوم عليه من اسس ، وما تشكل به صورتها من ملامح ، سواء اطال عمرها ام قصر ، وكثر انصارها ام قلوا ، فلانحسار الانصار عن فكرة معينة او نظرية مخصوصة امور تكون وراء العلم احياناً ، وقد اشار الى تلك حلمي خليل نفسه حين قال : « وربما لعبت الظروف السياسية دوراً في انتشار النظرية البصرية »[١٠٣] .

بقي ان نشير الى ما زعمه حلمي خليل من ان القدماء لم يسموا صنيع الكوفيين (مذهبا) ، فنقول انه زعم مردود ، فقد مر بنا فيما سبق ان مصطلح (مذهب استعمله بعض القدماء مقروناً بالبصريين مرة وبالكوفيين مرة اخرى .

(٣)

بـغـــــــــداد

لقد كانت (مدرسة بغداد) او (المدرسة البغدادية) محور خلاف بين المحدثين ، فمنهم من قال بوجودها ، ومنهم من نفاها ، وسنبدأ هذه الفقرة باقوال عدد من الفريق الاول .

ويبدو ان المحدثين الذين اثبتوا وجود مدرسة بغدادية ، كانوا يصدرون عما جاء في فهرست ابن النديم الذي قسم النحاة على ثلاثة اقسام : بصريين وكوفيين وجماعة ثالثة خلطت المذهبين ، وذكر منهم ابن قتيبة وابا حنيفة الدينوري وابا موسى الحامض والزجاجي وابن كيسان وابا عبد الله نفطويه وابا علي ابن سليمان الاخفش الصغير[١٠٤] .

ويؤيد ان المحدثين كانوا متأثرين بابن النديم في ابتداع مدرسة ثالثة انهم اقاموها على « اساس الاختيار والانتخاب من كلا المذهبين القديمين ، وهو الذي كان يعبر عنه ابن النديم بخلط المذهبين »[١٠٥] . ولكنه لم يسم الاتجاه (مذهباً) مع انه ـ كما تقدم ـ يستعمل كلمة (مذهب) ويقرنها بالبصريين حينا وبالكوفيين حينا آخر . وكان فلوكل وبروكلمان وفايل قد سبقوا المحدثين العرب الى التاثر بمقالة ابن النديم تلك ، وحاولوا ان يقدموا للدارسين صورة عن واقع المذاهب النحوية ، ورجال كل مذهب .[١٠٦]

اما فكرة المدرسة البغدادية فقد تبناها فلوكل[١٠٧] وانكرها فايل ، لان ذلك امر طبيعي يتمشى مع انكاره مدرسة الكوفة .[١٠٨] وكان احمد امين « اول من تكلم على مدرسة بغداد من الباحثين العرب »[١٠٩] ، فقال : « ومع هذا فقد كان التقاء الكوفيين والبصريين في بغداد سبباً في عرض المذهبين ونقدهما والانتخاب منهما ، ووجود مذهب منتخب كان من ممثليه ابن قتيبة »[١١٠] .

وجاء الشيخ محمد الطنطاوي ليقتفي خطا احمد امين في الاعتراف بالمدرسة البغدادية وبيان خصائصها[١١١] ، حتى وصفته خديجة الحديثي بانه « كان اكثر المحدثين عن هذا المذهب وخصائصه وضوحاً وايجازاً »[١١٢] واوضح انه كرر المقولة التي تدعي ان المذهب البغدادي يقوم على مزج مذهبي البصريين

والكوفيين[١١٣] .

وكان سعيد الافغاني يرى ان الكوفيين نشروا نحوهم في بغداد « التي قصدها نحاة بصريون ايضاً ، ونشات طبقة جديدة في بغداد اختارت من المذهبين ، وكونت ما عرف بالمنهب البغدادي »[١١٤]

ونهب احمد مكي الانصاري الى وجود مدرسة بغدادية ، ولكنه سلك الى هذا الرأي خطوات عجيبة ، فقد جعل المدرسة الكوفية حقيقة تاريخية لا مناص منها ، ورأى ان لها شخصيتها المستقلة في حقبة من الزمن ، ثم بدأها وختمها بابي جعفر الرؤاسي ، وكانه جعل من هذا الرجل استاذ المدرسة وتلميذها في آن واحد . و « اما الكسائي فقد رأى الانصاري انه يمزج المذهبين لانه لم يخلص للكوفية ، كما لم يخلص للبصرية . وأما الفراء فقد تعهد ما بناه الكسائي بالرعاية وأتمه واستوى الدرس النحوي الجديد ، الذي يقوم على الاختيار والمزج على يديه درساً حياً ، له شخصيته المتميزة ، وطابعه الخاص ، واذا كان الكسائي هو واضع رسوم المنهب فقد جاء الفراء من بعده ليكسب المنهب ملامحه ، ويبرز شخصيته »[١١٥]

وهذا يعني ان الفراء في رأي الانصاري « طراز جديد من الدارسين ، فبينما هو كوفي باعتداده بالسماع واحترامه القراءات اذ به بصري في تمسكه بالقياس ، ووقوفه في وجه الشواذ ، وطعنه على القراءات السبع على حد قول الانصاري ، فهو اذن يجمع في دراسته خصائص ما اخذه عن الكوفيين وخصائص ما اخذه عن البصريين ، وهو جدير بأن يكون مؤسس مدرسة بغداد التي تمخض عنها تلاقي المدرستين ، وامتزاج مزاياها في دراسته »[١١٦] .وقد ناقش المخزومي اراء الانصاري وأبطلها .

وأما شوقي ضيف فقد اقر وجود مدرسة بغدادية ، تقوم على الانتخاب من اراء المدرستين البصرية والكوفية جميعاً ، وقد هيا لها ذلك في زعمه ان افرادها تلمذوا للمبرد وثعلب ، وتعمقوا مصنفاتهما ، ونفذوا من خلال ذلك الى اراء جديدة ، ورد شوقي ضيف على من ينفي وجود هذه المدرسة مستدلا بان علمين من اعلام جيلها الثاني وهما ابو علي الفارسيّ وابن جني ينسبان نفسيهما الى البصريين ، ويعبران عنهم في كتبهما بكلمة (اصحابنا) ، وينتصران في اغلب الامر للاراء البصرية ، فقال : « ولا يكفي ان ينسب ابن جني وابو علي الفارسي انفسهما في البصريين لعدهما حقا منهم ، فانهما اتبعا في مصنفاتهما المذهب البغدادي الانتخابي ، وان كانت قد غلبت عليهما النزعة البصرية . وهي لا تخرجهما على دوائر الاتجاه البغدادي القائم على الانتخاب من اراء البصريين والكوفيين وعلى غرارهما الزجاجي اخر الجيل الاول من البغداديين »[١١٧] .

وقد سلك شوقي ضيف في المدرسة البغدادية ابن كيسان والزجاجي وابا علي الفارسي وابن جني وابن الشجري وابا البركات الانباري والزمخشري[١١٨] . وقد حاول شوقي ضيف ان يوفق بين بغدادية هؤلاء الاعلام وما عرف من ميل بعضهم الى الكوفيين وميل بعضهم الاخر الى البصريين فذهب الى ان هذه المدرسة « اتجهت اتجاهين ، اتجاها مبكراً عند ابن كيسان وابن شقير وابن الخياط ، نزع فيه اصحابه الى اراء المدرسة الكوفية ، واكثروا من الاحتجاج لها ، مع فتح الابواب لكثير من الاراء البصرية ، وايضاً مع فتح باب الاجتهاد لبعض الاراء الجديدة . واتجاها مقابلًا عند الزجاجي ثم عند ابي علي وابن جني نزع فيه اصحابه الى اراء المدرسة البصرية ، وهو الاتجاه الذي ساد فيما بعد لا في مدرسة بغداد وحدها بل في جميع البيئات التي عنيت بالدراسة النحوية »[١١٩] وقد ناقش المخزومي اراء ضيف هذه مناقشة طويلة ، وانتهى الى تفنيدها .

من الذين قالوا بوجود المدرسة البغدادية طه الراوي[١٢٠] ومحيي الدين توفيق[١٢١] وخديجة الحديثي[١٢٢] وهدى قراعة التي جعلت الزجاج مؤسسا للمذهب البغدادي[١٢٣] وعبد الحميد حسن[١٢٤] وعبد الرحمن السيد[١٢٥] واحمد مختار عمر[١٢٦] وعبده الراجحي الذي تابع شوقي ضيف قائلًا : « وشهدت بغداد نشاطا حيا في حلقة هذين العالمين الجليلين - يعني المبرد وثعلب - واشتد الصراع بينهما وكثرت المناظرات مما جعل الدارسين يقبلون عليهماكليهما ، ويأخذون عنهما معاً ، ثم يتخيرون من هذا وذاك ما يراه كل واحد مناسباً تفكيره واتجاهه ، ازدهر هذا النشاط في بغداد اذن اواخر القرن الثالث ، وما كاد القرن الرابع يبدأ حتى اخذت مدرسة بغداد تتميز بمنهجها الخاص ولم يكن هذا المنهج جديداً من حيث الاسس او طرائق الاستنساخ ، ولكنه منهج بني على الانتقاء من المدرستين البصرية والكوفية ، ومن ثم رأينا الرواد الاول لمدرسة بغداد يقبلون على الكوفة ، ويزيدون من الاخذ عنها ، ولكنهم يأخذون عن البصرة وان كان ميلهم الى الكوفة اشد ، واشهر هؤلاء الرواد ابن كيسان (ت ٢٩٩ هـ) وابن شقير (ت ٣١٥ هـ) وابن الخياط (ت ٣٢٠ هـ) ، وفي الاتجاه الثاني كان عدد اخر من العلماء يقبلون على البصرة ويأخذون عن الكوفة لكن ميلهم الى البصرة اشد واشهر هؤلاء الزجاجي وابو علي وابو الفتح بن جني[١٢٧] » .

ومن الذين تابعوا شوقي ضيف في موقفه من المدرسة البغدادية ، محمود حسني محمود الذي جعل اطروحته للدكتوراه (المدرسة البغدادية في تاريخ النحو العربي) ، وقد فصل فيها ما اجمله شوقي ضيف عن مدرسة بغداد في كتابه (المدارس النحوية) .

وَقد حاول هذا الباحث ان يجد لهذه المدرسة خصائص وسمات، فجاء بما هو في نظر الباحثين من سمات المدرسة الكوفية وطوابعها في المنهج والدراسة. لقد رأى ان المدرسة البغدادية تقوم على الاتساع في السماع، وعلى ضم القبائل المجاورة للحضر الى الاطلس اللغوي، واستشهد على ذلك بان ابن جني أخذ عن بني عقيل المجاورين للموصل، وعن محمد بن المساف الشجري العقيلي[128] وتقوم على الاتساع في القياس وعدم قصره على الشائع المتداول من كلام العرب، فقد قاسوا على النادر والشاذ، فقالوا (حمولي) في النسبة الى (حمولة) و (ركوبي) في النسبة الى (ركوبة) كما قال العرب (شنوئي) في النسبة الى (شنوءة) بابقاء الواو[129]. وتقوم كذلك على قبول القراءات الشاذة « فكل ما ورد انه قرىء به جاز الاحتجاج به في العربية سواء كان متواترا ام آحاداً ام شاذاً وقد اطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية »[130] وقد عنى الباحث بـ (الناس) هنا الكوفيين عند الفراء، والبغداديين الذين اتبعوا الكوفيين على حد تعبير محمود حسني محمود[131].

ومن خصائص المدرسة البغدادية ايضاً الاحتجاج بالحديث ـ كما قال الباحث ـ وهي خصيصة تحمل على التوسع في السماع، والاحتجاج بشعر المولدين على نحو ما فعل الزمخشري (وهو بغدادي في نظر ضيف وهذا الباحث) باحتجاجه بشعر ابي تمام[132]. وهذا ايضاً من باب التوسع في السماع.

وكرر محمود حسني محمود ما ذهب اليه شوقي ضيف من ان المدرسة البغدادية تخللها تياران مختلفان « وكان سريان تيارين في المدرسة النحوية سنة تسير عليها اية مدرسة نحوية في اللغة العربية، فقد كان يسير في مدرسة البصرة تياران نحويان، احدهما متساهل يعظم لغة العرب، ويتزعمه ابو عمرو بن العلاء، وثانيهما (كذا) متشدد يخطىء العرب، ويتزعمه ابن ابي اسحاق، وكان يسير في مدرسة الكوفة ايضا تياران نحويان احدهما متساهل ومتأثر بمنهج ابي عمرو ابن العلاء ويتزعمه الكسائي، وثانيهما متشدد يقبح القراءات ويخطىء العرب في مواضع كثيرة، ويتزعمه الفراء »[133] ومن هنا « فاننا نرى ان بعض البغداديين كانوا يميلون الى مدرسة البصرة دون تعصب على مدرسة الكوفة ـ وقد بقي الاتجاهان يسيران جنباً الى جنب، غير ان اتجاه الميل الى مدرسة البصرة هو الطابع الذي تغلب على نحاة المدرسة البغدادية، واستمر هذا الطابع عبر القرون المتأخرة يتسم به النحو العربي سواء في العراق ام فارس ام مصر ام الاندلس »[134]

واما المحدثون الذين نفوا المدرسة البغدادية فمنهم عبد الفتاح شلبي الذي ذهب الى انه لم تكن هناك « مدرسة بغدادية قائمة بنفسها، لها تعاليمها، غاية ما في الامر ان رجالاً خلطوا بين المدرستين البصرية والكوفية، فرأوا رأيا من هذه ورأيا من الاخرى، وان كانوا في مذهبهم الاصيل يميلون الى هذه او يميلون الى تلك، فيكونون بصريين او كوفيين حسب، فابن كيسان يخلط المذهبين لانه اخذ عن المبرد وثعلب، وكان ميله الى البصريين اكثر، وكذاك ابن قتيبة وابن شقير شديد التعصب مع الكوفيين مع اعتقاده مذهب البصريين »[135]. ويضع شلبي ابا علي فيمن يخلطون المذهبين، لانه على الرغم من نزعته التي تميل به الى البصرة كان يرى رأي الكوفيين في بعض المسائل النحوية.[136]

وفاضل صالح السامرائي الذي نفى المدرسة البغدادية ايضا وقال: « انه لا يصح اطلاق اسم مذهب او مدرسة الا ان تكون هناك اسس مستقلة واراء متميزة واضحة محددة، والا فهو مذهب إما بصري وإما كوفي او نحوهما، وان المكان وحده لا يصح ان يسم المدرسة باسم ما، فتعد مدرسة نحوية مستقلة، كما لا يصح ان يسم القائمين بها، فلا يصح مثلًا عد المبرد الا من البصريين وثعلب الا من الكوفيين مع انهما سكنا في بغداد. وهب ان نحويا بصريا سكن مدينة ما وبقي محتفظاً بارائه البصرية فهل يعد الا بصرياً »[137]. ثم قال: « وينبغي ان ينظر في هذا الامر من ثلاث نواح حتى يمكن اطلاق اسم مدرسة عليه: من حيث الاسس التي تتبعها في اصول البحث، ومن حيث المصطلحات ومن حيث المسائل الخلافية، فان استقلت بكل ذلك فهي مدرسة خاصة، والا فهي تبع، وينظر النحوي من هذه الامور كذلك، ويمكن ان نضيف ناحية اخرى هي نظرته الى نفسه، اين يعد نفسه في البصريين مثلًا ام في غيرهم »[138] وقال: « انه لا يشترط في النحوي ان يقول بجميع اراء مذهبه، فله ان يجتهد ضمن حدود هذا المذهب فيوافق رأي الكوفيين او ينفرد بطائفة من المسائل، وهذا الاجتهاد لا ينفي عنه صفته في انتمائه الى مدرسته »[139]

ومازن المبارك الذي قال: « على اننا اذا قلنا ان بغداد اتسعت للمذهبين النحويين البصري والكوفي وان من علماء النحو فيها من كان بصرياً ومنهم من كان كوفيا، ومنهم من لم يكن بالبصري المحض ولا بالكوفي المحض، فلسنا نعني ان هذه الطائفة الثالثة تشكل مدرسة بغدادية جديدة، ذات منهج نحوي مستقل وانما نعني ان علماء بسطوا المذهبين واختاروا منهما، واذا كان لبعض هؤلاء العلماء البغداديين اقوال تفردوا بها من دون المذهبين فان ذلك لا يعني قيام مذهب جديد، ولا يعني نشوء مدرسة بغدادية »[140]

وعلي مزهر الباحث الذي قال: « ان النحاة في بغداد بعد المبرد وثعلب صاروا يأخذون من الكوفيين مرة ومن البصريين مرة،

مما دفع بعض المحدثين الى التوهم بان هذا يمثل مدرسة تقوم على الانتخاب من الفريقين ، اشتهر من هؤلاء الذين نسبوا الى ما سمي بمدرسة بغدادية عدد منهم ابو الحسن بن كيسان وابو بكر ابن الخياط وابو الحسن علي بن سليمان الاخفش »[١٤١]

وطارق الجنابي الذي قال : ان دارسي النحو « لم يتفقوا حتى الان على ان هناك مدرسة نحوية متميزة يمكن ان ندعوها بالمدرسة البغدادية ، ولو كانت دعوى الانتقاء من اراء المدرستين والمزج بينهما تشكل منهجا خاصاً في النحو لافترضنا ان الاخفش الاوسط واحد من متقدمي نحاة بغداد ، لانه عاش في بغداد واتصل بالكسائي شيخ الكوفيين ، وتابعهم في خمسين مسألة ، وهو قد خالف سيبويه في مسائل كثيرة ، ولم يقل لنا احد ان الاخفش بغدادي . واذا خالف المبرد سيبويه ، وتتبع كلامه في (مسائل الغلط) فلا يعني هذا ان المبرد بغدادي ولا أن وشائجه بمدرسة البصرة التي كان علما بارزاً من اعلامها قد انبتت ، لان سيبويه كان رأس نحاة البصرة بعد الخليل فان الخلاف او الاختلاف معه انما هو من باب اختلاف التلاميذ في المدرسة الواحدة »[١٤٢]

ومهدي المخزومي الذي اقر فكرة (المذهب البغدادي) او (المدرسة البغدادية) في كتابه (مدرسة الكوفة) اذ قال : « وأما البغداديون فقد اخذوا عن البصريين والكوفيين .. وانتخبوا من هؤلاء وهؤلاء »[١٤٣] . وقال : « فليس المذهب البغدادي الا مذهبا انتخابيا فيه الخصائص المنهجية للمدرستين جميعاً »[١٤٤] ولكنه عاد عن رأيه هذا ، فذهب الى نفي المدرسة البغدادية ، وجرد لهذا الموضوع المهم كتابا كاملًا عنوانه (الدرس النحوي في بغداد) .

وقد بنى المخزومي نفيه مدرسة بغداد على امور :

(١) ان ابن النديم لم يكن يعني بما سماهم من النحاة « جماعة ثالثة خلطت المذهبين »[١٤٥] ما يعنيه المحدثون ، وهو ان هذه الجماعة اتخذت لها مذهباً نحوياً متميزاً يقف بازاء المذهبين . والدليل ان ابن قتيبة الذي جعله ابن النديم على رأس هذه الجماعة الثالثة كان بصرياً ، اخذ عن البصريين ، ولم ياخذ عن ثعلب على الرغم من انه عاصره ، وعاش معه في بغداد ، ولكنه كان يحكي في كتبه عن الكسائي والفراء ، وكانت حكايته عنهما مطعنا عليه ، فكان البصريون يضعفون كتبه ، ويتهمونه بالتخليط .

فابن النديم اذن - في رأي المخزومي - لم يعن بالجماعة التي خلطت المذهبين الا البصريين الذين ترخصوا اواسط القرن الثالث وما بعده ، وصاروا ينقلون عن الكوفيين ، ويحكون بعض ارائهم ، والا الكوفيين الذين تحللوا من قيود العصبية فحكوا ما ترجح لديهم من اقوال البصريين ، وكان هذا المزج لافتا نظر ابن النديم ، لانه لم يكن يفعله الدارسون الاوائل المتزمتون كبصريين وكوفيين .

فخلط المذهبين عند ابن النديم وعند السيرافي في (اخبار النحاة البصريين) وعند الزجاجي في (الايضاح) وعند الانباري في (نزهة الالباء) جاء نتيجة لزوال التعصب ، وتاثر اعلام كلتا المدرستين بعضهم ببعض ، ولم يكن يعني احداث مذهب نحوي .

فالسيرافي عد ابن كيسان بصرياً ، ولم يثنه عن هذا انه كان يخلط المذهبين ، وعد ابا بكر بن السراج بصرياً ، ولم يحل دون ذلك انه كان يحكي في (الاصول) عن سائر الكوفيين . « فقد يكون الدارس اذن بصريا تتفق وجهة نظره مع وجهة نظر الكوفيين في هذه المسالة او تلك ، وقد يكون كوفياً يلتقي مع البصريين في هذا القول او ذاك ، ومثل هذا الخلاف قد يقع بين تلاميذ المدرسة الواحدة ، فلا يخرج بهم عن حدود المذهب الذي ينتمون اليه »[١٤٦] .

(٢) ان « مذهب الكوفيين لم ترسم خطوطه في الكوفة وانما شب ونضج في بغداد وعلى يد الكسائي أولًا ثم على يد الفراء ثانيا »[١٤٧] . و « اذا كان الكسائي والفراء كوفيين مولداً ومنشا فلم يتصدرا حلقات الدرس في الكوفة ، ولا عُرفا بين النحاة قبل اقامتهما في بغداد ، وتصدر مجالس الدرس فيها »[١٤٨] .

اما الرؤاسي والهراء فما كانت لهما اعمال نحوية تنم على تمكن من هذا الدرس ورسوخ قدم فيه . ولذا لا يصح ان يبدأ المذهب الكوفي بهما .

(٣) ان الدارسين الذين بدؤوا النحو الكوفي ، وتوالوا على ترسيخه ، وارساء حقائقه انما كانوا في بغداد ، واشير اليهم في تاريخ النحو على انهم « بغداديون »[١٤٩] ومما يؤيد هذا ان المبرد كان معجباً بكتاب (اصلاح المنطق) لابن السكيت ، وكان يقول في تقويم هذا الكتاب : « ما رأيت للبغداديين كتاباً خيراً من كتاب يعقوب ابن السكيت في المنطق »[١٥٠] . ويعقوب بن السكيت الكوفي ، ولكن المبرد لم يسمه كذلك وانما اطلق عليه وعلى امثاله من الدارسين الكوفيين اسم (البغداديين) .

وكان ابن قتيبة يحكي عن الكوفيين في كتبه - كما تقدم - واذ روى عنهم قال : « قال بعض البغداديين » او « البغداديون يقولون كذا وكذا او يرون كذا وكذا[١٥١] » « فاسم البغداديين على هذا انما يطلق على الدارسين الذين اقاموا في بغداد وهذا ينجر الى اوائل الدارسين في بغداد وهم الكسائي واصحابه ، والفراء واصحابه وثعلب واصحابه ولا يقتصر الاسم على الجيل الذي اعقب ثعلبا والمبرد كما يزعم المحدثون »[١٥٢] .

وكان ابو علي يستعمل لفظ (البغداديين) للدلالة على الكوفيين من ذلك قوله : « قال ابو علي : وحكى احمد بن يحيى عن بعض البغداديين »(١٥٣) واحمد بن يحيى هذا هو ثعلب ، واذا حكى ثعلب عن بعض البغداديين فذاك احد اصحابه او شيوخه من الكوفيين . ومثله ابو الفتح بن جني الذي كان يطلق (البغداديين) على (الكوفيين) ايضاً ، قال : « ومن ذلك قول البغداديين ان الاسم يرتفع بما يعود عليه من ذكره نحو زيد مررت به واخوك اكرمته ، فارتفاعه عندهم انما هو لان عائدا عليه فارتفع بذلك العائد »(١٥٤) ورأي البغداديين هنا هو رأي الكوفيين(١٥٥) .

(٤) لقد صنف الزبيدي في طبقاته النحويين في كل مصر على حدة ، بادئا بالبصريين « لتقدمهم في العربية وسبقهم الى التأليف فيها »(١٥٦) . وقد بدأ بابي الاسود واصحابه ماراً بطبقة الخليل وتلاميذه وطبقة ابي عثمان المازني وفيها السجستاني والرياشي وقطرب وطبقة ابي العباس المبرد وطبقة اصحابه وذكر منهم الزجاج وابن السراج ومبرمان وابن درستويه وعلي بن سليمان الاخفش الصغير الذي عده ابن النديم فيمن خلط المذهبين وابا بكر بن شقير وابا بكر بن الخياط اللذين عدهما ابن النديم فيمن خلط المذهبين . وطبقة اصحاب الزجاج وفيها الزجاجي الذي عده ابن النديم فيمن خلط المذهبين .

« هؤلاء هم البصريون في تصنيف الزبيدي بدئوا بابي الاسود وختموا بتلاميذ المبرد وتلاميذ تلاميذه ، ومنهم من كان تلمذاً لابي العباس ثعلب كابي بكر بن شقير وابي بكر بن الخياط وابي الحسن علي بن سليمان المعروف بالاخفش الصغير »(١٥٧) .

وأما طبقات الكوفيين في تصنيف الزبيدي فهي طبقة الرؤاسي وفيها معاذ الهراء وطبقة الكسائي وطبقة الفراء وممن فيها القاسم بن معن وعلي بن المبارك الاحمر وهشام بن معاوية وطبقة اصحاب الفراء سلمة بن عاصم وطبقة اصحاب سلمة وفيها ثعلب ، وطبقة اصحاب ثعلب وفيها هارون بن الحائك وابو موسى الحامض وابو بكر بن الانباري وابو عبد الله نفطويه وابو الحسن ابن كيسان(١٥٨)

« فالزبيدي لم يكن يرى ما رآه ابن النديم ولا جعل من تلاميذ المبرد وثعلب طبقة على حدة ، سلكت في الدرس النحوي منهجاً جديداً يقوم على انتخاب مزايا المذهبين كما اراد المحدثون ان يفهموه »(١٥٩) .

ومعنى صنيع الزبيدي ان عدم التحرج في ان ياخذ دارس بصري رأيا لكوفي او العكس ، لم يكن يخرج الدارس عن طابعه العام .

(٥) ان مصطلح (الكوفيين) قد ظهر على ايدي المبرد وتلاميذه ، فقد استطاع المبرد بعد رحيله من البصرة الى بغداد ، ان يجتذب الدارسين اليه ، ويصرف كثيراً منهم عن مجلس ثعلب ، ولما كان الفريقان فريق المبرد وفريق ثعلب بغداديين ، ولادة ومربى ، فقد رأى المبرد اصحابه ان يسموا انفسهم (البصريين) وان يسموا فريق ثعلب (الكوفيين) ، « ولعل تصنيف ابي سعيد السيرافي كتابه (اخبار النحويين البصريين) كان تاكيداً لما بدأه المبرد وقد قصره على النحويين البصريين ، تجاهلاً لمنافسيهم وغمزاً لهم ، وايماء الى ان غير البصريين ليسوا في العلم بدرجة يذكرون معها بازاء البصريين .

ان الكوفيين قبل عصر المبرد وما بعده لم يكونوا يعرفون بهذا الاسم ، وان احداً منهم لم يسم مذهبه بالكوفي ولم يسمهم كذلك خصومهم الاوائل ، وانما كانوا يشيرون اليهم على انهم بغداديون ـ كما تقدم ـ غير ان المبرد واصحابه اصروا على تسمية انفسهم بالبصريين وتسمية منافسيهم وخصومهم بالكوفيين ، ومع ظهور تسمية (الكوفيين) فان التسمية القديمة لهم (اي البغداديين) لم تختف تماماً بل ظلت تتردد في الكتب الى جانب الاسم الجديد « وكان ورود التسميتين في بعض المصنفات مصدر وهم المتاخرين ان البغداديين فريق ، والكوفيين فريق آخر ... وبقي الدارسون في العصور المتعاقبة يخوضون في هذا الوهم ، ولم يلتفتوا الى انهما اسمان لمسمى واحد »(١٦٠) . و « جاز هذا الوهم على الدارسين المحدثين فراحوا يتمسكون به ، ويثبتون عليه فكرتهم بوجود مذهب ثالث او مدرسة ثالثة سموها بغدادية ، ووجدوا في كلام ابن النديم ومن تابعه ما يؤيد فكرتهم »(١٦١) .

يتضح مما تقدم ان ليس في تاريخ النحو مذهب بغدادي ، او مدرسة بغدادية متميزة ، تقف بازاء المدرستين البصرية والكوفية ، وان (كوفي) و (بغدادي) اسمان لفريق واحد ، او مدرسة واحدة ، هي المدرسة الكوفية .

(٤)
مصر والشام والاندلس

ازدهر الدرس النحوي في بغداد ، منذ ان انتقل اليها الكسائي من بلدة (الكوفة) ، واخذ ينشر علمه فيها ، ويبني في مجالسها وحلقات الدرس فيها اسس مدرسته البغدادية التي سميت فيما بعد (الكوفية) . وجاء الكوفي ليرسخ هذه المدرسة ، ويرفع من بنيانها ، حتى نمت على يديه ، واستوت كاملة ناضجة ، بحيث استطاعت ان تقف بازاء سابقتها المدرسة البصرية .

وجاء بعد الفراء تلامذته ، ثم آل الامر الى ثعلب ، احد تلامذة تلاميذ الفراء ، فبقي الدرس النحوي على يديه مزدهراً حيا ، حتى دخل المبرد بغداد ، قادماً اليها من سامراء ، بعد ان نزح عن مدينته البصرة ، طلباً للشهرة ، وبحثاً عن المال والجاه .

لقد تنافس العالمان ، وكان بين منهجيهما اختلاف وتفاوت ، وهو الاختلاف الذي يفصل مدرسة البصرة عن مدرسة الكوفة ، ويؤلف معالم كل منهما وطريقتها . ويبدو ان بعض تلاميذ ثعلب ، وهما الزجاج وابو علي الدينوري قد ذهبا الى حلقة المبرد . فنال اعجابهما بما كان يبسط من علل ، ويستنبط من اصول واقيسة فلزماه ، ومالا عن شيخهما ثعلب . وكانت هذه بادرة انحسار المذهب الكوفي ، وتوجه الدارسين الى منافسة المذهب البصري .

لقد نجم عن هذه البادرة امران : الاول ان الدارسين الذين عاصروا ثعلبا والمبرد او خلفوهما ، قلت لديهم العصبية المذهبية . وصاروا ينظرون في نحو المدرستين ، ولا يترددون في ان يأخذوا ما يقتنعون به من كل منهما . وهو امر زعم بعض المحدثين انه اتجاه جديد ، دعوه (المدرسة البغدادية) ، وقد ظهر لنا انه محض وهم ، وقع فيه هؤلاء .

الثاني ان المدرسة البصرية ظلت تنمو في بغداد وتترسخ ، وتجتذب اليها الانصار والمؤيدين ، حتى بسطت سلطانها على مجالس الدرس ، وفرضت سيطرتها على عقول الدارسين ، فكان من اثر ذلك اثار منها في مصنفات الدارسين الذين ينزعون نزعة بصرية ، كما سبق ان تخلل النحو الكوفي في اثناء تشكله اثار من المدرسة البصرية[١٦٢] .

وتجد الدرس البصري مهيمناً على العقول منذ اوائل القرن الرابع الى يومنا هذا ، غير ان النحاة في جميع بيئات الدرس عراقية او مصرية او اندلسية ، كانوا يتابعون هذا المذهب على سبيل التقليد « لان مصادر الدرس التي كان يصدر عنها الدارسون الاوائل لم يعد لها وجود ، والاختلاف في المذهب انما يقوم على اساس الافادة من المصادر الحية ، في استخراج الاصول العامة في الدرس ، او بعبارة ادق على اساس اسلوب الافادة منها في ذلك »[١٦٣] .

ومعنى ذلك اننا قد نجد « في كلام الزمخشري او في كلام ابن الحاجب او غيرهما ما يدل على انتصار للبصريين او انتساب الى مذهبهم ، ولكن ذلك ليس الا متابعة خالصة وتقليداً محضا ، لان اسلوب الدرس البصري او الكوفي كان لم يعد له وجود »[١٦٤] ان المتاخرين من النحاة في جميع البيئات لم يجدوا امامهم « الا مصنفات في النحو تضمنت وجهات نظر مختلفة فراحوا يختارون هذا الجانب او ذاك بحسب ملاءمته لاسلوب الدرس الذي اصطنعوه »[١٦٥] .

ويبدو ان هذه الحقيقة وهي سيادة النحو البصري على جميع بيئات الدرس ، لم ترض بعض الباحثين ، فادعى شوقي ضيف ان نحاة مصر والشام كانوا ينحون منحاة البغداديين ، ويسيرون باتجاه مدرسة بغداد[١٦٦] .

وذهبت خديجة الحديثي في احد قوليها الى مثل ما ذهب اليه شوقي ضيف حين قالت : « هذه مدرسة مصر والشام وهي مدرسة كانت تعتمد اول الامر اعتماداً كبيراً على مدرسة البصرة ، ثم سلكت على يد ابي علي الديوري وابي جعفر النحاس مسلك البغداديين ، وسارت على نهجهم في المزج بين المذهبين ، وقد اتضح هذا وضوحاً كبيراً في كتب ابن مالك الذي كان اختياريا »[١٦٧] .

وذهب عبد العال مكرم الى وجود مدرسة نحوية في مصر والشام ، وان هذه المدرسة اتجهت اتجاهين : الاول كان متأثراً بالنحو البصري ، والثاني لم ينكر النحو البصري ولم ينكر النحو الكوفي ، ولكنه ايضاً لم ينكر نفسه ، فقد كان له رأي في كثير من مسائل النحو وموضوعاته ، ومثل لهذا الاتجاه بابن مالك وابن هشام .[١٦٨]

وواضح ان ما ادعاه شوقي ضيف وتابعه فيه غيره ، هو ان نحاة مصر والشام اتجهوا اتجاها اختياريا ، وهو اتجاه اتسمت به مدرسة بغداد المزعومة ، لذا كان الاولى به ان يجعل هؤلاء النحاة امتداداً لهذه المدرسة ، والا يجعل منهم مدرسة رابعة .

وقد نفى المخزومي ان يكون لنحاة مصر والشام اتجاه غير اتجاه البصري ، بعد ان ناقش شوقي ضيف مناقشة طويلة ، خلص منها الى هذه الحقيقة[١٦٩] .

ونفى عبد الحميد حسن ان يكون لنحاة مصر والشام « مذاهب في النحو جديدة ، او اراء مستحدثة ، وجل ما هنالك انما هو دراسة لاراء المتقدمين واحياء لتراثهم ، وترجيح لبعض الاراء ، وتعليق عليها بالشرح والتدوين »[١٧٠] .

وذهب الى هذا ايضاً طارق الجنابي فقال : « ان النحو في مصر والشام كان بصرياً في الصورة والمنهج ، وطرائق البحث ، وان اغلب النحاة كانوا اسارى هذا القيد البصري ، لم يستطيعوا منه فكاكاً ، واي كتاب الف في هذا الوقت ، لن تجد فيه غير التمسك بالقياس ، وقصره على الشائع والذائع من كلام العرب ، وغير التعليلات المنطقية والتاويلات الفقهية والفلسفية التي ابعدت النحو البصري عن دائرة الدراسة اللغوية الصافية ، وصار النحو غاية لذاته لا وسيلة في فهم اللغة وتقويم الالسنة »[١٧١] .

وعادت خديجة الحديثي عن رأيها المشار اليه فقالت : « وخلاصة القول اننا لو تتبعنا اخبار النحويين الذين نسبوا الى مدرسة مصر لوجدنا ان معظمهم من البصريين الذين رحلوا اليها حاملين كتاب سيبويه او علمه ، او من غير المصريين الذين نزحوا اليها من الاندلس اوالمغرب او غيرهما ، ولاتضح انه لم يدخل مصر كتاب في النحو الكوفي ، ولا شيخ درس على الكوفيين »[١٧٢] اما الاندلس فقد بكر اليها النحو الكوفي او البغدادي اولا ،

وظل مسيطراً على حلقات الدرس فيها ، فقد ادخل جودي بن عثمان وهو اول نحوي اندلسي كتاب الكسائي ، وظل يدرس على طريقة الكوفيين حتى توفي عام ١٩٨ هـ ثم سار على طريقته من جاء بعده .(١٧٣) اما النحو البصري فقد تاخر ظهوره في الاندلس ، وكان الأفُشْنيق (ت ٣٠٧ هـ) من اوائل من حمله الى الاندلس واذاعه فيها(١٧٤) وتعاقب الدارسون بعده « وهم يتسمون بانهم ينزعون نزوعاً بصرياً واضحاً ، يلاحظ الدارس ذلك حين يستعرض الشيوخ الذين اخذوا عنهم المصنفات التي صنفوها ، حتى يكاد النحو عندهم لا يتجاوز حدود ما رسمه المبرد والزجاج والزجاجي واصحابهم ولم يلاحظ فيما صنفوا او قالوا شيئاً جديداً يمكن ان يعد اضافة »(١٧٥)

لقد انكمش النحو الكوفي (البغدادي) بعد ان بسط ظله على الاندلس زمنا طويلًا « ولكنه لم يضمحل فقد استطاع ان يظهر وهو ينبض في قوة في دعوة ابن مضاء الى احياء هذا الدرس في رده على النحاة »(١٧٦) .

فابن مضاء ـ كما يرى المخزومي ـ « نحوي على مذهب الكوفيين واذا لم يعلن انتسابه اليهم فاقواله والامثلة التي عرضها تنم على ارتباطه بالكوفيين ومذهبهم »(١٧٧) ويرى المخزومي ان الكسائي خاصة كان المؤثر الكبير في نحو ابن مضاء « لان ثقافة ابن مضاء القرآنية القائمة على السماع والرواية هي التي وجهته قِبَل المذهب الكوفي الظاهري السلفي بوجه عام ، وقِبَل الكسائي بوجه خاص ... وليس من قبيل المصادفة ان يرى ابن مضاء ان من الصواب ان يقال لمن يسأل عن علة رفع الفاعل : (كذا نطقت العرب) فقد سبقه الكسائي الى مثله ، فقال حين سئل عن (أي) وعن اختلاف احوالها ، وتعليل ذلك الاختلاف (اي كذا خلقت)(١٧٨) » .

فالنحو في الاندلس كما يرى المخزومي كان دائراً في فلك النحو البغدادي او الكوفي اولًا ، ثم في فلك النحو البصري ، حتى ظهر ابن مضاء (ت ٥٩٢ هـ) ويبدو ان فكرة (المدرسة الاندلسية) مجرد وهم وقع فيه طه الراوي الذي صنف النحاة فذكر انهم بصريون وكوفيون وبغداديون واندلسيون(١٧٩) ومحمد الطنطاوي الذي عرض لطوائف النحاة الاربع التي سبق لطه الراوي ان عرض لها ، ولكن « ما قدمه الدارسان الفاضلان انما هو محض افتراض ما زال يفتقر الى الدلائل والشواهد ، ولم يفلحا في تقديم هذه الدلائل بما عرضاه »(١٨٠) وعبد الحميد حسن الذي قال : « وقد استحدث الاندلسيون والمغاربة في النحو مذهبا رابعا الى جانب مذاهب البصريين والكوفيين والبغداديين ، ودعامة هذا المذهب هذه الاراء النحوية التي ابداها علماؤهم في بعض المسائل وقد اشير اليها في كتب النحو »(١٨١) .

اما شوقي ضيف فلم يقل ان الاندلسيين ابتدعوا مذهبا رابعا ، ولكنه رأى انهم نهجوا نهج البغداديين في الاختيار من اراء نحاة البصرة والكوفة ، واضافوا الى ذلك اختيارات من اراء البغداديين وخاصة ابا علي الفارسي وابن جني(١٨٢) .

وتابعته خديجة الحديثي التي قالت : « سار النحاة في الاندلس على العناية بالمذاهب الثلاثة ، واصبح النحو خليطاً منها » ، وقالت : « ومع ان النحاة اخذوا يعنون بهذه المذاهب الثلاثة ، ويمزجون بينها فان عناية النحويين الاندلسيين ظلت لا تتخطى كتاب سيبويه ، وظل الاندلسيون يتوفرون على الكتاب حتى اشتهر امره في البيئة الاندلسية ، واشتهر في العالم العربي انه لا توجد بيئة عربية اخرى بلغت في العناية بالكتاب وتحرير نصه وكشف غوامضه ما بلغته الاندلس ، مما دفع بالزمخشري الى ان يرحل في شبيبته عن خوارزم الى مكة لقراءته على نحوي اندلسي كان مجاوراً بها »(١٨٣) .

وما دام طابع النحو في الاندلس عند ضيف اختياريا ، فقد كان الاولى به ان يجعل هذا الاتجاه امتداداً لمدرسة بغداد التي اعتقد وجودها ، والا يسميه (مدرسة اندلسية) ، تحاشيا للاكثار من المدارس ، وتلافيا لهذا الترخص في اطلاق (مدرسة) على نحاة كل اقليم .

ويبدو ان خديجة الحديثي مترددة بين متابعة شوقي ضيف مرة ، وجعلها الاتجاه في الاندلس اختياريا ، وقولها مرة اخرى ان عناية الاندلسيين لم تتخط كتاب سيبويه ، وهذا اقرار بسيادة النحو البصري في ذلك الصقع ، وبان النحاة الاندلسيين لم يؤلفوا مدرسة مستقلة ، او اتجاها قائما بنفسه .

واذا كان نحو ابن مضاء في نظر المخزومي صدى للنحو الكوفي ، واحياء لسلطان هذا النحو الذي هيمن على بيئة الدرس في الاندلس بعض الوقت ، فان حلمي خليل ـ الذي ينكر النحو الكوفي ـ يعد دعوة ابن مضاء اتجاهاً جديداً ، وثورة على ما وضعت البصرة من اصول ، وكان خليقاً بهذا الاتجاه ان يؤلف مدرسة في الاندلس لو وجد له الانصار ، وسيطر على عقول الدارسين ، يقول حلمي خليل : « كان من الممكن ان نطلق فعلًا على الاندلس اسم المدرسة النحوية لو ان نظرية ابن مضاء القرطبي التي وضع اصولها في كتابه الرد على النحاة وجدت صدى فيما كتبه علماء اللغة والنحو من بعده ، ولكنها وقفت عند حدود الدعوة الى اعادة النظر فيما وضعته البصرة من اصول نحوية ومبادىء تحليلية ، دون ان يؤمن بها احد ، او يدافع عنها ، وقد كانت نظرية ابن مضاء جديرة بان تلفت نظر النحاة ، لانها نادت باصول فكرية ، ومناهج تحليلية جديدة تختلف عما وضعته البصرة »(١٨٤)

خاتمة
في قيمة موضوع (المدارس النحوية) واهميته

لقد لفت نظري ان بعض الذين كتبوا في موضوع (المدارس النحوية) يقللون من اهمية ، او يرون ان من العناء الذي لا طائل تحته ان يشغل الباحثون نفوسهم فيه ، فما دامت اللغة التي استنبط منها النحو العربي واحدة ، فان اختلاف الدارسين في النظر اليها ، وتباينهم في تفسير ظواهرها ، لم ينجم عنه نحو متعارض او متعدد[١٨٠]

وهذا يعني التقليل من اهمية المناهج التي تدرس في ضوئها لغة ما ، او تفسر بالاستناد اليها ، او الى معطياتها ظواهر تلك اللغة وقضاياها ، وهو رأي لا يؤيده الدرس الحديث . فصحيح ان اللغة موضوع الدرس واحدة ، وان خصائصها ثابتة ، لا يسع الدارس ان يحيد عنها مهما كان منهجه ، وايا كانت طبيعة نظرته ، ولكن النتائج التي سيخرج بها كل باحث في تفسير هذه الخصائص ، ستكون مغايرة للنتائج التي ينتهي اليها غيره ، وما هذا التباين في التفسير الا لاختلاف منهجيهما ، وتباين طبيعة نظر كل منهما .

واذا كانت النتائج التي يتوصل اليها كل منهج لا تغير واقع اللغة وخصائصها وظواهرها ، فانها ستكون ذات اثر كبير في فهم ابناء اللغة لذلك الواقع ، ومعرفتهم السبب الذي يفسر هذه الظاهرة او تلك الخصيصة .

فللنحو اذن وظيفتان : الاولى تسجيل ظواهر اللغة ، ووصفها كما ينطق بها اهلها ، والثانية تفسير هذه الظواهر ، وبحث اسبابها ، واذا كان المنهج الذي يتبعه الدارس لا يؤثر كثيراً في الوظيفة الاولى ، فانه يؤثر تأثيراً بالغا في الوظيفة الثانية ، اذ من المسلم به ان يتفاوت التفسير بحسب المنهج ، قربا وبعداً ، وضوحاً وغموضاً ، ومسايرة لطبيعة اللغة ، او مجافاة لتلك الطبيعة ، وسينعكس هذا التباين على متعلمي اللغة ، فيميلون الى تفسير دون اخر ، بل يكون فهمهم للاستعمال اللغوي احياناً ايسر او ادق تبعاً لنوع التفسير .

ومن هنا تأتي اهمية البحث في (المدارس النحوية) عند العرب ، وضرورة تحرير هذا الموضوع مما لحقه من مزاعم واجتهادات ، لتخلص لنا الحقائق واضحة جلية .

وها قد انتهى بنا البحث الى ان للعرب في دراسة اللغة والنحو منهجين : احدهما بصري والاخر كوفي ، وان اهل العصر الحديث مدعوون الى الاعتماد على المنهج الثاني بعد اصلاحه وتطعيمه بما توصل اليه الدرس الحديث ، لنعيد وصف العربية من جديد ، ونفسر ظواهرها وخصائصها تفسيراً بعيداً عن تكلف المناطقة ، وتعليلات الفلاسفة والمتكلمين ، وبذلك سيكون النحو العربي اكثر اشراقاً ، واصدق تمثيلًا للغة الضاد .

الهـوامـــش

(١) الفهرست : ١٠٢ .
(٢) الاصول : ٣١
(٣ - ٤) المدارس النحوية (شوقي ضيف) : ١٦ ، ١٧
(٥ - ٨) الاصول ٣١ ، ٣٢ .
(٩) المائدة : ٣٧ .
(١٠ - ١٤) الاصول : ٣٣ وينظر مصدره
(١٥ - ١٦) تاريخ النحو وأصوله : ٥٧ والمدارس النحوية (شوقي ضيف) : ١٧ وما بعدها ٥٦ ، ٥٧
(١٧) طبقات ابن سلام : ٥
(١٨) الفهرست : ١٠٢
(١٩ - ٢٠) المدارس النحوية (ضيف) : ٢٠ .
(٢١) المزهر : ١/ ٢٢١ ، ط. الحلبي
(٢٢ - ٢٣) المدارس النحوية (ضيف) : ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ .
(٢٤ - ٢٥) طبقات النحويين واللغويين : ١٥٢ ، ١٥٣
(٢٦) الفهرست : ٨٥
(٢٧) المدارس النحوية (الحديثي) : ١٥
(٢٨) تاريخ الادب العربي : ٢/ ١٢٤ ، ١٢٥
(٢٩) المدارس النحوية (الحديثي) : ٢١
(٣٠) ابو زكريا الفدا : ٣٥٢ وينظر مصدره .
(٣١) مدرسة الكوفة : ٦٥
(٣٢) ابو زكريا الفراء : ٣٥٢
(٣٣) القاموس المحيط (نهب) .
(٣٤) المدارس النحوية (ضيف) : ١٥٣ .
(٣٥ - ٣٦) مدرسة الكوفة : ٦٥ ، ٦٧
(٣٧) المدارس النحوية (ضيف) : ١٥٣ ، ١٥٤ .
(٣٨) مجلة الضاد ، ٣
(٣٩) مدرسة الكوفة : ٦٨
(٤٠) المدارس النحوية : ١٥٣ ، ١٥٤ .
(٤١) المدارس النحوية (ضيف) : ١٥٤ .
(٤٢) تاريخ الشعوب الاسلامية :٢/ ٢٧
(٤٣) مدرسة الكوفة : ٦٨
(٤٤) معجم الادباء : ١٣/ ١٦٩
(٤٥ - ٤٦) مدرسة الكوفة : ٦٩ وينظر مصدره .
(٤٧) معجم الادباء : ٢٠/ ١٠
(٤٨ - ٥٣) الاصول : ٣٨ ، ٣٩ وما بعدها
(٥٤ - ٥٥) المدارس النحوية (ضيف) : ١٥٨ ، ١٥٩

(٥٦) ضحى الاسلام : ٢ / ٢٩٦
(٥٧) مناهج تجديد : ٨١
(٥٨) نظرات في اللغة والنحو : ٤٢
(٥٩ - ٦٠) من تاريخ النحو : ٧٤ ، ٧٥ .
(٦١) دروس في المذاهب النحوية : ١٢ .
(٦٢ - ٦٣) الاصول : ٤٣ ، ٣٧
(٦٤ - ٦٥) مدرسة الكوفة : ٣٨٠ وينظر مصدره
(٦٦) المدارس النحوية : ١٦١
(٦٧) المدارس النحوية (الحديثي) : ٩٥
(٦٨)العربية : ٦١
(٦٩) تاريخ النحو وأصوله : ١٧٦
(٧٠ - ٧٢) مدرسة الكوفة : ٣٥٠ ، ٣٥١ وينظر مصدره
(٧٣ - ٧٤) الدرس النحوي في بغداد : ٩٧
(٧٥) مدرسة الكوفة : ٣٧٥
(٧٦ - ٧٧) الدرس النحوي في بغداد : ٩٨ .
(٧٨) معجم الابناء : ١٣ / ١٦٨
(٧٩ - ٨٠) الدرس النحوي في بغداد : ١٠٠
(٨١ - ٨٣) المدارس النحوية : ١٥٦
(٨٤ - ٨٦) تاريخ النحو واصوله : ١٧٨ ، ١٧٩ وينظار مصدره
(٨٧) مدرسة الكوفة : ٣٥٢ وينظر مصدره
(٨٨) تاريخ الشعوب الاسلامية : ٢ / ٢٨ ، ط بيروت
(٨٩ - ٩٣) المدارس النحوية : ٤٠ ، ١٤٢ ، ١٥٣ ، ١٤٦ ، ١٤٧ .
(٩٤ - ٩٥) تقويم الفكر النحوي : ٢٤٣ ، ٢٤٤
(٩٦) العربية وعلم اللغة البنيوي : ٤٢ وينظر : البحث اللغوي عند العرب : ٩٩ ، ١٠٠
(٩٧ - ١٠٣) العربية وعلم اللغة البنيوي : ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ .
(١٠٤ - ١٠٧) الدرس النحوي في بغداد : ١٨٦ ، ١٨٨ .
(١٠٨) المدرسة البغدادية : ٥٢
(١٠٩) المدارس النحوية (الحديثي) : ٢٥٩
(١١٠) ضحى الاسلام : ٢ / ١٩٣
(١١١) نشأة النحو : ١٣٥ ، ١٣٦
(١١٢) المدارس النحوية : ١٦٠
(١١٣) نشأة النحو : ٢٣٦
(١١٤) في اصول النحو : ٢٢٩ .
(١١٥ - ١١١٦) الدرس النحوي في بغداد : ٢٤٠ ، ٢٤١
(١١٧ - ١١٩) المدارس النحوية (ضيف) : ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ وما بعدها .
(١٢٠) نظرات في اللغة والنحو : ٩ ، ١١
(١٢١) ابن الانباري في كتابه الانصاف : ٢٨٨ .
(١٢٢) المدارس النحوية : ٣٩٥
(١٢٣) ما ينصرف وما لا ينصرف : ١٢
(١٢٤) القواعد النحوية : ١٠٥ .
(١٢٥) مدرسة البصرة النحوية : ٥٢٨ .
(١٢٦) البحث اللغوي عند العرب : ٩٨
(١٢٧) دروس في المذاهب النحوية : ١٥٩ ، ١٦٠ .
(١٢٨ - ١٣٤) المدرسة البغدادية : ١١٥ ، ١١٦ ، ١٢٨ وما بعدها
(١٣٥ - ١٣٦) ابو علي الفارسي : ٤٤٧
(١٣٧ - ١٣٩) ابن جني النحوي : ٢٥١ - ٥٢٥
(١٤٠) الرماني النحوي : ٣٤ ، ط ١ ، ١٩٦٣
(١٤١) ابو الحسن بن كيسان وآراؤه في النحو واللغة : ٢٠١
(١٤٢) ابن الحاجب النحوي : ١٧
(١٤٣ - ١٤٤) مدرسة الكوفة : ٧٠
(١٤٥ - ١٤٩) الدرس النحوي في بغداد : ١٨٦ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١١ .
(١٥٠) نزهة الالباء : ٢٤٠
(١٥١ - ١٥٣) الدرس النحوي في بغداد : ٢١٦ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ وينظر مصدره .
(١٥٤) الخصائص : ١ / ١٩٩
(١٥٥) الدرس النحوي في بغداد : ٢٢٠
(١٥٦) طبقات الزبيدي : ١٠
(١٥٧) الدرس النحوي في بغداد : ١٩٩
(١٥٨) اختلف القدماء في ابن كيسان فقد عده الزبيدي كوفيا ، وجعله السيرافي بصرياً ، وذهب المخزومي والياسري من المحدثين الى انه بصري
(١٥٩ - ١٦٦) الدرس النحوي في بغداد : ٧٥ ، ٨٣ ، ١٩٩ ، ٢٢٧ ، بتصرف قليل ، ٢٣١
(١٦٧) ابو حيان النحوي : ٣٦٨
(١٦٨) القرآن الكريم واثره في الدراسات النحوية : ١٧٩
(١٦٩) الدرس النحوي في بغداد : ١٦٠ وما بعدها
(١٧٠) القواعد النحوية : ١٣٣
(١٧١) ابن الحاجب النحوي : ٢٤
(١٧٢) المدارس النحوية : ٣٤٥
(١٧٣) طبقات النحويين واللغويين : ٢٥٦ ، ٢٥٧
(١٧٤) المدارس النحوية (ضيف) : ٢٨٩
(١٧٥ - ١٧٨) الدرس النحوي في بغداد : ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٠
(١٧٩) نظرات في اللغة والنحو : ٨ وما بعدها
(١٨٠) نشأة النحو : ١٨٩ والدرس النحوي في بغداد : ١٨٣ .
(١٨١) القواعد النحوية : ١٢٠
(١٨٢ - ١٨٣) المدارس النحوية : ٢٩٢ - ٢٩٥ ، ٢٩٦
(١٨٤) العربية وعلم اللغة البنيوي : ٤٣
(١٨٥) المدارس النحوية (الحديثي) : ١٩ ، ٢٠ . وتقويم الفكر النحوي : ٢٤٣ ، ٢٤٤

المصـــادر

● ـ القرآن الكريم .

● ـ ابن الانباري في كتابه الانصاف في مسائل الخلاف ، د . محيي الدين توفيق ، الموصل ١٩٧٩ .

● ابن جني النحوي ، د . فاضل صالح السامرائي ، بغداد ١٩٦٩ .

● ابن الحاجب النحوي ، د . طارق عبد عون الجنابي ، بغداد ١٩٧٤

● ـ ابو الحسن بن كيسان واراؤه في النحو واللغة ، د . علي مزهر الياسري ، بغداد ١٩٧٩

● ابو حيان النحوي ، د . خديجة الحديثي ، ط ١ ، بغداد ١٩٦٩ .

● ابو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة ، د . احمد مكي الانصاري ، القاهرة ١٩٦٤ .

● ابو علي الفارسي حياته ومكانته بين ائمة اللغة العربية واثاره في النحو والقراءات د . عبد الفتاح اسماعيل شلبي ، القاهرة ١٣٧٧ هـ

● الاصول ، د . تمام حسان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢

● البحث اللغوي عند العرب ، د . احمد مختار عمر ، دار المعارف بمصر ١٩٧١

● تاريخ الادب العربي ، بروكلمان ، ترجمة د . عبد الحليم النجار ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٢ .

● تاريخ الشعوب الاسلامية ، بروكلمان ، ترجمة د . نبيه فارس ورفيقه ط ١ بيروت

● تاريخ النحو واصوله ، د . عبد الحميد السيد طلب ، الناشر مكتبة الشباب د . ت

● تقويم الفكر النحوي ، د . علي ابو المكارم ، دار الثقافة ـ بيروت ط ١ ، ١٩٧٥

● الخصائص ، ابن جني ، تحـ . محمد علي النجار ، ط . دار الكتب بالقاهرة .

● الدرس النحوي في بغداد ، د . مهدي المخزومي ، بغداد ١٩٧٥

● دروس في المذاهب النحوية ، د . عبده الراجحي ، بيروت ١٩٨٠

● الرماني النحوي ، د . مازن المبارك ط ١ ، ١٩٦٣

● ضحى الاسلام ، احمد امين ، ط ٣ ، ١٩٥٢

● طبقات الشعراء ، ابن سلام ، تحـ . جوزيف هل ، ط . لايدن ١٩١٦

● طبقات النحويين واللغويين . ابو بكر الزبيدي ، تحـ . محمد ابي الفضل ابراهيم ، دار المعارف .

● العربية ، يوهان فك ، ترجمة د . عبد الحليم النجار ، القاهرة ١٩٥١

● العربية وعلم اللغة البنيوي ، د . حلمي خليل ، الاسكندرية د . ت .

● الفهرست ، ابن النديم ، المكتبة التجارية ، وطبعة فلوجل .

● في اصول النحو ، سعيد الافغاني ، ط ٢ ، ١٩٦٤

● القاموس المحيط ، الفيروز آبادي .

● القرآن الكريم واثره في الدراسات النحوية ، د . عبد العال مكرم ، دار المعارف ١٩٦٨ .

● القواعد النحوية مادتها وطريقتها ، عبد الحميد حسن ، ط ٢ ، بالقاهرة ١٩٥٣

● ما ينصرف وما لا ينصرف ، ابو اسحاق الزجاج ، تحـ . هدى قراعة ، القاهرة ١٩٧١ .

● المدارس النحوية اسطورة وواقع ، د . ابراهيم السامرائي ط ١ ، ١٩٨٧ عمان . ● المدارس النحوية ، د . خديجة الحديثي ، بغداد ١٩٨٦

● المدارس النحوية ، د . شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ١٩٦٨

● مدرسة البصرة النحوية نشاتها وتطورها د . عبد الرحمن السيد . دار المعارف بمصر ١٩٦٨

● المدرسة البغدادية في تاريخ النحو العربي ، د . محمود حسني محمود ، ط ١ ، ١٩٨٦

● مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، د . مهدي المخزومي ط ٢ ، ١٩٥٨

● المزهر في علوم اللغة وانواعها ، السيوطي ، تحـ . احمد جاد المولى ورفيقه مطبعة البابي الحلبي .

● معجم الادباء ، ياقوت الحموي ، مطبعة دار المأمون .

● مناهج تجديد ، امين الخولي ، ط ١ ، ١٩٦١

● من تاريخ النحو ، سعيد الافغاني ، دار الفكر ، د . ت

● نزهة الالباء في طبقات الادباء ، ابو البركات الانباري تحـ . د . ابراهيم السامرائي بغداد ١٩٥٩

● نشاة النحو ، محمد الطنطاوي ، ط ٤ ، ١٩٥٤

● نظرات في اللغة والنحو ، طه الراوي ، بيروت ط ١ ، ١٩٦٢ .

من المجلات

● مجلة الضاد ، الجزء الثالث .

حتى في كتب النحو

أ. د علي محسن عيسى مال الله
كلية العلوم الاسلامية - جامعة بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

حتى حرف من الحروف المهمة التي وردت في اساليب لغتنا وجاءت متناثرة في كتب النحو، وتراثنا الخالد. ويبدو ان الباحثين لم يعطوا هذا الحرف حقه من الدراسة والبحث في تصوري المتواضع. لذلك عقدت العزم على دراسته وعلى بحثه. لعلي اكون موفقاً للم شتاته، ومن ثم اعطاء صورة واضحة جلية عنه.

وقد اعتمدت في دراسته، على الكتاب لسيبويه، والمقتضب للمبرد، والاصول في النحو لابن السراج، والجمل في النحو للزجاجي وعلى كثير من المصادر التي دونتها في قائمة المصادر. ولما جمعت المادة، واستقر في ذهني هيكل البحث وخطوطه العريضة قسمته على اربعة انواع تناولت في النوع الاول حتى الجارة والثاني حتى العاطفة، وفي الثالث (حتى) الابتدائية، وفي الرابع حتى الناصبة للفعل المضارع. ثم انهيت الموضوع بخاتمة أوجزت فيها النتائج التي توصلت اليها، هذا والله من وراء القصد

★/حتى في كتب النحو

قسم النحاة (حتى) على الاقسام الاتية :-
أولاً : حتى الجارة .
ثانياً حتى العاطفة .
ثالثاً حتى الابتدائية .
رابعاً حتى الناصبة للفعل المضارع .

أولاً حتى الجارة

حتى الجاره ومعناها انتهاء الغاية(١) فهي بمنزلة « الى » في مذهب البصريين وانها جارة بنفسها(٢) . وذهب الفراء الى نفس المعنى وذكر ان حتى بمعنى (الى)(٣) .. واشهر معانيها كما نوهنا ينصرف الى ما ياتي :-

أ – الدلالة على انتهاء الغاية ، ويشترط في مجرورها اولاً(٤) ان يكون اسماً ظاهراً(٥) . كقوله تعالى :
« ثُمَّ بدا لَهُم مِنْ بعدِ مَا رأوُا الاياتِ ليَسْجِنُنَّهُ حتَّى حِينٍ »(٦) .
ونحو قوله تعالى :-
« وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين »(٧)
ونحو قوله تعالى :-
« سلام هي حتى مطلع الفجر »(٨)
او نحو : قرأت الكتاب حتى الصفحة الاخيرة . هذا مذهب البصريين

ولا يصح عند سيبويه ان تكون « حتى » خافضة للضمير ففي معرض كلامه عن « الى » ذكر « وهي اعم في الكلام من « حتى » تقول قمت اليه فجعلته منتهاك من مكانك ، ولا تقول حتاه »(٩) . غير ان الكوفيين ، والمبرد جوزوا ان يكون مخفوضها ضميراً واستشهدوا بقول الشاعر(١٠) :

فـــلا والله لا يلقى انـــاس
فتى حتـــاك يـــا ابن يـــزيـــد(١١)

او نحو قوله : -(١٢)

انت حتـــاك تقصـــد كـــل فـــج
تـــرجي منـــك انهـــا لا تخيب(١٣)

او نحو قوله :-(١٤)

واعطيـــه مـــا يـــرجـــو واوليـــه ســؤلـــه
والحقـــه بـــالقـــوم حتـــاه لاحق(١٥)

ولم يكتف المبرد بان يجعل ضميرها مخفوضاً كما مثلنا ، بل انه جوز ان يكون الضمير بعدها منصوباً مثل « حتى اياه » او مرفوعاً مثل « حتى هو »(١٦) .

وهذه الامثلة في الخفض او النصب ، او الرفع ، تعدُ حالات شاذة ، ولا يأخذ بها البصريون وتعد في الشعر ضرورة شعرية(١٧) .

ثانياً :- ان يكون مجرورها جزءاً من كل ، او ملاقياً اخر جزء منه .

فمثال الاول : اكلت السمكة حتى رأسها ، اذ يجب ان يتم الاكل شيئاً فشيئاً حتى ياتي على نهايتها(١٨) . لذلك لا يصح على ارجح الاراء ان نقول : اكلت السمكة حتى نصفها ، او ثلثها ، ولو ان بعضهم جوز ذلك(١٩) .

ومثال الثاني : – كما اشرت الى الامثلة السابقة « حتى حين » ، او « حتى مطلع الفجر » . او نحو :- سرت النهار حتى الليل . وغيرها من الامثلة التي لا تقع تحت حصر .

ب – ولحتى الداخلة على الفعل المضارع المنصوب ثلاثة معان(٢٠) :-

اولاً : – حتى المرادفة لـ « الى » وهي تفيد الغاية كذلك نحو قوله تعالى : – « لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى »(٢١) ، ونحو قوله تعالى :-
« فلن ابرح الارض حتى يأذن لي ابي »(٢٢) . ونحو : يمتد الليل حتى يطلع الفجر ، وتسرع السيارة حتى تدخل المدينة .

فالمصادر المؤولة من «أن والفعل » بعد حتى في الجمل السابقة تكون في محل جر بـ « حتى » .

وزاد ابن مالك من اقسام مجرورها ان يكون مصدراً من « ان وفعل ماض » نحو قوله تعالى :- « حتى عفوا وقالوا » ، وساشرح هذا الرأي في حتى الابتدائية . وحتى الجارة هذه هي اكثر استعمالاً في لغة العرب .

ثانياً :– حتى المرادفة لـ « كي » وتسمى « حتى التعليلية » وسميت بالتعليلية لان ما قبلها كان سبباً وعلة لما بعدها نحو قوله تعالى :-
« ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا »(٢٤) ونحو قوله تعالى :-
« هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا »(٢٥)
ونحو قوله تعالى :-
« فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله »(٢٦) .
ونحو قولك :-

اسلم حتى تدخل الجنة

ونحو :-

أقرأ الكتب حتى اتعلم

ونحو :-

يذهب خالد الى السوق حتى يشتري الملابس .

فالمصادر المؤولة من « ان والفعل بعد حتى » في الجمل السابقة كذلك تكون في محل جر بـ « حتى » – وهي اقل شيوعاً من اختها السابقة واعني بها « حتى » المرادفة لـ « الى » .

ثالثاً :- حتى الاستثنائية المرادفة لـ « الا »(٢٧) .. وتكون « الا بمعنى لكن المخففة » واكثر ما يكون الاستثناء بعدها منقطعاً ، وقد يأتي متصلاً احياناً ، ولعل الجمل الاتية توضح ما ذهبنا اليه .

ذكر سيبويه في تفسير قولهم :-

« والله لا افعل الا ان تفعل . فان تفعل في موضع نصب ، والمعنى حتى تفعل »[٢٨] .

وذكر العكبري [٢٩] نحو ذلك في قوله تعالى :-

« وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة »[٣٠] قيل ان معنى حتى بمعنى « الا » اي وما يعلمان من احد الا ان يقولا[٣١] .

او نحو قوله تعالى :-

« لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون »[٣٢] . وتقدير « حتى تنفقوا » ، « الا ان تنفقوا » .

وذهب ابن مالك الى هذا التفسير في معنى حتى واستشهد بقول الشاعر :-[٣٣]

ليس العطاء من الفضول سماحة
حتى تجود وما لديك قليل

وتقدير « حتى تجود » « الا ان تجود » . وذهب بعض النحاة الى ان معنى حتى هنا « غائية » اذ يقدرون « الى ان تجود »[٣٤] .

لا اقوم حتى يقوم . والمعنى « الا ان يقوم »[٣٦]

او نحو قول الشاعر :-[٣٧]

والله لا يذهب شيخي باطلا
حتى ابير مالكاً وكاملاً[٣٨]

وتقدير « حتى ابير » « الا ان ابير » .

او نحو قول احمد شوقي :[٣٩]

وما السلاح لقوم كل عدتهم
حتى يكونوا من الاخلاف في اهب[٤٠]

وتقدير « حتى يكونوا » « الا ان يكونوا » .

او نحو : لا يصلح الوالي للحكم حتى يلتزم العدل ويحرض عليه . وتقدير « حتى يلتزم » « الا ان يلتزم » .

او نحو : لا يذهب دم القتيل هدراً حتى تثار له الحكومة[٤١] . وتقدير « حتى تثار » الا ان تثار » .

المستثنى الذي جاء في الجمل السابقة بعد « حتى » غالباً ما يكون مستثنى منقطعاً ، وقد ياتي احياناً مستثنى متصلاً كما اشرت الى ذلك في الهوامش .

اما المصادر المؤولة التي وردت بعد حتى « فهي في محل جرّ بـ« حتى » التي هي بمعنى « الا »[٤٢] فحتى تعمل الجر ، ولو كان معناها الاستثناء فشانها شان خلا ، وحاشا ، وعدا ، والثلاثة حروف جر ، وان كان معناها الاستثناء[٤٣]

وحتى هذه واعني بها « المرادفة » لـ « الا » هي ما اضافه ابن مالك الى معنى « حتى » السابقين[٤٤] . ويشير بعض النحاة الى ان معناها « الى ان » وان تكون للغاية . لذلك نرى استعمالاتها في اللغة العربية قليلة ، والى ذلك اشار ابن هشام فذكر ان حتى حرف بمعنى « الا » في الاستثناء وهذا اقلها وقل من يذكرها[٤٥] .

وعلق باحث اخر فذكر ان من معاني « حتى » الدلالة على الاستثناء وهذا اقل استعمالاتها ، ولا يلجأ اليه الا بعد القطع بعدم صحة واحد من المعنيين السابقين ، يعني « حتى الغائية » « وحتى التعليلية » واستمر في تعليقه فذكر ان من المستحسن ان نقلل من استعمال « حتى » بهذا المعنى قدر الاستطاعة لان فهمها ، والتمييز بينها وبين نوعيها الآخرين لا يخلو من صعوبة ، ولان كثيراً من النحاة لا يؤمن بكونها بمعنى « الا » الاستثنائية[٤٦] ، وانما عدها بعضهم بمعنى « الى ان » اي « حتى الغائية » كما المحت الى ذلك ، ونتيجة لدراستي لـ« حتى » هذه لا يسعني الا ان ارجح الرأي الاخير بخصوص استعمالاتها في اللغة العربية ، لان اللبس يقع بينها وبين النوعين الاخرين ، ولا يدركه الا المتخصص اللبيب الذي يعرف اساليب العربية ودقائقها .

وقبل ان انتهي من دراستي لـ« حتى » الجارة لابد لي من ان اشير الى رأي الكسائي ، وفحواه ان الاسم ينخفض بعد حتى بـ « الى » مضمرة او مظهرة[٤٧] نحو قوله تعالى :- « سلام هي حتى مطلع الفجر » . فالجار مطلع اضمار « الى » اي حتى انتهى الى مطلع الفجر[٤٨] .

غير ان من دلالات « حتى » عند البصريين انه لا يجوز ان تكون « الى » مقدرة بعدها على نحو ما ذهب اليه الكسائي اذ ان « حتى » تقوم مقام « الى » نحو قولهم :- اقم حتى يقدم زيد ، وسر حتى تطلع الشمس فيصلح ان تقوم مقامها « الى » فتقول اقم الى ان يقدم زيد وسر الى ان تطلع الشمس .

ومن دلالاتها كذلك حذف الف « ما » الاستفهامية بعدها وبعد الى ، وعلى ، والباء ، وفي ، وكي ، وعن . نحو : حتام ، وعلام ، وبم ، وفيم ، وكيم ، وعم . والاصل فيها « حتى ما » وما للاستفهام ، فلو لم يكن حتى حرف جر لما جاز حذف الالف من « ما » لان « ما » لا يحذف الفها الا ان يدخل عليها حرف جر[٤٩]

ومن هذا النحو قول الشاعر :-[٥٠]

فتلك ولاة السوء قد طال ملكهم
فحتام حتام العناء المطول[٥١]

وذكر بعض النحاة ان الاسم المجرور بعد حتى لا يجوز ان يكون نكرة نحو : اقم عندنا حتى شهر ، او حتى يوم ، الا ان تريد مقدار ذلك فان قلت اقم عندنا حتى تمام اثنتي عشرة ساعة ، ومنه قوله تعالى « ليسجننه حتى حين » كانه اراد الموت او زماناً محدداً . او نحو : اقم عندنا حتى قليل نقضي حاجتك فيها » ، يريد ان يكون الاسم بعد حتى معرفاً ، ومحدداً بطريقة او باخرى حتى ينجر بها . غير ان الكسائي جوز ذلك وجاء بالاسم النكرة مجروراً بعد حتى نحو :-

اقم عندنا حتى شهر، او حتى عصر، فخفض وهو غير جائز(٥٢).

وخلاصة القول في « حتى الجارة » انها تجر الاسم الصريح، والمصدر المؤول من « ان والفعل المضارع » على نحو ما اوضحناه.

ثانياً : – حتى العاطفة

تكون « حتى » عاطفة باربعة شروط نذكرها فيما ياتي : –

اولاً :– ان يكون معطوفها اسماً – فلا يصح ان يكون فعلاً ولا حرفاً ولا جملة نحو : –

قدم الجيش حتى المشاة، وشاهدت الجيش حتى المشاة، ونظرت الى الجيش حتى المشاة.

وذكر ابن الخباز(٥٣)، اذا عطف ب « حتى » على مجرور لزم اعادة الجار فرقاً بينها، وبين الجارة، اما ابن عصفور(٥٤) فذكر ان الاحسن اعادة الجار ليقع الفرق بين العاطفة، والجارة.

مثال ذلك : مررت بالقوم حتى بخالد. ونحو :–

اعتكفت في الشهر حتى في اخره.

فتعيد الباء، وفي لانك لو لم تعدهما لا لتبست بالجارة(٥٥) اما ابن مالك فذكر انه لزم اعادة الجار ما لم يتعين العطف(٥٦)، يريد ان يقول اذا وقع العطف بلا التباس فلا داعي الى اعادة الجار في معطوفها، على نحو ما بينا، او نحو قولهم : –

عجبت من القوم حتى بنيهم.

او نحو قول الشاعر :–(٥٧)

جود يمناك فاض في الخلق حتى
بائس دان بالاساءة دينا

وفي هذين المثالين جعل ابن مالك « حتى » عاطفة لانه لم يقع لبس. غير ان بعضهم رده على ذلك فذكر ان حتى في هذين المثالين هي جارة(٥٨).

غير ان بعض النحاة كابي الحسن الاخفش(٥٩) يعطف فعلاً على فعل اذا كانت حتى سبباً كالفاء نحو : –

ما تاتينا حتى تحدثنا.

وبعضهم يعطف جملة على جملة نحو : –

ضربت زيداً حتى قتلته. فيعطف جملة « قتلته » على جملة « ضربت ».

او نحو : – ضربته حتى هو مقتول. فيعطف جملة « هو مقتول » على جملة « ضربت ».

او نحو :– قام حتى اعيا، وبكى حتى عمي. فيعطف جملة « اعيا » على جملة « قام ». ويعطف جملة « عمي » على جملة « بكى »(٦٠).

ويذهب الى هذا المذهب ابن السيد البطليوسي(٦١)، فيعطف كذلك جملة على جملة نحو قول امرىء القيس :–

سريت بهم حتى تكل مطيهم
وحتى الجياد ما يقدن بارسان

فيمن رفع « تكل » اي ان جملة « تكل مطيهم » معطوفة ب « حتى » على جملة « سرين بهم »(٦٢).

او نحو :– اكرمت زيداً بكل ما اقدر عليه حتى جعلت نفسي له حارساً.

او نحو :– بخل علي زيد بكل شيء حتى منعني دانقاً(٦٣).

وفي هذين المثالين يعطف جملة « جعلت » على جملة « اكرمت » وجملة « منعني » على جملة « بخل »(٦٤).

غير ان الجمهور يعدون هذه الامثلة. اما خطأ واما على تاويل الافعال التالية بعد حتى بمصادر تجريها(٦٥).

ثانياً :– ان يكون معطوفها اسماً ظاهراً، اي لا يكون ضميراً، ولا مصدراً مؤولاً(٦٦).

نحو :– جلس الطلاب حتى خالد، وشاهدت الطلاب حتى خالداً وسلمت على الطلاب حتى خالد.

ولقد ذكرت مثل هذه الامثلة في الشرط الاول من – حتى العاطفية – غير انني هنا اردت الامعان في التوضيح.

وكما ذكرت ان معطوفها لا يكون ضميراً اذ لا يصح ان نقول : – جاء الطلاب حتى « انت » او سافر الناس حتى « انا » او ابصرت الرجال حتى اياك ». وجوز مثل ذلك الفراء :– نحو :– قام القوم حتى « انت ». فعطف « انت » وهو ضمير على القوم.

ونحو :– ضربت القوم حتى « اياك » فعطف « اياك » على القوم ولا يجوز عنده. نحو : ضربت القوم « حتاك » فلا يعطف « وحتاك » على القوم. الا اذا اتينا بتابع مخفوض نحو :– مررت بالقوم « حتاك » عند ذلك يعطف « حتاك » على القوم. غير ان المبرد جوز اتصال حتى بالضمير في شتى صوره، وقد اوضحنا ذلك فيما سلف.

وذكر الفراء ايضاً انه اذا جعلت حتى معترضة بعد الاسماء، وقبل الفعل الذي نسقت عليه فقلت :–

القوم حتى عبد الله قاموا.

ونحو :– القوم حتى عبد الله قيام. فهو يجوز عطف عبد الله في كلا المثالين، غير انه يستدرك فيذكر ان الجر احسن، اي « حتى عبد الله »(٦٧).

واستطرد الفراء فذكر ان « حتى » اذا استوفت مشروعها كي تكون عاطفة، فاذا اقترن بالكلام قرينة تدل على ان الاسم بعدها غير شريك لما قبلها في الحكم فلا يجوز فيه العطف. نحو :–

صمت الايام حتى يوم الفطر. اي انك لن تعطف يوم الفطر على الايام، لان يوم النظر من الايام التي لا يصوم فيه المسلم عادة.

اما اذا اقترن بالكلام قرينة تدل على ان الاسم بعدها شريك فلا يجوز الا العطف نحو :–

ضربت القوم حتى زيداً ايضاً(٦٨).

اما المصدر المؤول فنحو :–

اقرأ المجلات العلمية حتى اقرأ مجلة العلوم.

حتى اقرأ « حتى حرف، واقرأ فعل مضارع منصوب بان

مضمرة وجوباً بعد حتى والمصدر المؤول بعد حتى من « ان والفعل اقرأ » لا يصح ان نعطفه على « المجلات » لان معطوفها – كما المعنا الى ذلك – لا يصح الا ان يكون اسماً ظاهراً صريحاً .

ثالثاً :– ان يكون معطوفها بعضاً او جزءاً من المعطوف عليه اما بالتحقيق ، واما بالتاويل[٦٩] .

اما التحقيق فيعد بعض كل واحد من ثلاثة انواع :–

١ – ان يكون جزءاً من كل نحو :– اكلت السمكة حتى رأسها[٧٠] .

وقرأت الكتاب حتى الصفحة الاخيرة .

وهذيت القوم حتى خالداً .

فتعطف « رأسها » على السمكة ، « والصفحة » على الكتاب ، و « خالداً » على القوم اي تعطف منصوباً على منصوب .

فلا يجوز : ضربت الرجلين حتى افضلهما . لان – افضلهما « ليسا جزءاً من اجزاء المعطوف – اعنى الرجلين – ولا واحداً من جميع .

غير ان الفراء اجاز في التابع انه يكون ليس من جنس المتبوع نحو قوله :– ان كلبي ليصيد الارانب حتى الظباء . ونحو :– ان زيداً ليقتل الرجالة حتى الفرسان . فيعطف الظباء على الارانب ، والفرسان على الرجالة نصباً . وهذا خطأ عند البصريين لان التابع لم يكن من جنس المتبوع[٧١] .

٢ – ان يكون فرداً من جمع نحو قولهم : قدم الحجاج حتى المشاة . فيعطف المشاة على الحجاج اي يعطف مرفوعاً على مرفوع . وهنا عد المشاة كمفرد .

٣ – ان يكون نوعاً من جنس نحو : اعجبني التمر حتى البرني . فيعطف البرني على التمر اي يعطف مرفوعاً على مرفوع كذلك ، او بالتاويل كقول الشاعر[٧٢] :–

القى الصحيفـــــة كي يخفف رحلـــــه
والـــــزاد حتى نعلـــــه القـــــاهـــــا

فيمن نصب « نعلهُ » فان ماقبلها في تاويل القى ما يثقله من متاع ، وبعدئذ عطف نعله على « الزاد » اي عطف منصوباً على منصوب . ونتيجة لاهمية هذا البيت في بحثنا ساعريه في الهامش بالتفصيل[٧٣] .

او شبيه ببعض نحو قولك :– اعجبتني الجارية حتى كلامها . ويمتنع حتى ولدها . فيعطف كلامها على الجارية رفعاً .

او نحو : ادهشني الخطيب حتى نبرات صوته ، ويمتنع حتى « صديقه » . فيعطف نبرات صوته على الخطيب رفعاً كذلك .

ثانياً :– ان يكون معطوفها في زيادة حسية نحو :–

محمد يحسب الاعداد الكثيرة حتى الالوف . فيعطف الالوف نصباً على الاعداد .

او معنوية : نحو مات الناس حتى الانبياء ، والملوك . فيعطف الانبياء على « الناس » رفعاً.

او في نقص كذلك نحو :–

المؤمن يجزي بالحسنات حتى مثقال الذرة . فيعطف مثقال الذرة على الحسنات جراً .

او نحو : غلبك الناس حتى الصبيان والنساء[٧٤] .

او نحو : جاء الطلاب حتى الاطفال . فيعطف الصبيان على الناس رفعاً كما يعطف الاطفال على الطلاب رفعاً كذلك .

وقد اجتمعت القوة والضعف في قول[٧٥] الشاعر[٧٦] :–

قهـــــرنـــــاكم حتى الكمـــــاة فـــــأنتم
تهابوننا حتى بنينا الاصاغرا[٧٧]

فيعطف الكماة على الضمير « الكاف » في « قهرناكم » نصباً . ويعطف « بنينا » على الضمير « نا » في « تهابوننا » نصباً كذلك .

ومن شروط « حتى » بالاضافة الى ما ذكرنا ان لا يكون معطوفها نكرة ، فلا يجوز ان نقول :– جاء القوم حتى رجل[٧٨] . اما اذا خصصت هذا الرجل فنقول : جاء القوم حتى رجل شجاع فيهم جاز لك ان تعطف « رجل » على القوم رفعاً .

وبعد ان اشرنا الى الشروط التي يجب ان تتوافر في « حتى » كي تكون عاطفة . فلابد ان نذكر اراء النحاة التي لم نشر اليها فيما يأتي :–

لقد ذكر سيبويه ان حتى حرف عطف تجري مجرى الواو ، وثم[٧٩] . غير ان ابا الحسن الاخفش ذكر انها تكون كالفاء اذا كانت سبباً فتعطف الفعل على الفعل[٨٠] على نحو ما مثلنا .

اما الرماني فذكر انها تجري مجرى الواو في العطف[٨١] .

وذهب الى ذلك ابن جنى في اللمع ، وقال تكون عاطفة كالواو[٨٢] .

غير ان بعض النحاة علق على هذا القول فذكر انها اضعف من الواو في استعمالاتها[٨٣] .

اما الزمخشري فذهب الى ان حتى ، والفاء ، وثم تقتضي الترتيب[٨٤] . وذكر بعضهم ان حتى في العطف كـ« ثم »[٨٥] .

وقد اجمع النحاة على ان « حتى » تكون كالواو ولمطلق الجمع من غير ترتيب ولا مهلة[٨٦] . نحو قول الشاعر[٨٧] :–

لقـــــومي حتى الاقـــــدمـــــون تمـــــالـــــؤا
على كل امر يورث المجد والحمـــــدا[٨٨]

استشهد بهذا البيت على ان حتى لمطلق الجمع – وليست للترتيب « فالاقدمون » عطف على « قومي » وهم سابقون عليهم[٨٩] .

وقيل ان العطف بـ« حتى » قليل ، ومن ذلك انكره الكوفيون فذكروا انه لا يصح العطف بها وحملوا نحو :– جاء القوم حتى ابوك . ورأيتهم حتى اباك ، ومررت بهم حتى ابيك . على ان حتى في هذه الجمل ابتدائية ، وان ما بعدها باضمار عامل[٩٠] .

لقد المحنا الى ان استعمال « حتى العاطفة » في النصوص اللغوية كان قليلًا بالمقارنة ب « حتى الغائية » . اما استعمالاتها في القرآن الكريم فلم يرد قط . وقد توصلت الى هذا الرأي بعد استقراء لكتاب الله سورة ، سورة وآية آية .

وخلاصة القول في « حتى العاطفة » ارجح ان تبقى على شروطها الاربعة التي اشرنا الى ذكرها . دون الاخذ باراء النحاة

التي تعددت ، والتي اوردناها في تضاعيف هذا البحث . اذا اردنا ان ندرس « حتى » للاجيال الصاعدة لان مثل هذه الاراء تجعلنا غير قادرين على تحديد وظيفة حتى الاصلية ، ومعانيها التي وردت في تراثنا .

ثالثاً :- حتى الابتدائية

ذكر سيبويه ان « حتى » من حروف الابتداء وهي بمنزلة اذا وما اشبهها من حروف الابتداء(٩١) . وذكر غيره من النحاة ان « حتى » الابتدائية ليس معناها انها يجب ان يليها المبتدأ والخبر ، فهي غير مؤثرة في الجملة ، اي لم تكن عاملة كاختيها السابقتين ، بل المعنى انها صالحة لذلك . واصطلحوا على تسميتها بانها حرف ابتداء يستانف بعدها الكلام .

فاذا كان الكلام بعدها يتكون من جملة اسمية - فبصورة طبيعية - يقع بعدها المبتدأ والخبر(٩٢) كقول امرىء القيس(٩٣) :-

سريت بهم حتى تكل مطيهم
وحتى الجياد ما يقدن بارسان(٩٤)

فا« لجياد » التي جاءت بعد حتى تعرب مبتدأ ، وجملة « يقدن » الجملة في محل رفع خبر الى المبتدأ .
او كقول سحيم(٩٥) :-

اذا شق بـرد شق بـالبـرد بـرق
دواليـك حتى كلنـا غيـر لابس(٩٦)

ف « كلنا » التي جاءت بعد حتى تعرب مبتدأ ، وغير خبر الى المبتدأ .
او كقول الفرزدق(٩٧) :-

فـواعجبـاً حتى كليب تسبني
كـأن أباهـا نهشل او مجـاشـع(٩٨)

ف« كليب » التي جاءت بعد حتى تعرب مبتدأ ، وجملة « تسبني » خبر للمبتدأ
او كقول جرير(٩٩) :-

فمـازالت القتلى تمـجّ دمـاءهـا
بـدجلة حتى مـاء دجلة اشكـل(١٠٠)

ف« ماء » التي جاءت بعد حتى تعرب مبتدأ ، واشكل خبر المبتدأ ومن هذا النحو مثلهم المعروف :- اكلت السمكة حتى رأسها وحتى رأسها ، - كما اشرنا الى ذلك في الامثلة السابقة - وحتى رأسها وهذا المثل صالح لاقسام حتى الثلاثة ، فلك ان تخفض على معنى الى ، ولك ان تنصب على معنى الواو - اي العطف - ولك ان ترفع على الابتداء - غير ان البصريين اوجبوا في رفع « رأسها » ان تاتي بالخبر فتقول « ماكول » ، فاذا لم تذكر الخبر لا يصح عندهم رفع « رأسها » على الابتداء(١٠١) .

غير ان بعض النحاة جوزوا رفع « رأسها » على الابتداء وان لم يذكروا الخبر صراحة ، وذلك لوجود قرينة تدل عليه(١٠٢) . ومن هذا النحو قول الشاعر(١٠٣) :-

عممتهم بـالنـدى حتى غـواتهم
فكنت مـالـك ذي غي وذي رشد(١٠٤)

فلك ان تخفض غوايتهم على معنى « الى » وان تنصب على معنى الواو اي - العطف - ولك ان ترفع على الابتداء . اذ في هذه الحالة تقدر الخبر لوجود قرينة . اذ يصح القول - حتى غوايتهم مشمولون بالندى - فمشمولون خبر المبتدأ على نحو ما ذكرناه في « اكلت السمكة حتى رأسها » .

ومن هذا النحو كذلك قول مروان النحوي :-(١٠٥)

القى الصحيفـة كي يخفف رحلـه
والـزاد حتى نعلـه القـاهـا

فيروى بالحالات الثلاث فان شئت جررت نعله ، وان شئت نصبت نعله اي عطفته على الزاد ، وان شئت رفعت نعله على الابتداء ، وجعلت جملة « القاها » الجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ(١٠٦) . « وقد مر بنا اعراب هذا البيت مفصلاً في حتى العاطفة » هذا شان « حتى » اذا ما جاءت بعدها الجملة الاسمية التي تتكون من المبتدأ والخبر على نحوها فصلناه .

اما اذا جاءت بعدها الجملة الفعلية التي فعلها فعل مضارع ، فتكون واجبة الرفع بشروط ثلاثة . وهاك تفصيلها :-

١ - الحال الحقيقية : والمؤول بالحال :-

فالحال الحقيقية : هي التي يكون زمنها زمن التكلم نحو :- « سرت حتى ادخلها » . اذا كنت تعني دخولاً متصلاً بالسير كاتصاله به بالفاء اذا قلت : سرت فادخلها . فكانك تقول :- سرت فاذا انا في حال دخول ، فالدخول متصل بالسير كاتصاله بالفاء . فحتى صارت هنها بمنزلة اذا وما اشبهها من حروف الابتداء ، لانها لم تجيء على معنى الى ان ، ولا معنى كي ، فخرجت من حروف النصب(١٠٧) ونحو : ذهبت حتى اشاهد المدينة . نعني ذهاباً متصلاً بالمشاهدة

اي ذهاب فمشاهدة .

ونحو :- هذا الخبر ينشر في المجتمع حتى يسمع ، تعني انتشاراً متصلاً بالسماع . اي انتشار فسماع .

وتعرب حتى في تلك الجمل « ابتدائية » وادخلها : فعل مضارع مرفوع بالضمة لتجرده من الناصب ، والجازم . ويصح القول على فعلي « اشاهد ، ويسمع » اي ان الفعل يعرب بعدها بحسب موقعه من الجملة ولا شان لـ« حتى » بالتاثير فيه في مثل هذه الحالة .

وذكر بعض النحاة انه اذا جعلت « حتى » غاية في كل تلك الجمل نصبت(١٠٨) . اي ان الفعل ينصب بان مضمرة بعدها ،

وجعلت المصادر المؤولة في محل جر .

اما المؤول بالحال :(١٠٩) فهو الذي يكون فيه زمن المضارع قد تحقق وانتهى فعلاً ، وكان المفروض ان يذكر الفعل بصيغة الماضي غير انه ذكر بصيغة المضارع ، بقصد حكاية الحال الماضية فيتخيل المتكلم ان ذلك الزمن لم ينته ، وانه قائم حتى زمن التكلم وهذه الطريقة تسمى « حكاية الحال الماضية :- نحو قول امرىء القيس(١١٠) :-

سـسـريت بهم حتى تكـبـل مطيهم
وحتى الجيـاد مـا يعـدن بـارسـان

فيمن رواه برفع « نعل »(١١١) والمعنى حتى مكلت ، ولكنه جاء بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية .

ونحو قول حسان بن ثابت :-(١١٢)

يغشـون حتى لا تهـر كـلابهم
لا يسـألـون عن السواد المقبـل(١١٣)

والمعنى حتى « ما هرت » كلابهم ، ولكنه جاء بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية كما اسلفنا .

ونحو قوله تعالى : -

« وزلزلوا حتى يقول الرسول »(١١٤) على قراءة نافع بالرفع(١١٥) .

اذ المعنى وزلزلوا فقال الرسول(١١٦)

ونحو قولهم :- مرض حتى يمر به الطائر فيرحمه .

والمعنى حتى مر به الطائر .

ونحو : شربت حتى يجيء البعير يجر بطنه .

والمعنى حتى جاء البعير .

ونحو : سرت حتى يعلم الله اني متعب(١١٧) .

والمعنى حتى علم الله

ونحو : مرض محمد حتى لا يجدون له املًا - والمعنى حتى ما وجدوا له املًا .

واعراب الافعال في تلك الجمل التي جاءت بعد حتى بدءاً من حتى تكل على والوجه الاتي :-

حتى ابتدائية - تكل : فعل مضارع مرفوع بالضمة لتجرده من الناصب والجازم . ويصح القول على اعراب الافعال الاخرى اي ان الفعل يعرب بعدها بحسب موقعه من الجملة ، ولا شان لـ« حتى » .. بالتاثير فيه في مثل هذه الحالة حالة حكاية الحال المؤولة . ويجوز ان ننصب الافعال نفسها بعد حتى وتكون حتى في هذه الحالة اما « غائية » بمعنى الى ، واما تعليلية بمعنى كي ، وعندئذ تكون المصادر المؤولة من « ان والفعل » بعدها في محل جر .

ورمادمنا نتكلم على الابتدائية . فلابد من ان نشير الى ما ذكره ابن هشام عن الزجاج(١١٨)وابن درستويه(١١٩) انهما زعما ان الجملة بعد حتى الابتدائية في موضع جر بـ« حتى » وخالفهما الجمهور لان حروف الجر لا تعلق عن العمل ، وانها تدخل على المفردات ، او ما في تاويل المفردات وانهم اذا اوقعوا بعدها ان كسروها فقالوا :- مرض حتى انهم لا يرجونه » والقاعدة ان حرف الجر اذا دخل على ان فتحت همزتها(١٢٠) نحو قوله تعالى :- « ذلك بان الله هو الحق »(١٢١) . وذكر بعض النحاة ان ابن مالك زاد في اقسام مجرور « حتى » وزعم ان الجملة الفعلية التي فعلها فعل ماض نحو قوله تعالى :-

« حتى عفوا وقالوا »(١٢٢) ان حتى هذه جارة ، وان المصدر المؤول من ان والفعل الماضي في محل جر بـ « حتى » . وخالفه الجمهور في رأيه هذا وقالوا ان حتى « ههنا ابتدائية ، وان غير مضمرة بعدها(١٢٣) .

وان جملة « عفوا وقالوا » تعرب بحسب موقعها من الاعراب . وزعم ابن ملك ايضاً ان « حتى » الداخلة على اذا في نحو قوله تعالى :-

« حتى اذا فشلتم وتنازعتم »(١٢٤) انها جارة كذلك ، وان اذا في موضع جر بها . غير ان الجمهور رده في ذلك ، وذكر انها حرف ابتداء ايضاً وان « اذا » في موضع نصب بشرطها او جوابها(١٢٥) .

وخلاصة القول ان « حتى الابتدائية » التي تدخل على الجملة الاسمية او الفعلية التي فعلها فعل مضارع او ماض . لا تاثير لها في اعراب الجملة وانما الجملة تعرب بحسب موقعها من الاعراب ، وقد نوهنا بهذا اكثر من مرة .

٢ - ان يكون الفعل سبباً عما قبلها : -

نحو : سرت حتى تطلع الشمس . ونحو :- ما سرت حتى ادخلها .

ونحو : - هل سرت حتى ادخلها .

فلا ترفع الافعال بعد حتى في هذه الجمل . لان طلوع الشمس لا يتسبب عن السير في الجملة الاولى ، ولان الدخول لا يتسبب عن عدم السير في الجملة الثانية - ولان السبب لم يتحقق وجوده في الجملة الثالثة . لذلك تكون الافعال في هذه الجمل الثلاث واجبة النصب بان مضمرة بعد حتى .

غير ان الرفع يجوز في الجمل الاتية :-

نحو : أيهم سارت حتى يدخلها . ونحو : متى سرت حتى تدخلها . لان السير محقق في كلتا الجملتين .

ونحو : سرت حتى يدخلها تقلي ، ونحو :- سرت حتى يدخلها بدني . لانك جعلت دخول ثقلك يؤديه سيرك ، وبذلك لم يكن دخوله الا بسيرك(١٢٦) .

واجاز الاخفش الرفع بعد النفي على ان يكون الكلام ايجاباً ثم ادخلت اداة النفي على الكلام باسره . نحو : لم يركب محمد حتى يقصد خالداً(١٢٧) .

٣ - ان يكون ما بعد حتى فضلة :-

نحو :- سيري حتى ادخلها .

ونحو :- كان سيري حتى ادخلها .

ونحو :- ان عملي حتى تشرق الشمس .

فالمصدر المؤول بعد حتى في هذه الجمل جار ومجرور خبر المبتدأ في الجملة الاولى ، وفي الجملة الثانية خبر لـ« كان الناقصة » ، وفي الجملة الثانية خبر « ان » الحرف الناسخ .

فاذا قلنا :- كان سيري امس سيراً متعباً حتى ادخلها ، رفعت ادخلها لانك جئت لـ« كان » بخبر[128] وهو « سيراً » .

وكما صح القول في هذه الجملة يصح في الجمل الاخرى اذا ما ذكرنا لها خبراً .

وتكون حتى واجبة النصب في حالات ثلاث هي :-

١ - ان لا يكون الجملة حالًا ولا مؤولة بالحال .

٢ - ان لا يكون الفعل سبباً عما قبلها .

٣ - ان لا يكون ما بعد حتى فضلة .

ويجوز نصب الفعل ورفعه بعد حتى اذا تلته حال ومؤول بالحال والى هذا اشار ابن الناظم بقوله[129] :-

وتلـــــو حتى حـــــالًا او مـــــؤولًا
بـــــه ارفعن وانصب المستقبـــــلا

وقد اوضحنا ذلك بالتفصيل في الامثلة السابقة . هذا كل ما يتعلق ب « حتى الابتدائية » على نحو ما فصلناه .

رابعاً :- حتى الناصبة للفعل المضارع

ذهب الكوفيون الى ان حتى حرف نصب اذا ما دخلت على الفعل المضارع تنصبه من غير تقدير « ان » نحو قولك : -

« اطع الله حتى يدخلك الجنة ، واذكر الله حتى تطلع الشمس » .

فحتى هنا نصبت بنفسها كلًا من « يدخل » و « يطلع » .

وانهم يظهرون « ان » بعد « حتى » غير ان النصب ب« حتى » نفسها . ويذهب البصريون الى ان الفعل بعد حتى منصوب بتقدير ان « لابها نحو قول الشاعر :-[131]

داويت عين ابي الـــــدهيق بمطلـــــه
حتى المصيف ويغلـــــو القعـــــدان[131]

فالفعل « يغلو » منصوب بأن مضمرة ، وتقدير الكلام « وان يغلو » ثم ان المصدر المؤول من ان والفعل في محل جر معطوف على المصيف . غير ان بعض النحاة يذكر انه لابد من تقدير « حتى » اخرى بعد الواو تكون ان المصدر به وما عملت فيه في تاويل مصدر مجرور بها ، وتكون الواو قد عطفت حتى ومجرورها على حتى المذكوره ومجرورها ، وكانه قد قال :- حتى المصيف وحتى يغلو القعدان »[133] وهذا ما اذهب الى ترجيحه .

وكما هو معروف ان « أن » المصدرية لا تظهر عند البصريين ، غير انهم يذكرون ظهورها في المعطوف على منصوبها كما قال الشاعر :-[134]

حتى تكـــــون عـــــزيـــــزاً في نفـــــوسهم
او ان تبين جميعـــــاً وهـــــو مختـــــار

« وان تبين » اذ ظهرت ان هنا في هذا البيت لان الفعل معطوف على منصوبها وهو « تكون » .

وما دمنا نتكلم على حتى الناصبة ، فلابد من ان اشير الى بعض الاراء التي قيلت فيها .

يذكر بعض النحاة ان من العرب من ينصب بحتى في كل شيء[135] . ومن الاراء والتي قيلت في حتى انها لا يفصل بينها وبين الفعل بشيء ويجوز الاخفش ، وابن السراج فصلها بالظرف نحو :- اقعد حتى عندك يجتمع الناس . ويشرط ماضي نحو :- اصحبك حتى ان قدر الله اتعلم العلم . ويجوزه ابن هشام بالقسم نحو : اعدك حتى والله يتضح الحق . والمفعول به نحو :- جلست في المكتبة حتى اياه يتكلم . والجار والمجرور نحو :- واصبر حتى اليك تجتمع الناس . واجاز الكوفيون الاخفش ، وابن مالك تعليقها قبل الشرط لاخذ جوابه نحو : اصحبك حتى ان تحسن احسن اليك .

ومن التعليق ابطال حتى عن العمل[136] في هذه الجملة .

وخلاصة القول في حتى الناصبة - كما اشار اليه الكوفيون - انها اذا ما دخلت على الفعل المضارع تنصبه بنفسها ، وهذا الرأي هو المرجح في تصوري المتواضع ، وبذلك نستطيع ان نسهل النحو ، ونيسره لابنائنا الطلبة .

٨/ الخاتمة ونتائج البحث :-

لقد حاولت في هذا البحث ان الم شتات حتى في كتب النحو .

وكما اشرت في المقدمة فان النحاة قسموا حتى على اربعة اقسام :-

١ - حتى الجارة التي تجر الاسم والمصدر المؤول .

٢ - حتى العاطفة التي تعطف الاسم على الاسم ، وفي شروطها الاربعة ، دون الرجوع الى الاراء المتعددة التي اشرت اليها ، كي نشخص واجبات حتى الاصلية -

٣ - حتى الابتدائية التي تدخل على الجملة الاسمية ، والجملة الفعلية ، اما اعراب الجملة الاسمية ، فهي مكونة من مبتدأ وخبر ، ولا محل لها من اعراب . اما الجملة الفعلية سواء اكان فعلها ماضياً أم مضارعاً ، فتعرب جملة ابتدائية لا محل لها من الاعراب كذلك .

وحتى الابتدائية ، تكاد تكون مهملة لانها لا وظيفة بها وانما اصطلح عليها بالابتدائية لان الكلام يستانف بعدها .

٤ - حتى الناصبة : التي تدخل على الفعل المضارع فتنصبه كما ذهب الى ذلك الكوفيون . والباحث يرجح رأيهم .

اما الافعال المضارعة التي جاءت مرفوعة بعد حتى - كما ذكرت - فتعد شاذة .

اما حتى الجارة التي تجر المصدر المؤول من ان والفعل فندع ذلك للمختصين ، ونعلم الاجيال ان « حتى » اذا دخلت على الفعل المضارع نصبته وبذلك حققنا شيئاً من التيسير في اساليبنا النحوية خدمة للغتنا ولأبنائنا .

الهوامش

(١) انظر الكتاب ٤ / ٢٣١ ، والمقتضب ٤/ ١٣٩ ، والاصول في النحو ٢ / ٤٢٤ .
(٢) انظر الكتاب ٣ / ١٧ .
(٣) انظر معاني القرآن ١ / ١٣٧ .
(٤) انظر جنى الداني ٤٩٨ .
(٥) الاسم الظاهر اي غير الضمير .
(٦) انظر سورة يوسف ١٢ / ٣٥ .
(٧) انظر سورة الذاريات ٥١ / ٤٣ .
(٨) انظر سورة القدر ٩٧/ ٥ .
(٩) انظر الكتاب ٤ / ٢٣١
(١٠) لم افق على قائلة .
(١١) ويروى لا « يلقى » بالفاء ، « وأبي زياد » ، ولا يلقاه ناس » . انظر / ضرائر الشعر ص ٣٠٩ ، دارتشاف الضرب ٢ / ٤٦٩ ، وشرح ابن عقيل ٢ / ٩ ، انجنى الداني ص ٤٩٩ ، وهم الهوامع ٢ / ٢٢ .
(١٢) لم افق على قائلة .
(١٣) انظر مغني اللبيب ١ / ١٢٣ ، وهمع الهوامع ٢ / ٢٢ ، وخزانة الادب ٩ / ٤٧٥ .
(١٤) لم افق على قائلة .
(١٥) ويروى « واكفيه ما يخشى واعطيه » . انظر ضمائر الشعر ص ١٢٦ ، وخزانة الادب ٩/ ٤٧٢ .
(١٦) لم اجد هذا الرأي في كتب المبرد كالمقتضب ، والكامل في اللغة والادب بل وجدته في « الاصول في النحو ١ / ٤٢٦ ، هامش « ٥ » » .
(١٧) انظر شرح ابن عقيل ٢ / ٩ ، والجني الداني ص ٤٩٩ ، ومغني اللبيب ١ / ١٢٣
(١٨) انظر شرح المفصل ٨ / ١٥ ، وجنى الداني ص ٤٩٩ ، ومغني اللبيب ١ / ١٢٣ .
(١٩) ابن مالك يخالف هذا الشرط فيذكر ان مجرورها لا يلزم كونه اخر جزء او ملاقياً اخر جزء لزاعم ذلك وضرب مثلاً قول الشاعر : -

عينت ليلـــــــــة فمــــــــــازلت حتى
نصفهــــــا راجيـــــاً فعـــدت يـــؤوســـا

فذهن كما هو واضح جرت نصفها بحسب رأيه غير ان اغلب النحاة لا يايدون رأيه ، ويذكرون ان مجرورها كما اثبتناه . انظر / تسهيل الفوائد ص ١٤٦ ، دارتشاف الضرب ٢ / ٤٦٨ ، والجنى الداني ص ٤٩٩ ، ومغني اللبيب ١ / ١٢٣ .
(٢٠) انظر الكتاب ٣ / ١٧ ، والمقتضب ٢ / ٣٧ ، والاصول في النحو ١ / ٥١٩ ، ومغني اللبيب ١ / ١٢٥ .
(٢١) انظر سورة طه ٢٠ / ٩١ .
(٢٢) انظر سورة يوسف ١٢ / ٨٠ .
( ) انظر سورة الاعراف ٧/ ٩٥ .
(٢٣) انظر الكتاب ٣ / ١٧ ، والمقتض ٢ / ٣٧ ، والاصول في النحو ١ / ٥١٩ ، والجمل ص ١٩١ ، الازهية في علم الحروف ٢٢٤ ، مغني اللبيب ١ / ١٢٥ .
(٢٤) انظر سورة البقرة ٢ / ٢١٧ .
(٢٥) انظر سورة (المنافقون) ٦٣/ ٧ .
(٢٦) انظر سورة الحجرات ٤٩ / ٩
(٢٧) انظر مغني اللبيب ١ / ١٢٥
(٢٨) انظر الكتاب ٢ / ٣٤٢
(٢٩) انظر التبيان في اعراب القرآن ١ / ٩٩ .
(٣٠) انظر سورة البقرة ٢ / ١٠٢
(٣١) من النحاة من جعل حتى في هذه الآية بمعنى « الى ان تقولا » . انظر / التبيان في اعراب القرآن ١ / ٩٩ .
ومن الباحثين من جعل الاستثناء في هذه الآية استثناء متصلاً . اي وما يعلمان من احد وقتاً . اي في وقت وقت ان يقولا « انظر / النحو الوافي ٢ / ٣٥٥ هامش (١) .
(٣٢) انظر سورة ال عمران ٣ / ٩٢ ، كذلك جعلوا الاستثناء في هذه الآية استثناء متصلاً . انظر النحو الوافي ٤ / ٢٥٤ هامش (١) .
(٣٣) انظر تسهيل الفوائد ص ٢٣٠ ، مغني اللبيب ١ / ١٢٥ ، وهمع الهوامع ١ / ٩ ، وحاشية الصبان ٣ / ٢٩٧
(٣٤) انظر همع الهوامع ٢ / ٩ .
(٣٦) انظر ارتشاف الضرب من لسان العرب ٢ / ٤٠٣
(٣٧) انظر مغني اللبيب ١ / ١٢٥ ، وهمع الهوامع ٢ / ٩ .
(٣٨) ابير : اهلك .
(٣٩) انظر الشوقيات ١ / ٦٠ ، والنحو الوافي ٤ / ٢٥٤ .
(٤٠) اهب : جمع ارهاب ، وهو الجلد من البقر ، والغنم والوحش ما لم يدبغ
(٤١) انظر النحو الوافي ٤ / ٢٥٤ ، ٢ / ٣٥٥
(٤٢) اما اهم الاحكام الخاصة « بحتى الاستثنائية » فهي ما يأتي : ١ - أن حتى الاستثنائية تسبق كثيراً بنفي . ٢ - ان هذا النفي يظل على حالة عند التقدير .
٣ - ان الاستثناء الذي تتضمن معناه وتدل عليه هو استثناء منقطع « اي ليس من جنس المستثنى منه ، فهي بمعنى لكن ساكنة النون وقد يكون متصلاً احياناً كالذي في قوله تعالى : « وما يعلمان من احد .. او نحو قوله تعالى : لن تنالوا البر » .
٤ - « ان حتى تتضمن معنى الا « الخالية من « ان » بعدها اما ان التي تظهر في تاويل الجملة فهي « ان » المصدرية المضمرة وجوباً بعد حتى » . النحو الوافي ٢ / ٢٥٤
(٤٣) انظر المصدر نفسه ٤ / ٢٥٥
(٤٤) انظر تسهيل الفوائد ص ٢٣٠ ، ومغني اللبيب ١ / ١٢٥ ، وارتشاف الضرب ٢ / ٤٠٣ ، وهمع الهوامع ٢ / ٩ .
(٤٥) انظر مغني اللبيب ١ / ١٢٢ .
(٤٦) انظر النحو الوافي ٢ / ٣٥٥ ، ٣٥٧ .
(٤٧) انظر الانصاف في مسائل الخلاف مسألة ٨٣ .
(٤٨) انظر شرح الكافية ص ٢٤٠ .
(٤٩) انظر الانصاف في مسائل الخلاف مسألة ٨٣ .
(٥٠) الشاعر هو الكميت بن زيد الاسدي المتوفى سنة ١٢٦ هـ .
(٥١) ويروى « مكتم » ولاة السوء : يعني الملوك في ملكهم وسلطانهم . انظر / شرح هاشميات الكميت ص ١٦٠ ، ومغني اللبيب ١ / ٢٩٨ ، وشرح الاشموني ٢ / ٨٦ - ٨٧ ، وهمع الهوامع ٢ / ٨ .
(٥٢) انظر الكتاب ١ / ٩٦ ، والمقتضب ٢ / ٣٨ ، والاصول في النحو ١ / ٥٢٠ .
(٥٣) ابن الخباز هو احمد بن الحسين المتوفى سنة ٦٣٩ هـ .
(٥٤) ابن عصفور : هو علي بن مؤمن بن محمد المتوفى سنة ٦٦٩ هـ .
(٥٥) انظر الجنى الداني ص ٥٠٣ ، ومغني اللبيب ١ / ١٢٨
(٥٦) انظر تسهيل الفوائد ص ١٧٥
(٥٧) لم اهتد لاسم قائله . والمعنى ان كرم الممدوح عم حتى شمل المحسن والمسيء . انظر / مغني اللبيب ١ / ١٢٧ ، « تحقيق مازن المبارك » .
(٥٨) انظر / مغني اللبيب ١ / ١٢٧ - ١٢٨ ، وشرح الاشموني ٢ / ١٠٢
(٥٩) ابو الحسن - الاخفش - واسمه بن مسعدة المتوفى سنة ٢١٥ هـ .
(٦٠) انظر ارتشاف الضرب ٢ / ٦٤٩ .

(٦١) ابن السيد البطليوسي : اسمه عبد الله بن محمد المتوفي سنة ٥٢١ هـ .

(٦٢) انظر مغني اللبيب ١ / ١٢٧ ، وشرح الاشموني ٢ / ١٠٢ ، وهمع الهوامع ٢ / ١٣٦

(٦٣) الدانق : عملة تساوي سهس الدرهم « فارسية » .

(٦٤) انظر اوضح المسالك ٣ / ٣٦٤ « هامش (١) .

(٦٥) انظر اوضح المسالك ٣ / ٣٦٤ ، هامش (١)

(٦٦) انظر ارتشاف الضرب ٢ / ٦٤٩ ، وجنى الداني ٥٠٣ ، واوضح المسالك ٣ / ٣٦٥ .

(٦٧) انظر المصدر نفسه ٢ / ٦٤٨ .

(٦٨) انظر شرح المفصل ٧ / ١٦ ، وارتشاف الضرب ٢ / ٦٤٨ .

(٦٩) انظر جنى الداني ص ٥٠١ ، واوضح المسالك ٣ / ٣٦٥ .

(٧٠) جاز في اعراب « رأسها » ثلاثة وجوه ، الوجه الاول الجر « حتى رأسها » كما اسلفنا ، والوجه الثاني « العطف كما بينا اي حتى رأسها » والوجه الثالث الابتداء « حتى رأسها » فيمن قدر مبتدأ كان قال « حتى رأسها ماطلولٌ - والبصريون لا يصح عندهم الرفع . انظر/ الكتاب ١ / ٩٧ ، والمقتضب ٢ / ٣٨ هامش (١) . والاصول في النحو ١ / ٥١٧ ، والجمل ٦٩ ، ومغني اللبيب ١ / ١٣٠ .

(٧١) انظر ارتشاف الضرب ٢ / ٦٤٧ .

(٧٢) الشاعر هو مروان النحوي احد اصحاب الخليل . انظر / الكتاب ١ / ٩٧

(٧٣) القى : فعل ماض مبني على الفتح . الفاعل : ضمير مستتر تقديره هو .

الصحيفة : مفعول به . كي : حرف تعليل وجر . يخفف : فعل مضارع منصوب بان مضمرة بعد كي التعليلية . والفاعل : ضمير مستتر . رحلة : رحله مفعول به وهو مضاف ، الهاء : مضاف اليه ، والزاد : الواو عاطفه ، الزاد : معطوف على رحله . حتى : حرف عطف . نعل : بالفتحة مفعول به على الاشتغال لفعل محذوف يفسره المذكور بعده والتقدير حتى القى نعله . ونعل مضاف ، والهاء مضاف اليه ، وعلى هذا الاساس تكون جملة « حتى القى نعله » معطوفة على جملة « القى الصحيفة والزاد » وتكون حتى عطفت جملة على جملة . القاها : القى : فعل ماضي . الهاء مفعول به ، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو . وجملة « القاها » مفسرة لا محل لها من الاعراب . ويجوز أن تكون حتى عاطفة بمعنى الواو ويكون قوله « نعلة » معطوفاً على الزاد ، عطف مفرد على مفرد ، وتكون جملة « القاها » توكيداً لقوله « القى الصحيفة » وقد تكون حتى حرف جر « ونعله » مجرور ، وقد تكون حتى حرف ابتداء ويكون « نعلة » مبتدأ ، وتكون جملة القاها خبر المبتدأ . وقد يكون نعله : مفعول به منصوب لفعل يفسره المذكور على نحو ما اشرنا اليه والوجه الاخير هو ارجح الاعراب . انظر / الكتاب ١ / ٩٧ ، والاصول في النحو ١ / ٥١٧ ، والمجمل في النحو ص ٦٨ - ٦٩ ، ورصف المباني ١٨٢ ، وجنى الداني ٥٠٥ ، واوضح المسالك ٣ / ٣٦٥

(٧٤) انظر الاصول في النحو ١ / ٥١٧ ، والجمل في النحو ، والازهية في عالم الحروف ص ٢٢٣ ، واوضح المسالك ٣ / ٣٦٧ .

(٧٥) ارتشاف الضرب ٢ / ٦٤٧ ، وحين الداني ص ٥٠٢ ، وشرح وشواهد المغني ١ / ٣٧٣ .

(٧٦) الشاعر مجهول قائله .

(٧٧) الكماة : جمع كمي وهو الشجاع ، وهو غاية لما قبلهُ في القوة ، والاصاغر : غاية لما قبله في الضعف .

(٧٨) انظر ارتشاف الضرب ٢ / ٦٤٧ .

(٧٩) انظر الكتاب ١ / ٩٦ .

(٨٠) انظر ارتشاف الضرب ٢ / ٦٤٩ .

(٨١) انظر معاني الحروف ص ١٩٩ .

(٨٢) انظر اللمع ص ١٥٣ .

(٨٣) انظر المصدر نفسه والصفحة نفسها هامش « ٣٢ » .

(٨٤) انظر المفصل ص ٣٠٤

(٨٥) انظر رصف المباني ص ١٨٠ .

(٨٦) انظر اللمع ص ١٥٣ ، والازهية في معاني الحروف ص ٢٢٣ ، وشرح الجمل ١ / ٢٢٨ لابن عصفور ، وجني الداني ص ٥٠٣ ، ومغني اللبيب ١ / ١٢٧ ، وشرح الجمل ص ١١٧ لابن هشام ، وهمع الهوامع ٢ / ١٣٦ .

(٨٧) الشاعر لم اهتد لترجمته .

(٨٨) تماكؤا : اجتمعوا ، وتشاوروا .

(٨٩) انظر الدر اللوامع ٢ / ١٨٨ .

(٩٠) انظر مغني اللبيب ١ / ١٢٧ ، وهمع الهوامع ٢ / ١٣٧ .

(٩١) انظر الكتاب ٣ / ١٧ .

(٩٢) انظر الاصول في النحو ١ / ٥١٨ ، والجمل في النحو ٦٦ ، والمقتصد في شرح الايضاح ٢ / ٢٤٠ ، وحين الداني ٥٠٤ ، ومغني اللبيب ١ / ١٢٨ - ١٢٩ .

(٩٣) انظر ديوان امرىء القيس ص ٩٣ وفيه « مطوت بهم » بدلًا من « سريت بهم » ، والكتاب ٣ / ٢٧ ، والمقتضب ٢ / ٣٩ .

(٩٤) تكل : تجهد ، وتتعب ، الارسان : مفرد هارسن بالتحريك وهو الحبل والزمام يجعل على الانف » .

(٩٥) سحيم عيد بني الحسحاس : شاعر رقيق توفي نحو سنة ٤٠ هـ

(٩٦) انظر ديوانه ص ١٦ ، رصف المباني ص ١٨١ .

(٩٧) انظر شرح ديوان الفرزدق ٢ / ٧٢ ، والكتاب ٣ / ١٨ ، والمقتضب ٢ / ٣٩

(٩٨) يهجو مكيب بن يربوع رهط جرير فجعلهم من الهون بحيث لا يسيون مثل شرفه ونهشل ومجامشع ابنا دارم . رهط الفرزدق . وللنحاة وجوه اخرى في اعرابه هذا البيت . انظر/ المقتضب ٢ / ٣٩ - ٤٠ ، هامش(٢) .

(٩٩) انظر ديوان جرير ١ / ١٤٣ وفيه « تمور دماؤها » بدلًا من « تمبح » ، والازهية في علم الحروف ص ٢٢٥ ، وشرح المفصل ٨ / ١٨ ، وجني الداني ص ٤ - ٥ ، ومغني اللبيب ١ / ١٢٨ .

(١٠٠) يج الدم بمحجه : رماه ولفظه وقذف به . واشكل : فيه بياض وحمرة او غبرة وحمرة ، لونان مختلطان ، خالط الدم ماء دجلة حتى تغير لونه .

(١٠١) انظر الكتاب ١ / ٩٧ ، والجمل في النحو ص ١٩ ، ومغني اللبيب ١ / ١٣٠

(١٠٢) انظر المقتصد في شرح الايضاح ٢ / ٨٤٣ - ٨٤٤ ، والجنى الداني ص ٥٠٤ ، ومغني اللبيب ١ / ١٣٠

(١٠٣) لم يعرف قائله .

(١٠٤) انظر الجني الداني ص ٥٠٥ ، ومغني اللبيب ١ / ١٣٠ .

(١٠٥) انظر الكتاب ١ / ٩٧ .

(١٠٦) انظر المصدر نفسه والصفحة نفسها ، والاصول في النحو ١ / ٥١٧ والجمل في النحو ص ٦٩ ، وجني الداني ص ٥٠٥ ، ومغني اللبيب ١ / ١٣٠ - ١٣١ .

(١٠٧) انظر الكتاب ٣ / ١٧ - ١٨ ، ومغني اللبيب ١ / ١٢٦ ، والنحو الوافي ٤ / ٢٥٥

(١٠٨) انظر الكتاب ٣ / ٢٠ ، والجمل في النحو ص ١٩١ .

(١٠٩) المصدر نفسه ٣ / ١٨ ، والمقتضب ٢ / ٤١ هامش (٢) نقلًا عن المغني ، والجمل في النحو ص ١٩١ ، ومغني اللبيب ١ / ١٢٦ ، والنحو الوافي ٤ / ٢٥٦

(١١٠) مر بنا هذا البيت مرتين في تضاعيف هذا البحث .

(١١١) انظر المغني ١ / ١٢٧ ، وشرح الاشموني ٢ / ١٠٢ ، وهمع الهوامع ٢ / ١٣٦

(١١٢) انظر ديوان حسان بن ثابت ص ١٢٣ ، وفيه « ما نهر » بدلًا

« لا تهر » ، والكتاب ٣ / ١٩ ، والمغني ١ / ١٢٩ ، وهمع الهوامع ٢ / ٩ . ودرر اللوامع ٢ / ٧ .

(١١٣) السواد : الجمع الكثير من الناس – والمعنى انهم في سعة ولا يردعهم الجمع الكثير اذا نزل عندهم .

(١١٤) انظر سورة البقرة ٢ / ٢١٤ .

(١١٥) انظر الكتاب ٣ / ٢٥ ، والمقتضب ٢ / ٤٢ ، وتفسير البحر المحيط ٢ / ١٤٠ ، وجني الداني ص ٥٠٤ – ٥٠٥ ، والمغني ١ / ١٢٦ .

(١١٦) وللجمهور اراء في اعراب : حتى يقول الرسول . فعندهم حتى والفعل بعدها منصوب اما على الغاية واما على التعليل اي او وزلزلوا الى ان يقول الرسول ، اووزلزلوا كي يقول الرسول . انظر / تفسير البحر المحيط ٢ / ١٤٠ .

(١١٧) انظر الكتاب ٣ / ١٨ – ١٩ .

(١١٨) الزجاج : هو ابو اسحاق ابراهيم بن السري توفي سنة ٣١٠ هـ .

(١١٩) وابن در ستويه :– هو ابو محمد عبد الله بن جعفر توفي سنة ٣٤٧ هـ .

(١٢٠) انظر مغني اللبيب ١ / ١٣١ ، والاعراب عن قواعد الاعراب ص ٧١ – ٧٢

(١٢١) انظر سورة الحج ٢٢ / ٦ .

(١٢٢) انظر سورة الاعراف ٧ / ٩٥ .

(١٢٣) انظر جني الداني ص ٤٩٨ ، ومغني اللبيب ١ / ١٢٩ .

(١٢٤) انظر سورة ال عمران ٣ / ١٥٢ .

(١٢٥) انظر مغني اللبيب ١ / ١٢٩ .

(١٢٦) انظر الكتاب ٣ / ٢١ – ٢٤ – ٢٥ ، والمقتضب ٢ / ٤١ ، ومغني اللبيب ١ / ١٢١ ، وحاشية الصبان ٣ / ٢٩٧ .

(١٢٧) انظر مغني اللبيب ١ / ١٢٦ ، والجمل في النحو ص ١٩٢ .

(١٢٨) انظر المقتضب ٢ / ٤٢ ، وشرح التصريح على التوضيح ٢ / ٢٣٨ .

(١٢٩) انظر شرح التصريح على التوضيح ٢ / ٢٣٨ .

(١٣٠) لم اهتد لمعرفة الشاعر .

(١٣١) ابو الدهيف : كنية رجل . ومطلة : اذا سوف من في قضاء حاجته ولم يف له . ويغلو : اذا ارتفع في سيرة فجاوز سن السير . والقمدان : بكسر القاف وسكون العين المهملة جمع قعود وهو من الابل الذي يتخذه الراعي للركوب .

(١٣٢) انظر الانصاف في مسائل الخلاف مسالة « ٨٣ » .

(١٣٣) انظر همع الهوامع ٢ / ٩

(١٣٤) نسبة ابو تمام الى يزيد حمار السكون ، والصحيح انه عدي بن يزيد بن حمار وهوشاعر جاهلي . انظر / ديوان الحماسة ١ / ١٠٨ شرح التبريزي .

(١٣٥) انظر ارتشاف الضرب من لسان العرب ٢ / ٤٠٤ .

(١٣٦) انظر همع الهوامع ٢ / ١٠ .

المصادر

١ – ارتشاف الضرب من لسان العرب – لابي حيان الاندلسي تحقيق الدكتور مصطفى احمد النحاس – القاهرة ط ١ ، مطبعة المدني ٨ – ١٤ هـ = ١٩٨٧ م

٢ – الازهية في علم الحروف – لعلي بن محمد النحوي الهروي تحقيق عبد المعين الملوحي دمشق ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م

٣ – الاصول في النحو . لابي بكر بن السراج النحوي . تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي . مطبعة النعمان . النجف الاشرف ١٩٧٣

٤ – الاعراب عن قواعد الاعراب – لابن هشام – تحقيق الدكتور رشيد العبيدي – بيروت – دار الفكر ط ١ ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م .

٥ – الانصاف في مسائل الخلاف – لابن الانباري – تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – مصر مطبعة السعادة ط ٤ – ١٣٨٠ هـ = ١٩٦١ م .

٦ – اوضح المسالك الى الفية ابن مالك . لابن هشام تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . مصر ، مطبعة السعادة ط ٥ ، ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٧ م .

٧ – التبيان في اعراب القرآن ، لابي البقاء العكبري تحقيق علي محمد البجاوي – القاهرة – عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦ م

٨ – تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد – لابن مالك . تحقيق محمد كامل بركات . القاهرة – دار الكاتب العربي ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م .

٩ – تفسير البحر المحيط . لابي حيان الاندلسي . الناشر . مكتبة ومطابع النصر الحديثه . الرياض . طبعة مصورة بيروت . بدون تاريخ .

١٠ – الجمل في النحو – لابي القاسم الزجاجي . تحقيق الدكتور علي توفيق الحمد – بيروت . دار الامل ط ١ ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .

١١ – الجنى الداني في حروف المعاني . للحسن بن قاسم المرادي تحقيق طه محسن الموصل ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦ م .

١٢ – حاشية الصبان على الفية ابن مالك . لمحمد بن علي الصبان – القاهرة – عيسى البابي وشركاه ١٣١٦ هـ .

١٣ – خزانة الادب حـ ٩ – لعبد القادر البغدادي – تحقيق عبد السلام محمد هارون – القاهرة مكتبة الخانجي ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م

١٤ – درر اللوامع على همع الهوامع . لاحمد بن الامين الشنقيطي بيروت دار المعرفة ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م .

١٥ – رصف المباني في شرح حروف المعاني – لاحمد بن عبد النور المالقي . تحقيق احمد محمد الخراط . دمشق ١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥ م

١٦ – شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . مصر . مطبعة السعادة ط ١٠ ، ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨ م

١٧ – شرح الاشموني على الفية ابن مالك . مصر . مطبعة عيسى البابي وشركاه . بدون تاريخ .

١٨ – شرح التصريح على التوضيح . لخالد بن عبد الله الازهري . مصر . مطبعة عيسى البابي وشركاه . بدون تاريخ .

١٩ – شرح الجمل لابن عصفور – تحقيق الدكتور صاحب جعفر ابو جناح الموصل – ١٩٨٠ .

٢٠ – شرح الجمل لابن هشام . تحقيق الدكتور علي محسن عيسى مال الله . بيروت عالم الكتب ط ٢ ، ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .

٢١ – شرح المفصل – لابن يعيش – بيروت – عالم الكتب – طبعة مصورة – بدون تاريخ .

٢٢ – الكتاب . لسيبويه – تحقيق عبد السلام محمد هارون . القاهرة دار القلم ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٦ م

٢٣ – اللمع في العربية . لابن جني . تحقيق حامد المؤمن مطبعة العاني بغداد ط ١ ، ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م

٢٤ – معاني الحروف : للرماني . تحقيق عبد الفتاح اسماعيل شلبي – القاهرة – دار النهضة ١٩٧٣ م .

٢٥ – معاني القرآن : للفراء . تحقيق احمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار – القاهرة ١٩٨٠ .

٢٦ – مغني اللبيب . لابن هشام . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد القاهرة – مطبعة المدني – بدون تاريخ .

٢٧ – المقتصد في شرح الايضاح – لعبد القاهر الجرجاني تحقيق الدكتور كاظم بحر . الاردن . عمان ١٩٨٢ .

٢٨ – المقتضب . للمبرد . تحقيق عبد الخالق عضيمة . القاهرة ١٣٩٩ هـ .

٢٩ – النحو الوافي . لعباس حسن . دار المعارف بمصر ١٩٦٣ م

٣٠ – همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية . للسيوطي بيروت – دار المعرفة . بدون تاريخ .

سورة الدهر

قراءة تأملية

أ . د . بشرى البستاني
كلية الاداب / جامعة الموصل

تقع سورة الدهر أو سورة الانسان في الجزء التاسع والعشرين باحدى وثلاثين آية ، وهي سورة مكية ، وان قيل إنها مدنية أو بعضها مدني والاخر مكي ، وذلك لوضوح سمات السور المكية فيها وضوحاً جلياً ، فنبرتها عالية ، ولهجتها خطابية وايقاعها متدفق ونسج فواصلها وحرصها على التصوير الحسّي لمظاهر النعيم في الجنة ، ومظاهر العذاب في النار[١] فضلاً عن سيادة التوكيد بمختلف أدواته وتشكيلاته : هل أتىٰ (قد أتىٰ) ، إنّا خلقنا ، إنا هديناه ، إنا اعتدنا ، إنّ الابرار ، يفجرونها تفجيرا ، وإنما نطعمكم ، إنا نخاف ، ذللت قطوفها تذليلا ، إنّ هذا ، إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا .. الخ الايات .

تتشكل السورة من ثلاث وحدات :

١ ـ البداية ـ وتتألف من أربع آيات ، تفتح الاية الثالثة طريقين ، طريق الايمان الذي يؤدي الى الشكر فالجنة ، وطريق الجحود الذي يؤدي الى الكفر فالنار ثم ينعطف النص إلى إجمال حال الكفار في آية واحدة : (إنا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالًا وسعيرا ..) بينما تفصّل الايات في وصف النعيم ومعالم الرضا والطمانينة التي تحيط بالابرار في الجنة منذ مطلع الوحدة الثانية .. إن حضور السلاسل والاغلال إشارة الى الخاص ـ الشخصي ـ لانّ فيهما تماساً بالجسد الانساني فضلًا عما يوحيان به من تقييد وسجن مما يحيل الى شمولية العذاب النفسي والجسدي الناتجين عن الحبس والضنك « ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا »[٢] كما تتجلى الشدة والوعيد في حضور ضميري المتكلم معاً مسبوقين بـ (إنّ) المؤكدة : إنا اعتدنا ، حيث يهيمن السرد على الاسلوب القرآني الذي يعرض آيات السورة متالقاً بمشاهد وصفية خلابة .

أما في الحديث عن الابرار والجنة فيلتفت الاسلوب الى الغائب حيث ينعطف من الشدة والتهديد الى الهدوء والعذوبة والترغيب بما سيصف من أنواع النعيم والرضا والبهجة والسلام ، ولعل التاكيد على عملية الشرب والشراب قضية واضحة في الايات الاتية : اذ ينطلق الخطاب القرآني من محاورة الحاجات النفسية التي كانت تعد اساسية للانسان العربي في صحرائه ، وفي ظروفه الاجتماعية وما يكتنف ذلك من قيم واعراف لعل في مقدمتها شمائل الكرم والبذل ومجالس الخمرة وعالها من دلالات مادية ومعنوية :

- « ان الابرار يشربون من كاس كان مزاجها كافورا »
- « عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا »
- « ويطاف عليهم بآنيه من فضة واكواب كانت قواريرا »
- « قوارير من فضة قدّروها تقديراً »
- « ويسقون فيها كاساً كان مزاجها زنجبيلا »
- عيناً فيها تُسمّى سلسبيلا »
- « ويطوف عليهم ولدان مخلدون »
- « وسقاهم ربهم شراباً طهورا »

ولا يخفى ما في كل ذلك من تحريك لمشاعر العربي حيث تؤكد الايات الكريمة على جماعة الشاربين من خلال مفردة (الأبرار) والضمائر العائدة عليها (يشربون ، يفجرونها ، عليهم ، قدروها ، يُسقون ، عليهم ، سقاهم .) فالندامى في حياة العربي ظاهرة لها اهمية خاصة تفردت بجانب مهم من شعره ، وكذلك الساقون والساعون في خدمة الشرب[٣] :

في فتية كسيوف الهند قد علموا
أن ليس يرفع عن ذي الحيلة الحيل
نازعتهم قضب الريحان متكئاً
وقهوة مزّة راووقها خضلُ
لا يستفيقون منها وهي راهنةٌ
إلا بهاتِ وان علّوا وان نهلوا
يسعى بها ذو زجاجات له نطفٌ
مقلصُ أسفل السربالِ معتملُ

والخمرة داءُ العربيّ ودواؤه معاً ..[٤]

وكاسٍ شربت على لذةٍ
واخرى تداويت منها .. بها

ولم يكتفِ الشعر العربي القديم بوصفها وتشخيص اثرها في الشاربين بل وصف طعمها ورائحتها ومجالسها وسقاتها والوانها ..[٥] فهي اولى الثلاث اللواتي هن من عيشة

الفتى ، بها يبادر المرء المنايا ، ويعدل عن حاجته ويلين ، ومن اجلها يبذل الشحيح ما عزّ عليه من مال .

وبالرغم من كل ما قاله الشعراء في هذا الموضوع إلا انه لم يستطع أنْ يرقى الى بعض هذه العظمة التي يصفها القرآن في المشهد الوصفي الذي ورد بالاية الثانية عشرة حيث يرد هادئاً ثم يبدأ بالتصاعد من خلال عشر آيات ، (أي مايقارب ثلث السورة ..) .

ان هذا المشهد ليعدّ من المشاهد المرسومة بفنية عالية رسماً أداته التشكيل اللغوي المبدع الذي تجسدت فيه العلاقة مابين الصورة والظلال والاثاث والارائك الذهبية المكللة بالديباج والياقوت والالوان والاضواء والقطوف والقوارير والعيون المتدفقة والولدان المخلدون والحرير بانواعه والاساور ، حيث تتجلى القيم الجمالية للموصوفات في أرقى معالم التجلي لانها تاتي متشكلة مع الانسان (البار) محيطة به ، فضلًا عن اتسام المشهد بالحركية لانه جاء مندمجاً باسلوب السرد ، ومن خلاله مؤدياً وظائف مهمة في مقدمتها الترغيب والحث فضلًا عن المهمة التفسيرية والزخرفية ، إن هذا التداخل مابين الوصف والسرد فيما يمكن ان يسمّى بالصورة السردية استطاع ان يحوّل التوتر مابين الوصف الذي يتميز بالسكون والسرد الذي يجسّد الحركة الى انسجام حركي حيث تراوح النص مابين هذين القطبين مما جعله يؤدي مهماته على أكمل وجه[6] .

أما القسم الثالث من السورة فيتشكل من (٩) آيات ينعطف فيها اسلوب السرد الى ضمير المتكلم بكل مايحمل هذا الضمير من فاعلية تزداد أثراً حينما يكون المتكلم الآمرُ هو (الله عز وجل) والمخاطب هو الرسول عليه الصلاة والسلام في أربع آيات :

ـ إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا ..
ـ فاصبر لحكم ربك ..
ـ واذكر اسم ربك ..
ـ ومن الليل فاسجد له ، وسبحه ..

فاعلية النص :

تتجلّى فاعلية النص القرآني في سورة الدهر عبر ظواهر معينة نحاول ان نوجز بعضها بالاشارات الاتية :

ـ الروابط ، وهي الضمائر متصلة ومنفصلة والعطف والتكرار واسماء الاشارة والاسماء الموصولة بما لها من اثر في العودة الى ماقبلها او الاتصال بما بعدها .
ـ حركة الافعال ونسبتها الى الوصف .
ـ ظاهرة التنكير
ـ التصوير
ـ الصوت
ـ التناسب مابين البداية والنهاية ..

● ● ●

الضمير .. من أضمرت الشيء إذا أخفيته وسترته فهو مضمر ، وسمّي بذلك لعدم صراحته كالاسماء المظهرة ..[7]
وتعدّ الضمائر بانواعها الثلاثة من أدوات الربط المهمة بين الجمل ، ذلك ان الايجاز الذي تحدثه في مبنى الجملة ، واستتار المعلوم او الاسم المقصود فيها يؤدي بالمتلقي إلى إتمام النص من خلال فاعلية قراءته ..[8] وفضلًا عن هذا التفاعل المتحقق مابين النص والمتلقي فان الضمائر المستترة والمتصلة تحقق في التركيب اللغوي تكثيفاً يهدف أول مايهدف الى رفع كفاية الخطاب بما يحدثه من تضام وتلاحم بين أجزائه التي تتنوع في وحدة ، ونظرة هادئة الى آيات السورة تبين لنا حضور (١٩) ضميراً مستتراً و (٢٦) ضمير رفع متصل
و (١٩) ضمير نصب متصل
و (٢٩) ضمير جر وضميري رفع منفصلين ، وتفصيل ذلك في الجدول الاتي :

(١) الضمائر المستترة

الضمير المستتر	العائد عليه	الضمير المستتر	العائد عليه
هو في (لم يكن)	الانسان	نبتلي (نحن)	الله تعالى في ضمير إنّا
نحن في (نطعم)	الابرار	نحن في (نريد)	الابرار
نحن في (نخاف)	الابرار	هو في (لقاهم)	الله تعالى
هو في (جزاهم)	الله تعالى	هي في كانت	الاكواب
هي في (تسمّى)	العين	هو في كان	هذا الثواب
انت في (اصبر)	الرسول (ص)	انت في (لاتطع)	الرسول (ص)
انت في (اذكر)	الرسول (ص)	انت في (اسجد)	الرسول (ص)
انت في (سبح)	الرسول (ص)	هو في (شاء)	من : الانسان

هو في (اتخذ)	من : الانسان	هو في (كان)	الله تعالى
هو في (يدخل)	الله تعالى	هو في (يشاء)	الله تعالى
هو في (أعذ)	الله تعالى		

(٢) ضمائر الرفع المتصلة :

الضمير	العائد عليه	الضمير	العائد عليه
ألـ(نا) في خلقنا	الله تعالى	ألـ : نا في هدينا	الله تعالى
ألـ(نا) في جعلنا	الله تعالى	الـ : نا في اعتدنا	الله تعالى
الواو في يشربون	الابرار	الواو في يفجرونها	الابرار
الواو في يوفون	الابرار	الواو في يخافون	الابرار
الواو في يطعمون	الابرار	الواو في صبروا	الابرار
الواو في يرون	الابرار	الواو في قدروها	الابرار
الواو في يسقون	الابرار	التاء في رأيت	المخاطب
التاء في حسبت	المخاطب	التاء في رأيت	المخاطب
التاء في رأيت	المخاطب	الواو في حلوا	الابرار
الـ : نا في نزلنا	الله تعالى	الواو في يحبون	الكفار
الواو في يذرون	الكفار	الـ : نا في خلقنا	الله تعالى
الـ : نا في شددنا	الله تعالى	الـ : نا في شئنا	الله تعالى
الـ نا في بدلنا	الله تعالى	الواوفي تشاؤون	جماعة المخاطبين

(٣) ضمائر النصب المتصلة :

الضمير	العائد عليه	الضمير	العائد عليه
الـ : نا في إنّا	الله تعالى	الهاء في نبتليه	الانسان
الـ نا في إنّا	الله تعالى	الهاء في جعلناه	الانسان
الـ نا في اعتدنا	الله تعالى	الهاء في هديناه	الانسان
الـ كم في نطعمكم	المسكين واليتيم والاسير	الهاء في يفجرونها	العين
الـ هم في لقاهم	الابرار	هم في وقاهم	الابرار
الـ هم في جزاهم	الابرار	نا في إنّا	عباد الله / الابرار
الـ هم في رايتهم	الولدان	الهاء في قدروها	الـنمرة / القوارير
الـ هم في سقاهم	الابرار	هم في حسبتهم	الولدان
الـ نا في أنّا نحن	الله تعالى	الهاء في سبحه	الله تعالى
	———	هم في خلقناهم	محبو العاجلة

(٤) ضمائر الجر :

الضمير	العائد عليه	الضمير	العائد عليه
الهاء في مزاجها	الخمرة	الكاف في لكم	الأبرار
الهاء في بها	العين	الكاف في سعيكم	الأبرار

الهاء في شره	اليوم	الكاف في عليك	الرسول الكريم (ص)
الهاء في حبه	الطعام	الكاف في ربك	الرسول الكريم (ص)
		هم في منهم	الكفار
الكاف في منكم	عموم : المسكين واليتيم والاسير	الكاف في ربك	الرسول الكريم (ص)
		الهاء في له	الله تعالى
الـ : نا في ربنا	الابرار	الهاء في وراءهم	محبو العاجلة
الهاء في فيها	الجنة	الهاء في اسرهم	محبو العاجلة / الناس
الهاء في ظلالها	الجنة	الهاء في امثالهم	هؤلاء / محبو العاجلة / الاثم والكفور
الهاء في قطوفها	الجنة		
الهاء في عليهم	الابرار	الهاء في ربه	اسم الموصول (من)
الهاء في فيها	الجنة	الهاء في رحمته	الله تعالى
الهاء في مزاجها	الخمرة	الهاء في لهم	الظالمين
الهاء في فيها	الجنة		
هم في عليهم	الابرار		
هم في عاليهم	الابرار		
هم في ربهم	الابرار		

٥ ـ أما الضمائر المنفصلة فقد ورد منهما ضميرا رفع هما : إنا (نحنُ) في الاية (٢٣) و (نحن) خلقناهم في الاية (٢٨) وكلاهما يؤكد نسبة الفعل الى الله عزوجل ..

أما اسماء الاشارة ، فقد حضر منها أربعة أسماء هي :

ذلك .. اية ١١ — هذا .. آية ٢٢
هؤلاء .. اية ٢٧ — هذه .. آية ٢٩

بينما لم يرد في السورة من الاسماء الموصولة غير اسم واحد في الاية الاخيرة .. « يدخل من يشاء في رحمته .. »

ولا يخفى ما في هذه المفردات من قدرة على اكتناز معانٍ جليلة والايحاء بمدلولات لا تحصى ، فقد حمل اسم الاشارة الاول (ذلك) كل معاني الرهبة والتخويف ، بينما حمل الثاني .. (هذا) معاني التفخيم والعظمة ، وحمل الثالث (هؤلاء) استخفافاً برؤية كفار مكة الضيقة وعدم تقديرهم الصائب للامور بالعناد ومواصلة الكفر ، وحمل اسم الاشارة الاخير (هذه) تاكيداً على أمور كثيرة منها حقيقة الانشاء او الخلق الاول ، ومنها المواعظ القرآنية ، ومنها الترهيب والترغيب الوارد في السورة ، ومنها هذه السورة نفسها ..[٩] كما لا يخفى ما في هذه المفردات من قدرة على ربط الجمل فضلًا عن ان النص يستعيض بها عن تكرار الاسماء الظاهرة وان كان لكل منها استعماله الخاص[١٠] أما ما أضفاه حضورها على النص من شمولية وتعدد في الدلالة فامر يتضح في تكثيف اللغة وسعة المعاني المرادة .

إن زيادة نسبة ضمائر الرفع والجر على ضمائر النصب يشير الى القوة الداخلية المسيطرة على أجواء السورة ، فالنصب تمثله الفتحة اصلًا وهي أخف الحركات بينما يتسم الرفع والجر اللذان تمثلهما الضمة والكسرة بقوتهما وثقلهما ، فضمائر الرفع هي مركز الفاعلية وبؤرة القوة المتحركة باتجاه إنجاز الفعل فيما تتوزع شخصية المجرور على جهات متعددة من اركان التشكيلات اللغوية ، ولعل ذلك مايملل ارتفاع نسبة ضمائر الجر على غيرها ، لان تعدد معاني حروف الجر يتيح للضمائر المجرورة بها وظائف كثيرة يتسع لها السياق ، وينسحب ذلك على المجرورات جميعاً .

إنّ انعطاف الضمائر وتنوعها وكثافتها ، لاسيما المتصلة بالافعال منها بما تحمل من حدثية وزمن ، أمور لها بالغ الاثر في تحريك النص وإشاعة الحيوية داخل مفاصله وتعميق ثرائه وتنوع مصادر الاثارة فيه حيث تنتقل بؤرة الرؤية من المتكلم الى الغائب الى المخاطب مما يؤدي الى التداخل بين الاشخاص والاحداث والازمنة ، ووضوح هذه الظاهرة في الاسلوب القرآني يؤكد صفة اسلوبية راسخة الاصول في اللغة العربية ..[١١]

إنّ تحول الضمير (أنا) الى (نحنُ) وظيفته الاولى هي تعظيم الذات ، وقد ظل لوقت طويل مقتصراً على الذات العظمى ، فالله عز وجل يتحدث عن ذاته بـ (نحن) تحقيقاً للجلال والهيبة والرهبة وفضل الجمع ، وهكذا هيمنت هذه الصيغة على مطلع السورة الكريمة بثلاث آيات :(إنا خلقنا الانسان ، إنا هديناه السبيل ، إنا أعتدنا للكافرين ..) كما عاودت الحضور قبل الاخير : (إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلًا) فتكرير الضمير هنا بعد ايقاعه اسماً (لانّ) تاكيد على تاكيد معنى اختصاص الله بالتنزيل[١٢] .. وكذا ورد الضمير في : (نحن خلقناهم ..)

والملاحظ ان الافعال المسندة الى الضمير العائد على الذات الالهية تتسم جميعها بالعظمة فهي أفعال خلق وهداية وعقوبة وتنزيل القرآن مما يحيل الى انسجام الضمير بصيغة الجمع مع عظمة الفعل المسند ، ان العدول في استخدام الضمائر برنامج اسلوبي مخطط له وليس مصادفة لغوية لذلك فان رصد التبدلات الطارئة على مسيرة الضمائر ومعرفة قدرتها على التوصيل والتعبير ، ومدى نجاحها او إخفاقها في الوصول الى أهدافها أمر في غاية الاهمية لتاشير مواطن فاعلية النص(١٣) ويتحول الضمير العائد الى الذات العلية تحولات كثيرة عبر الايات إذ يتحول إلى الغيبة : (فوقاهم ، ولقاهم ، وجزاهم) وتكمن الاشارة الى العظمة الالهية في إعجازها القرآني في الفعل المبني للمجهول : (ويسقون فيها كاساً) إذ تتعدد التاويلات في سبب البناء للمجهول بينما يبقى الامر الساقي واضحاً : (وسقاهم ربهم شراباً طهوراً) تعظيماً لشان الشراب والشاربين معاً ..

● ● ●

ويعدّ العطف واحداً من عوامل الربط المهمة ، ومعناه الاتباع والاشتراك والجمع في المعنى بين المتعاطفين بوساطة أداة من ادواته التي تتباين معانيها ووظائفها بحسب استعمالاتها وبيناتها اللغوية ، فالواو لمطلق الجمع ، فاذا قلنا : حضر زيد وعمرو فليس في ذلك دلالة على أنّ زيداً حضر قبل عمرو فقد يكون زيد قد حضر قبله ويختمل انه حضر بعده ، كما يُحتمل أنهما حضرا معاً ، فالواو تجمع هذه الاشياء على هذه المعاني ..(١٤) ، ولعلّ هذه المرونة التي اتصفت بها الواو هي التي جعلتها اكثر حروف العطف شيوعاً على الاطلاق ، فقد وردت الواو عاطفة في هذه السورة (٣٧) مرة ، وكان التقديم والتاخير بها يدخل في عموم موضوع التقديم والتاخير ، فالتقديم إنما يكون للاهتمام والعناية بالمتقدم ، وتختلف العناية باختلاف المواطن ، فقد يعنى المتكلم في موطن بامر فيقدمه ، وقد تكون العناية في موطن آخر بامرٍ آخر فيقدم ذلك الشيء حسبما يقتضي السياق في النص(١٥) وهكذا ينساب العطف في السورة بانثيالٍ فاعل : سلاسلَ وأغلالًا وسعيراً ، يوفون ، ويخافون ، ويطعمون ، مسكيناً ويتيماً واسيرا .. الخ الايات .

وتنفرد واو العطف باقترانها بـ : إمّا كما في قوله : إنّا هديناه السبيل ، إما شاكراً وإمّا كفورا ، كما تنفرد الواو باقترانها بـ (لا) إن سبقت بنفي نحو قوله تعالى : (لانريد منكم جزاء ولا شكورا) لتفيد ان الفعل منفيّ عنهما معاً في حالة الاجتماع والافتراق ، اذ لو لم تدخل (لا ..) لاحتمل ان المراد نفي الارادة عند الاجتماع دون الافتراق ، فاذا قيل في غير القرآن : لا نريد منكم جزاءً وشكورا احتمل عدم إرادتهما معاً وقد نريد احدهما(١٦) فجاءت (لا) لنفي إرادة الجزاء والشكور معاً وعلى كلّ حال ..(١٧)

أما الفاء فقد تكررت خمس مرات ، وهي تفيد الترتيب والتعقيب ، يقول سيبويه في : مررت برجل فامرأة ، « فالفاء أشركت بينهما في المرور ، وجعلت الاول مبدوءاً به .. »(١٨)

وقد تفيد الفاء الدلالة على السبب في قوله : فجعلناه سميعاً بصيرا ، وقوله : فوقاهم الله شرّ ذلك اليوم ، وكذلك : فاصبر لحكم ربك ، فالفاء هنا أفادت السبب ، يعني : بسبب الابتلاء جعلناه يسمع ويرى ، وبسبب الخوف منه وقاهم ، وبسبب ما في القرآن من أمانة ثقيلة يحتاج حاملها الى الصبر عليك ان تصبر وهكذا ..

اما (أو) فهي لاحد الشيئين أو الاشياء ، ولها معانٍ عدة وقد سبقت في الاية الكريمة (ولا تطع منهم آثماً أو كفورا) بلا الناهية ، والمراد : النهي المطلق عن طاعة الاثم والكفور معاً ، اي لا تطع احدهما ولا كليهما معاً ..(١٩)

ويسهم التكرار أيضاً في الربط بين التشكيلات الجملية في النص محققاً التلاحم والانسجام والتوازن بين الايات فمن ذلك تكرار المفردات الاتية : الانسان : مرتين

يوماً ، اليوم ، يوماً

الله (تعالى) خمس مرات

فضة ثلاث مرات

قوارير مرتين

كاس ، كاساً

عيناً مرتين

يشرب ، يشربون

ذللت تذليلا

يسقون ، سقاهم

يطاف ، يطوف

قدروها تقديرا

رأيتهم ، رأيت ، رأيت

نزلنا تنزيلا

ربنا ، ربك ، ربك ، ربه

الليل ، ليلاً

شئنا ، شاء ، نشاء ، يشاء

ولعل روعة التكرار تكمن هنا في عدم جريانه على وتيرة واحدة بل هو في تغيّر وتلوّن وانعطاف ، فبينما تتكرر مفردات : الانسان ، الله (تعالى) ، يوماً ، فضة ، قوارير ، عيناً ، رأيت ، ربك ، تكرار تطابق ، ويجري التكرار في المفردات الاخرى بالوانٍ شتى تبعث على إثارة المتلقي وتامله ، يتجلى ذلك في الانعطاف من الجر الى الفتح ، ومن الفعل المسند للمفرد الى مثيله المسند الى واو الجماعة ومن المعلوم الى المبني للمجهول ، ومن الاضافة لضمير المتكلم الى المخاطب فالغائب ، ومن كل ذلك الى التكرار المؤكد باسلوب المفعول المطلق ..

ان وجود اكثر من (١٥٩) رابطاً باساليب مختلفة في نصّ يقترب عدد مفرداته من (٢٤١) مفردة ليحيلنا الى التلاحم الشديد والاحكام المتقن الذي لابد ان يسمَ نصاً كهذا ، ويتجلى كل ذلك في وحدة عضوية أخاذة تجمع أطراف السورة الكريمة بحيث يأخذ بعضها برقاب بعض ، وتتصل فيها الجملة بالجملة والآيةُ بالاية ويحيلُ فيها الجزء على الكل من البداية

حتى النهاية .

● ● ● ●

احتوت سورة الدهر على (٥٧) فعلًا ، جاء (٢٣) منها بصيغة الماضي ، و (٢٢) فعلًا بصيغة المضارع ، و (٤) أفعال وردت بصيغة الامر ، أما الافعال الثمانية الباقية فقد كانت أفعالًا ناقصة ورد فعلٌ واحد منها بصيغة المضارع المنقلب الى الماضي .. (لم يكن .) وسبعة أفعال بصيغة الماضي ، وقد اقتصرت على الفعل الناقص كان .

من هنا نجد ان النص اشتمل على (٥٧) جملة فعلية مما يرجح كفّة الحركة والحجاج وطرح الادلة والترغيب والوعيد ، ومما يزيد الحركة فعالية.ان الجمل الاسمية في السورة التي كان عددها (١٤) جملة لم تتسم بالثبوت والسكونية لان معظمها كان ذا بؤرٍ فعلية عدا جملتين اثنتين : (ودانية عليهم ظلالها ..) و (ان هذه تذكرة ..)

وبلغت مفردات الوصف في النص (نعتاً وحالًا ..) (١٣) مفردة فقط ، وحسب معادلة العالم الالماني أ. بوزيمان التي وضعها لقياس فعالية النصوص الادبية نجد ان نسبة الفعل الى الوصف كانت كالاتي :

ن ف ص ٥٧ /١٣ = ٤ , ٣٨

وخلاصة الفرض الذي وضعه هذا العالم : ان من الممكن تمييز فعالية النص الادبي بوساطة تحديد النسبة بين مظهرين من مظاهر التعبير اولهما التعبير بالحدث ، وثانيهما التعبير بالوصف[٢٠] . من هنا نجد ارتفاع نسبة حركية وفعالية النص عبر الايات الكريمة من خلال ارتفاع نسبة الافعال على الوصف فيه .

ومما يلفت الانتباه في هذه السورة انها احتوت على (٧٧) مفردة نكرة ، أي ما يقارب ثلث النص القرآني البالغ حوالي (٢٤١) مفردة ، واذا تاملنا الوظائف التي ادتها صيغ التنكير في الايات نجد انها استوفت كثيراً من المعاني البلاغية التي تعبر عنها هذه الصيغة (٢١) :

حين من الدهر　　التخصيص
لم يكن شيئاً مذكورا　　النفي والتقليل
من نطفة امشاج　　الاستخفاف
سميعاً بصيرا　　التعظيم
اما شاكراً واما كفورا　　الاستمرارية
سلاسلَ واغلالًا وسعيرا　　التهويل
كاس ـ كافورا　　التعظيم
عيناً ـ تفجيرا　　تفخيم ـ تكثير
يوماً ـ مستطير مستطيرا　　تهويل وتخويف
مسكيناً ،يتيما واسيرا　　استعطاف
جزاء ـ شكورا　　نفي ارادة الجزاء والشكور منهم ـ تخصيصاً ـ
يوماً عبوساً قمطريرا　　زيادة في التهويل
نضرة وسرورا　　تفخيم وترغيب وتبشير
جنة وحريرا　　ارادة الجنس مع الترغيب والتشويق
متكئين　　تصوير
شمساً ولا زمهريرا　　نفي اي جنس للاذى ، لانّ أذى أية بيئة ياتي من حرّ او برد ..
ودانية عليهم ... تذليلا　　تصوير صورة النعيم المحيط بالابرار . تصويراً مخصصاً ..

بآنية من فضة واكواب　　بيان الجنس
كانت قوارير ، قوارير من فضة ـ تعظيماً لخلقتها فهي علىٰ الرغم من بياض الفضة الا أنها في صفاء القوارير[٢٢]
قدروها تقديراً　　تاكيد
كاساً ... زنجبيلا　　تشويق
عيناً .. سلسبيلا　　تشويق
ولدان مخلدون .. لؤلؤاً منثورا　　تزيين وتشويق وتجميل
نعيماً وملكاً كبيرا　　تفخيم وتعظيم
ثياب سندس خضر واستبرق : تزيين للشيء ، ترغيب وتشويق للمتلقي
اساور من فضة
شراباً طهورا
جزاءً　　تفخيم وترغيب
تنزيلًا　　تاكيد
آثماً او كفوراً　　تحقير
بكرة واصيلا　　تخصيص
ليلًا طويلًا　　الشمول
يوماً ثقيلًا　　التخويف والتهويل
تبديلا　　التاكيد
تذكرة　　ارشاد وترغيب
عليماً حكيما　　شمول العلم والحكمة
عذاباً اليما　　تخويف .

وهكذا تتنوع وظائف الاسماء النكرة في كل اية من ايات السورة متحركة على مختلف المعاني ، متداخلة تداخلًا يحفظ لها وضوحها وعنفوان تركيبها باسلوب يسوده التاثير ، حتى لقد وردت النكرة مفعولًا مطلقا مؤكداً لفعله في خمس صيغ : يفجرونها تفجيرا / قدروها تقديرا / نزلنا ، تنزيلا ، بدلنا .. تبديلا ، ذللت تذليلا ..

● ● ● ●

لم تعد الصور الفنية مقتصرة على التشكيلات البلاغية كما فهمها النقد القديم بل قد تخلو الصورة من المجاز أصلًا فتكون عبارات حقيقية الاستعمال ، ومع ذلك فهي تشكل صوراً دالة تتسم بالهدوء مرة ، وبالحركة مرات[٢٣] والقراءة المتانية لهذه السورة تحيلنا الى اربع انزياحات بلاغية تتمثل الصور البلاغية فيها من خلال : « يوماً عبوساً » .. (آية ١٠) و « ذللت قطوفها » .. (أية ١٤) و« حسبتهم لؤلؤاً منثورا » .. (اية ١٩) و « يدخل من يشاء في رحمته » ، (أية ٣١) ، لكن واقع السورة يزخر بالتصوير من خلال المفردات والتشكيلات اللغوية الزاخرة بعلاقات صورية ، والنابضة بالحركة التي تحفز الذهن على تشكيل

الصور ، ومن هذه المفردات والتراكيب :

نطفة أمشاج ، سلاسل واغلالا وسعيرا ، كاس كان مزاجها .. عيناً يشرب بها عباد الله ، يفجرونها تفجيرا ، مستطيرا ، يطعمون الطعام مسكيناً ويتيماً واسيرا ، نطعمكم ، عبوساً قمطريرا ، نضرة وسرورا ، جنة وحريرا ، متكئين فيها على الارائك ، شمساً ولا زمهريرا ، ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها ، ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب كانت قواريرا ، قوارير من فضة ، ويسقون فيها كاساً ، عيناً فيها تسمى سلسبيلا ، ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤاً منثورا ، نعيماً وملكاً كبيرا ، عليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا اساور من فضة وسقاهم ربهم شراباً طهورا ، بكرة واصيلا ، الليل ، اسجد له ، خلقناهم وشددنا اسرهم ، بدلنا ، يدخل ، أعدّ ، ففي تشكيلات هذه المفردات صور حقيقية او صور واقعية زاخرة بالمشاعر والرؤى .

وهكذا يبقى ذهن المتلقي ومخيلته في حركة وانتباه وتأمل وهو يتابع هذه التشكيلات الهادرة بنبض الحياة ترسم الصور المرعبة مرة ، وتزين صور الجنة مرات ومرات .

وفضلًا عن الطاقات التصويرية في السورة ، فان هناك مفردات ذات طاقة على التشظي الى معانٍ متعددة فهي تمتلك القدرة على الاحالات المختلفة نحو معانٍ محتملة أو واردة الاحتمال منها :

السبيل : الايمان ، الاسلام ، الخير ، شمولية العمل الصالح ..

الابرار : من هم .. ؟ أهل الصدق ، الموحدون ، من امتثلوا لاوامر الله تعالى ، الموفون بالنذر ، الخائفون العقاب ، الذين لا يؤذون أحداً .. لعل كل ذلك صحيح ، مسكينا ويتيما واسيرا .

أيهم .. ؟ مساكين وايتام واسرى المسلمين .. ؟ اهل الكتاب ؟ بشكل عام دونما شروط : رحمة من الله تعالى بالضعف الانساني

بما صبروا : على اي شيء .. ؟ الفقر ، الصوم ، العبادة ، الجهاد ، متابعة الحياة .. ؟

لايرون فيها شمساً ولا زمهريرا : لاحرّ ولا برد يؤذيان ، وقيل لا شمس ولا قمر لا نهار ولا ليل ، اي ظرف هو إذن .. ؟ ظرف خاص باجواء الجنة لا نستطيع ادراكه نحن ..

ودانية عليهم ظلالها : اي ظلال ؟ ظلال اشجار الجنة ؟ ظلال الاعمال الخيّرة التي ذللت قطوفها لهم بالثواب .. ؟

ولدان مخلدون : اي خلود .. ؟ الشباب الدائم .. الخدمة المستمرة ..

ـ **نعيماً وملكاً كبيراً** : ما المقصود بالملك .. ؟ وهو ليس ملكا اعتيادياً بل ملكاً كبيراً ، فهو مع النعيم الحال فيه يعلو عن الوصف لانه مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولم يخطر ببال بشر ، لانه نعيم وملك الجنة .

ـ **وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شراباً طهورا** : هي ليست أساور الدنيا ، وليس هو شرابها ، بل مايحيلان اليه من النعم جزاء ماقدّموا من اياد بيضاء في الحياة فجاءت ايديهم محلاة وشرابهم مطهراً من أي سوء ..

ـ **إن هذا كان لكم جزاء** : اسم الاشارة يحيل الى كل أنواع الثواب وليس الى ثواب واحد .

ـ **سعيكم** : يحيل الى شمولية عملهم الصالح الذي لا يدركه غير الله تعالى لانه يشمل السر والعلن ، والمادي والمعنوي .

ـ **فاصبر لحكم ربك** .. ما هو الحكم .. ؟ تبليغ القرآن الكريم للانسانية ، الابتلاء طاعة الاوامر .. ؟ الصبر على عصيان البشر .. ؟

ـ **آثماً أو كفورا** : من هو الاثم ، ومن هو الكفور .. ؟ الملحد ؟ الجاحد ؟ المسلم العاصي ..

ـ **ومن الليل فاسجد له** .. أي جزء من الليل ؟ أوله ، منتصفه ، آخره .. ؟

ـ **ان هؤلاء** .. من هم : الكفار ، الجاحدون ، المسلمون الضالون ؟

ـ ان هذه تذكرة .. هذه الايات ، القرآن الكريم ، المواعظ وأوامر الله التخويف من النار ، وصف الجنة .. ؟

ـ **يدخل من يشاء** .. (من) : من هم ؟ أم جميع البشر مشمولون بمشيئة الرحمة ؟

المستوى الصوتي :

إن نظرة متانية الى المخطط الصوتي للسورة الكريمة ، والمرفق بهذا المبحث يشير الى جملة أمور منها :

١ ـ تتشكل السورة من (١١٣٦) حرفاً يتخللها (١٩٧) حرف مدّ صافٍ أي بنسبة : ٥ , ١٦ ٪ ، وإذا علمنا ان سمة الأصوات الصائتة هي وضوحها الصوتي في السمع ، وأنها أطول الأصوات في اللغة ..[٢٤] تجلى لنا مدى التوازن والتلوين القائم بين الاصوات الصامتة وأصوات اللين في تشكيل الايات .

٢ ـ تشكلت حروف المد في السورة من الواو الذي ورد في (٢٥) موضعاً وبنسبة تقترب من ٦ , ١٢ ٪ من مجموع حروف اللين ، ووردت الياء في (٤١) موضعاً بنسبة تقترب من ٢ , ٢١ ٪ ، أما الألف فتكررت (١٣١) مرة ، وبنسبة ٦ , ٦٦ ٪ ، ومن الجدير بالذكر ان الألف يتسم باعلى درجات الوضوح السمعي لما فيه من حزم صوتية عالية تمنح المقاطع شيئاً كثيراً من الانفتاح والطلاقة ، فضلًا عمّا تضفيه مجمل حروف اللين من الجهر ومن التلوين النغمي الذي يوفره تعاقب المد مابين الواو والياء والالف ..

٣ ـ في السورة (٢١٧) حرفاً مهموساً ، و (٥٠) همزة ، ويرى علماء الصوت المحدثون أن حرف الهمزة ، ليس هو بالمجهور ولا المهموس ، لان الوترين الصوتيين ينفرجان تماماً اثناء النطق بها ، فيكون النطق همساً ، ولايتضامّان ويتقاربان فيحون جهراً ، بل ينطبقان انطباقاً كاملًا بحيث ينحبس الهواء تماماً نتيجة لانغلاق فتحة المزمار ..[٢٥]

أما الحروف المجهورة فكانت بحدود (٨٦٩) أي بنسبة تقترب من ٥ , ٧٦ ٪ واذا علمنا ان الاصوات المجهورة تشكل القيم الحقيقية التي يعتمد عليها النغم بسبب ذلك التنغيم الذي يحدث اهتزاز الوترين الصوتيين[٢٦] فاننا ندرك من خلال ارتفاع

نسبة الاحرف المجهورة مدى الطاقة النغمية الكامنة في تشكيل الايات الكريمة التي تضمنتها السورة ..

٤ ـ في السورة (٢٦٦) مقطعاً قصيراً ، والمقطع القصير (ب) يتشكل من حرف متحرك لايليه ساكن ، يتشكل خلالها (٤٦) فاصلة صغرى (ب ب ـ) تتكون من ثلاث حركات يليها ساكن ، كما توفرت السورة على (٤٣٥) مقطعاً طويلًا يتشكل من صوتٍ متحرك يليه سكون (ـَـهْ) ، وإذا علمنا أن في السورة كلها (٥) فواصل كبرى فقط (ب ب ب ـ) ، وفاصلتان مافوق الكبرى ، الاولى (ب ب ب ب ب ب ـ) في الاية ـ ٢٧ ـ ، والثانية (ب ب ب ب ـ) في الاية ـ ٢٩ ـ تجلت لنا الخفة والانسيابية الصوتية والرواء الذي يسود تشكيلات السورة يزيد ذلك جمالًا وانفتاحاً،أن الايات جميعها انتهت بما لايقل عن مقطعين طويلين مفتوحين لانتهائهما بمدّ مفتوح كما في (٢٢) آية ، بينما انتهت (٦) آيات باربعة مقاطع طويلة مفتوحة ، وآيتان بثلاثة مقاطع طويلة مفتوحة وآية واحدة بخمسة مقاطع هي الاية (١٦) ، أما الاية الاولى فقد انتهت بستة مقاطع طويلة مفتوحة مما يتيح استيعاب حركة المعاني المؤثرة بحيث تكون قادرة على توصيل الاثر المطلوب من خلال توالي المقاطع الطويلة المنتهية بمقطع طويل مفتوح ..

٥ ـ يلاحظ تجمع الفواصل مافوق الكبرى في موضعين فقط هما مطلع السورة ونهايتها ، وإذا كنا قد أشرنا في المبحث الاخير من هذه الدراسة الى ذلك الانسجام والتوافق الدلالي مابين البداية والنهاية فان حضور الفواصل مافوق الكبرى في هذين الموضعين دليل على استجابة المعطيات الصوتية للدلالات التي تؤديها بخصوصية جمالية عالية ، فالطاقة الصوتية تسعى جاهدة لتحقيق المعاني المرادة في تلاؤم وانسجام مثيرين من خلال نسج لغوي خلاب يوفر فضاءً مدهشاً مابين ثبوت النص وتحولات الدلالة ، ولو تفحصنا مواضع الفواصل في مفرداتها داخل الايات لبدا ذلك التلاحم الجمالي بين الصوتي والدلالي ، ففي الاية (٢) مثلًا تشكلت الفاصلة من آخر مفردة (نبتليه) وأول (فجعلناه) حيث امتزجت إرادة الابتلاء وتحققها باسبابها : السمع والبصر ، كما جمعت الفاصلة الثانية بين مفردتي (سلاسل واغلالا) لتزيد من التعبير عن كرب وثقل العذاب المنتظر ، بينما جمعت الثالثة بين راء (النذر) وبداية (ويخافون) للتعبير عن تلازم الخوف بالطاعة وشدة وقع رهبة المؤمنين من غضب الله حيث تقوم الكتل الصوتية الثقيلة باداء كل تلك المهمات ، وهذا ما تجلى في الايات الاخيرة حيث وردت الفواصل في الايات (٢٤ ، ٢٧ ، ٢٩) تعبيراً عن تداخل قضايا الحياة الدنيا والتباس الحق بالباطل فيها وتسارع الناس وصراعهم من أجل نيل مغانمها .. العاجلة ، وكذلك في .. (اتخذ الى) ..

وتنتهي آيات السورة الاحدى والثلاثين بثلاثة فواصل فقط هي الراء التي وردت عشرين مرة ، واللام التي تكررت تسع مرات ، والميم في الآيتين الاخيرتين ، كما يوضح الشكل الاتي :

١ ر ـ ٢ ر ـ ٣ ر ـ ٤ ر ـ ٥ ر ـ ٦ ر ـ ٧ ر ـ ٨ ر

٩ ر ـ ١٠ ر ـ ١١ ر ـ ١٢ ر ـ ١٣ ر ـ ١٤ ل ـ ١٥ ر ـ ١٦ ر

١٧ ل ـ ١٨ ل ـ ١٩ ر ـ ٢٠ ر ـ ٢١ ر ـ ٢٢ ر ـ ٢٣ ل

٢٤ ر ـ ٢٥ ل ـ ٢٦ ل ـ ٢٧ ل ـ ٢٨ ل ـ ٢٩ ل

٣٠ م ـ ٣١ م

والملاحظ ان هذه الاحرف الثلاثة تجتمع في كونها اصواتاً مجهورة فالراء صوت متوسط مجهور وهي نوعان مرققة ومخففة ، والاصل فيها التفخيم ولكلّ مواضع فصلها العلماء[٢٧] وكذلك اللام ، اما الميم ففضلًا عن كونها صوتاً مجهوراً متوسطاً بين الشدة والرخاوة فانها تعدّ من الصوامت التي يطلق عليها : الصوامت الغنّاء كما هو حال النون ..[٢٨] وهكذا تمكن عوامل الجهر والتنغيم وانفتاح المقاطع الاخيرة للآيات من توفير اقصى عوامل الجمال الصوتي في السورة ، كما توفر لها عوامل التلاؤم والانسجام ، واذا كان القرآن الكريم ليس بالشعر ولا بالنثر المعروف إلا انه الى النثر أقرب لانه ذلك الاسلوب المعجز الذي يأخذ من الشعر ومن النثر أجمل مافيهما فاذا كان الشعر يمتاز عموماً بموسيقاه المتكاملة وقوافيه الصارمة ، وتصويره الجميل ، وإذا كان النثر يمتاز بحريته الكبرى في التدفق والانسياب ، فان في القرآن الكريم أجمل مافي الشعر ، وأجمل مافي النثر معاً من موسيقى وفاصلة ينسابان بحرية وعذوبة يوجههما المعنى في تؤدة ورفق ، وليس العكس مطلقاً كالذي يوجد في الكثير من الشعر[٢٩].

ولا ننسى ما للتجمعات الصوتية التي اكتنفت السورة من أثر ، فحضور النون والراء مثلًا في الايات الاتية ، وتوزع الباء والقاف والهاء والهمزة في مجمل الايات ذاتها على سبيل المثال لا الحصر .. لا يخفى على المتأمل ..

ـ إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريرا

ـ فوقاهم الله شرّ ذلك اليوم ، ولقّاهم نضرة وسرورا ..

ـ وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا

ـ متكئين فيها على الارائك ، لا يرون فيها شمساً ولا زمهريرا ..

وقد سبقت الاشارة الى تكرار المفردات ، وماله من أثر في شدّ وتماسك التشكيل اللغوي والربط بين أجزاء النص ، وتوزيع الشحنات الانفصالية المنطلقة من بؤر متباينة في الاجزاء مما يخلق هالاتٍ جمالية تجمع أطراف الخطاب باكمله ، وكل ذلك يؤدي الى تحقيق استجابة عالية لدى المتلقي فضلًا عن مهماته الصوتية والجمالية ، وفي الاساس العقائدية منها ..

ولابد قبل الختام من تأمل هذا التناسب والتوافق مابين الوحدة الاولى من السورة وخاتمة الوحدة الثالثة (النهاية) ..[٣٠]

فان البداية تقرر :

أ ـ أن الانسان قبل الخلق لم يكن شيئاً مذكورا ـ

ب ـ ان الله عز وجل خلق الانسان من نطفة مختلطة من ذكر وانثى ، وفي هذا الخلق تتجلى عظمة الله وابداعه .

جـ ـ أن هذا الخلق لم يتمّ عبثاً ، بل لهدف واضح هو الابتلاء والاختبار .

د ـ إن الله تعالى ـ بعدل منه ـ زود هذا الانسان بالسمع والبصر والادراك ليكون جديراً بالتكليف ، مهيئاً للحساب .

وتنتهي السورة باربع آيات تقابل البداية وتناسبها : نحن خلقناهم وشددنا اسرهم : تاكيد لما سبق في قضية الخلق ، يلي ذلك دعوة مباشرة للتذكر والتامل الذي ورد في بداية السورة بدعوة غير مباشرة عبر الآية الثالثة : إنا هديناه السبيل ، أما في الختام فقد اتضحت السبل وتمت كلمة الله ، فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ، وصار الطريق الى رضا الله واضح المعالم ، بيّنَ السمات ، من اتبعه يسّر الله له الوصول وأعانه على بلوغ الثواب المقيم حيث الرحمة والرضوان ، ومن رحمته ان الفعل (يدخل) جاء بصيغة المضارع المؤذن بالاستمرار ، الموحي بدوام الرحمة ، بينما (أعدّ) بصيغة الماضي للظالمين عذاباً اليما : إعلاماً بان عذابهم موجود ومفروغ منه ، إنه الظلام والنقمة بما ظلموا وعصوا ..(٣١)

١ . – ∪ – ∪ – ∪ – – – ∪ – – ∪ – – ∪ – ∪ – ∪ – – – – – –

٢ . – – ∪ – – – – ∪ – – ∪ – – – – ∪ – ∪ ∪ ∪ – ∪ ∪ ∪ – – ∪ ∪ – – ∪ – –

٣ . – – ∪ – – – ∪ – ∪ – – – ∪ – – ∪ – –

٤ . – – – – – – ∪ – ∪ ∪ – ∪ ∪ ∪ – – – ∪ ∪ – –

٥ . – – – – ∪ – ∪ – ∪ – – – – ∪ ∪ – ∪ – – – –

٦ . – – – ∪ ∪ ∪ ∪ – ∪ – – – ∪ ∪ – ∪ – ∪ – – – –

٧ . – – – ∪ – – ∪ ∪ ∪ – – ∪ – – – ∪ – ∪ – ∪ – –

٨ . ∪ – ∪ ∪ – – ∪ – ∪ ∪ ∪ – – ∪ – – – ∪ ∪ – – ∪ ∪ – –

٩ . – ∪ – – ∪ – ∪ ∪ – ∪ ∪ – – – ∪ – ∪ – ∪ – ∪ – – ∪ – ∪ – – ∪ – –

١٠ . – – ∪ – ∪ – – ∪ ∪ ∪ ∪ ∪ – ∪ – – –

١١ . ∪ ∪ – ∪ – – ∪ – ∪ – ∪ – – – ∪ ∪ – – – – ∪ – ∪ ∪ ∪ – –

١٢ . ∪ ∪ – ∪ – ∪ – ∪ ∪ – ∪ – ∪ ∪ ∪ – – –

١٣ . – ∪ ∪ – ∪ – – ∪ ∪ – ∪ – ∪ ∪ – ∪ – ∪ – – – – ∪ – – ∪ – – –

١٤ . ∪ – ∪ ∪ – – ∪ – ∪ – ∪ – ∪ – ∪ – ∪ – ∪ – – – –

١٥ . ∪ ∪ – ∪ ∪ – – ∪ ∪ ∪ – – ∪ – ∪ – – – – – ∪ – – –

١٦ . ∪ – – ∪ – – ∪ – – ∪ – – – – –

١٧ . ∪ – – ∪ – – – – ∪ ∪ – ∪ – – ∪ – –

١٨ . – – – – ∪ – – – ∪ – –

١٩ . ∪ ∪ – ∪ ∪ – – – – – ∪ – ∪ – ∪ ∪ – ∪ – ∪ – ∪ – ∪ – ∪ – – – –

٢٠ . ∪ ∪ – ∪ – ∪ – ∪ ∪ – ∪ ∪ – – ∪ – – ∪ – –

٢١ . – ∪ ∪ – ∪ – ∪ – ∪ – – – ∪ – – ∪ – ∪ – – ∪ – ∪ ∪ – ∪ – ∪ ∪ – – – ∪ – ∪ – – ∪ – – ∪ – –

٢٢ . – ∪ – – – ∪ ∪ – ∪ – – ∪ – ∪ – ∪ – – – –

٢٣ . – – – ∪ – – – ∪ – – – ∪ – – –

٢٤ . – – ∪ – ∪ – ∪ ∪ ∪ – ∪ – – – – ∪ – – ∪ – –

٢٥ . – ∪ – ∪ – ∪ ∪ – ∪ – ∪ ∪ – –

٢٦ . ∪ ∪ – – ∪ – – ∪ – ∪ – – ∪ – – ∪ – –

٢٧ . – ∪ – ∪ – ∪ ∪ – – – ∪ ∪ ∪ ∪ ∪ ∪ – ∪ ∪ – ∪ – – – ∪ – –

٢٨ . – ∪ ∪ – – – ∪ ∪ – – – ∪ – ∪ ∪ – – – – – – – ∪ – ∪ – –

٢٩ . – ∪ – ∪ – – ∪ ∪ – ∪ – – – ∪ ∪ ∪ ∪ – – ∪ – ∪ – –

٣٠ . ∪ – ∪ – – ∪ – – – ∪ – – – ∪ – – – ∪ – ∪ ∪ – – ∪ – –

٣١ . – ∪ ∪ – ∪ – ∪ – ∪ ∪ – – – ∪ – ∪ ∪ – ∪ ∪ – ∪ – – ∪ – –

١ . ٢٢ حركة / ١٦ سكونا ← ٦ مقاطع قصيرة (ب) + ١٦ مقطعاً طويلًا (-)
٢ . ٣٠ حركة / ٢٠ سكوناً ← ١٠ مقاطع قصيرة (ب) + ٢٠ مقطعاً طويلًا (-)
٣ . ٢٠ حركة / ١٤ سكوناً ← ٦ مقاطع قصيرة (ب) + ١٤ مقطعاً طويلًا (-)
٤ . ٢١ حركة / ١٣ سكوناً ← ٨ مقاطع قصيرة (ب) + ١٣ مقطعاً طويلًا (-)
٥ . ٢١ حركة / ١٥ سكوناً ← ٦ مقاطع قصيرة (ب) + ١٥ مقطعاً طويلًا (-)
٦ . ٢١ حركة / ١٣ سكوناً ← ٨ مقاطع قصيرة (ب) + ١٣ مقطعاً طويلًا (-)
٧ . ٢٢ حركة / ١٤ سكوناً ← ٨ مقاطع قصيرة (ب) + ١٤ مقطعاً طويلًا (-)
٨ . ٢٤ حركة / ١٤ سكوناً ← ١٠ مقاطع قصيرة (ب) + ١٤ مقطعاً طويلًا (-)
٩ . ٢٦ حركة / ١٦ سكوناً ← ١٠ مقاطع قصيرة (ب) + ١٦ مقطعاً طويلًا (-)
١٠ . ١٨ حركة / ١٣ سكوناً ← ٥ مقاطع قصيرة (ب) + ١٣ مقطعاً طويلًا (-)
١١ . ٢٥ حركة / ١٤ سكوناً ← ١١ مقطعاً قصيراً (ب) + ١٤ مقطعاً طويلًا (-)
١٢ . ١٦ حركة / ٨ سواكن ← ٨ مقاطع قصيرة (ب) + ٨ مقطعاً طويلًا (-)
١٣ . ٢٧ حركة / ١٦ سكوناً ← ١١ مقطعاً قصيراً (ب) + ١٦ مقطعاً طويلًا (-)
١٤ . ٢٣ حركة / ١٣ سكوناً ← ١٠ مقاطع قصيرة + ١٣ مقطعاً طويلًا (-)
١٥ . ٢٦ حركة / ١٦ سكوناً ← ١٠ مقاطع قصيرة + ١٦ مقطعاً طويلًا (-)
١٦ . ١٥ حركة / ١١ سكوناً ← ٤ مقاطع قصيرة + ١١ مقطعاً طويلًا (-)
١٧ . ١٨ حركة / ١٢ سكوناً ← ٦ مقاطع قصيرة + ١٢ مقطعاً طويلًا (-)
١٨ . ١١ حركة / ٩ سواكن ← ٢ مقطعان قصيران + ٩ مقاطع طويلة (-)
١٩ . ٣١ حركة / ١٨ سكوناً ← ١٣ مقطعاً قصيراً + ١٨ مقطعاً طويلًا (-)
٢٠ . ٢٠ حركة / ١٠ سواكن ← ١٠ مقاطع قصيرة + ١٠ مقاطع طويلة (-)
٢١ . ٤١ حركة / ٢٤ سكوناً ← ١٧ مقطعاً قصيراً + ٢٤ مقطعاً طويلًا (-)
٢٢ . ٢٠ حركة / ١٣ سكوناً ← ٧ مقاطع قصيرة + ١٣ مقطعاً طويلًا (-)
٢٣ . ١٦ حركة / ١٣ سكوناً ← ٣ مقاطع قصيرة + ١٣ مقطعاً طويلًا (-)
٢٤ . ٢١ حركة / ١٣ سكوناً ← ٨ مقاطع قصيرة + ١٣ مقطعاً طويلًا (-)
٢٥ . ١٤ حركة / ٧ سواكن ← ٧ مقاطع قصيرة + ٧ مقاطع طويلة (-)
٢٦ . ١٨ حركة / ١١ ساكناً ← ٧ مقاطع قصيرة + ١١ مقطعاً طويلًا (-)
٢٧ . ٢٨ حركة / ١٤ ساكناً ← ١٤ مقاطع قصيراً + ١٤ مقطعاً طويلًا (-)
٢٨ . ٢٨ حركة / ٢٠ سكوناً ← ٨ مقاطع قصيرة + ٢٠ مقطعاً طويلًا (-)
٢٩ . ٢٤ حركة / ١٣ سكوناً ← ١١ مقطعاً قصيراً + ١٣ مقطعاً طويلًا (-)
٣٠ . ٢٦ حركة / ١٧ سكوناً ← ٩ مقاطع قصيرة + ١٧ مقطعاً طويلًا (-)
٣١ . ٢٨ حركة / ١٥ سكوناً ← ١٣ مقطعاً قصيراً + ١٥ مقطعاً طويلًا (-)

الهوامش

(١) ينظر : الجامع لاحكام القرآن - أبو عبد الله القرطبي ، ١٤/ ١١٨ وفي ظلال القرآن ٨ /٣٩١ .
(٢) سورة طه ، آية ١٢٤ .
(٣) شرح ديوان الاعشى - شرح ابراهيم جزيني : ١٤٨
(٤) المصدر نفسه : ٢٧
(٥) ينظر : صناجة العرب ، الاعشى الكبير - د . مصطفى الجوزو ص٩٤ - ١٠١
(٦) ينظر : بناء الرواية - سيزا قاسم ص٨٢ - ٨٣
(٧) ينظر : معاني النحو - د . فاضل السامرائي ومصادره ، ١ /٤٥
(٨) ينظر : القرآن الكريم في علم لغة النص الحديث - د . الهام أبو غزالة وعلي خليل أحمد ، ص١٨ .

(٩) ينظر : التفسير الكبير ، الفخر الرازي : ٣٠ / ٢٦١ – ٢٦٢ ، وتفسير القرآن العظيم – عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن كثير : ٧ / ١٨٦ ، وصفوة التفاسير – محمد علي الصابوني : ٣ / ٤٩٧ ، وتنوير الاذهان من تفسير روح البيان اسماعيل علي حقي البروسوي ، اختصار وتحقيق الشيخ محمد علي الصابوني : ٤ / ٤٦٥ – ٤٦٦

(١٠) – ينظر : من اسرار اللغة – د . ابراهيم أنيس ، ص٢٧٦ – ٢٧٧ .

(١١) ينظر : تبادل الضمائر وطاقته التعبيرية – د . محمد نديم خشفة ، مجلة البيان ، ٢٤٢ / ٩٢ : ٧

(١٢) ينظر : تفسير النسفي – ابو البركات عبد الله بن احمد بن محمود النسفي : ٣ / ٣٢٠

(١٣) ينظر : تبادل الضمائر وطاقته التعبيرية : ٢٠

(١٤) ينظر : كتاب سيبويه ١ / ٤٣٨ ومعاني النحو : ٣ / ٢١٠ .

(١٥) ينظر : معاني النحو : ٣ / ٢١٢ .

(١٦) المصدر نفسه : ٢٢١ .

(١٧) ينظر : تفسير ابن كثير : ٧ / ١٨١ .

(١٨) الكتاب : ٤٣٨

(١٩) مغني اللبيب – ابن هشام : ١ / ٦٢ وينظر معاني النحو : ٣ / ٢٤٥

(٢٠) ينظر : الاسلوب ، دراسة لغوية إحصائية – د . سعد مصلوح ، ص٥٩ .

(٢١) ينظر : معاني النحو ١ / ٤٢ – ٤٣

(٢٢) ينظر : تفسير الكشاف – الزمخشري : ٤ / ٦٧٠

(٢٣) ينظر : الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري – د . علي البطل

(٢٤) ينظر : علم اللغة العام ، الاصوات – كمال محمد بشر : ٨٨ ، وفقه اللغة العربية ، د . كاصد الزيدي ٤٨٦

(٢٥) ينظر : الاصوات اللغوية – د . ابراهيم أنيس ، ص٢٠ – ٢٣

(٢٦) المصدر نفسه .

(٢٧) ينظر : الاصوات اللغوية : ٥٢ – ٥٥ ، وفقه اللغة العربية : ٤٦٥ – ٤٦٧ .

(٢٨) ينظر : فقه اللغة العربية : ٤٥٧ .

(٢٩) تاملات في سورة العاديات – حسن محمد باجودة ، ص٣٠

(٣٠) ينظر : في ظلال القرآن – سيد قطب : ٨ / ٤٠٦

(٣١) ينظر : نظم الدرر في تناسب الايات والسور – برهان الدين البقاعي ٢١ / ١٦٢ – ١٦٣ .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١ – الاسلوب ، دراسة لغوية إحصائية ، د . سعد مصلوح ، دار البحوث العلمية ، مطبعة حسان ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٠ .

٢ – الاصوات اللغوية ، د . ابراهيم أنيس ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٦١ .

٣ – بناء الرواية ، سيزا قاسم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤ م .

٤ – تاملات في سورة العاديات ، محمد حسن باجودة ، الرياض ، بلا .

٥ – تبادل الضمائر وطاقته التعبيرية ، د . محمد نديم خشفة ، مجلة البيان ، العدد ٢٤٢ لسنة ١٩٩٢ .

٦ . تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، دار الاندلس ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦٦ .

٧ . التفسير الكبير ، الفخر الرازي ، دار الكتب العلمية ، طهران ، ط٢ ، (د . ت)

٨ – تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التاويل ، جار الله بن محمود بن عمر الزمخشري ، دار الكتاب العربي ، بيروت (د . ت) .

٩ – تفسير النسفي ، ابو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ، دار الفكر ، مصر ، (د . ت) .

١٠ – تنوير الاذهان من تفسير روح البيان ، اسماعيل حقي البروسوي اختصار وتحقيق الشيخ محمد علي الصابوني ، الدار الوطنية ، بغداد ، ط١ ، ١٩٩٠ .

١١ – الجامع لاحكام القرآن ، ابو عبد الله القرطبي ، دار الفكر ، (د . ت)

١٢ – شرح ديوان الاعشى ، ابراهيم جزيني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٧ .

١٣ – صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨١ .

١٤ – صناجة العرب ، الاعشى الكبير ، د . مصطفى الجوزو ، دار الطليعة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٧ .

١٥ – الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني للهجرة ، د . علي البطل ، دار الاندلس ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨١ .

١٦ – علم اللغة العام ، الاصوات ، د . كمال محمد بشر ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٧٥ .

١٧ – فقه اللغة العربية ، د . كاصد الزيدي ، مطبعة جامعة الموصل ، الموصل ، ١٩٨٧ .

١٨ – في ظلال القرآن – سيد قطب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٥ ، ١٩٦٧ .

١٩ – القرآن في علم لغة النص الحديث ، د . الهام ابو غزالة وعلي خليل محمد ، مؤتمر النقد الادبي الثالث ، جامعة اليرموك ، اربد ، الاردن ، ١٩٨٩ .

٢٠ – الكتاب ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه ، تحقيق عبد السلام هارون ، عالم الكتب ، بيروت ، (د . ت) .

٢١ – معاني النحو ، د . فاضل السامرائي ، جـ١ مطبعة التعليم العالي في الموصل ، ١٩٨٩ ، جـ ٣ مطابع دار الحكمة .

٢٢ – مغني اللبيب ، جمال الدين بن يوسف بن هشام ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، القاهرة ، (د . ت) .

٢٣ – من أسرار اللغة ، د . ابراهيم أنيس ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٦٦ .

٢٤ – نظم الدرر في تناسب الايات والسور ، برهان الدين البقاعي ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٤ .

الأُصمعيات

دراسة في اسس الاختيار

ا. د. محمود عبد الله الجادر
كلية الاداب ـ جامعة بغداد

ظل الشعر العربي خلال العصر الجاهلي وصدر الاسلام والشطر الاكبر من العصر الاموي ينتقل على افواه الرواة تحفظه صدور القوم وينقله الخلف عن السلف فيحفظ منه ما يحفظ ويضيع منه ما يضيع ويضطرب منه ما يضطرب ، بيد أن اوائل القرن الثاني الهجري شهدت تبلور جهود لخدمة العربية كان محورها الاساس خدمة القرآن الكريم ، وكان جمع الشعر وتدوينه جزءاً اساسياً من العملية الكبرى ، بل ان الشعر كان حرياً ان يحظى بعناية خاصة ، فهو الموئل الاساس الذي ينبغي الرجوع اليه اذا اشكل شيء في كتاب الله كما قرر ابن عباس وهكذا شمر العلماء لجمع الشعر من افواه الرواة الوافدين على البصرة والكوفة ثم كان لبعضهم ان يرحلوا الى البادية لجمع الشعر من مهاده ، ثم تباينت مناهج التدوين ، فمنهم من افرد لكل شاعر ديواناً ومنهم من جمع شعر شعراء كل قبيلة في ديوان ومنهم من دون سير الشعراء او وزعهم على طبقات واختار من اشعارهم بيد ان مكتبة الشعر العربي استقبلت نمطاً جديداً من مجاميع الشعر تمثلت في كتب الاختيارات التي صنعها عدد من العلماء لم يلتزموا فيها بتدوين كل ما روي لهم لشاعر بعينه او لشعراء قبيلة بعينها وانما عمدوا هم الى ما ارتضاه ذوقهم النقدي من شعر فدونوه دون ان يفصحوا عن مناهجهم في الجمع والاختيار .

وفي بحثين سابقين كنت تناولت المعلقات والمفضليات(٥) لدراسة المواصفات التي يمكن استنباطها من تأمل اسماء الشعراء والنصوص المختارة فيها وصولاً الى تحديد طبيعة الخلفية النقدية التي تحكمت في الجمع والاختيار ، وقد انتهت كل من الدراستين الى جملة حقائق كشفت طبيعة الفكر النقدي الذي تحكم في الاختيار والمتغيرات التي تحكمت في تحديد الشعراء والنصوص . ولكي يحقق التأمل العلمي نمطاً من الشمول كان لابد من متابعة كتب الاختيارات الاخرى التي احتلت موضعها من مكتبة التراث فكانت الاصمعيات هي المحور الثالث الذي يطمح هذا البحث الى الكشف عن خلفيته النقدية من خلال تأمل مواصفات الاختيار فيه .

والاصمعيات كتاب سمي باسم صاحبه الاصمعي وهو عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن اصمع ينتهي نسبه الى باهلة وهي ابنة معد بن مالك بن اعصر بن سعد بن قيس عيلان بن مضر(١) ، ولد بالبصرة سنة ١٢٢ هـ او ١٢٣ هـ ونشأ في اسرة فقيرة(٢) واقبل في صباه على حفظ الشعر حتى قال : « ما بلغت الحلم حتى رويت اثني عشر الف ارجوزة(٣) .

وتلقى الاصمعي العلم على ايدي كبار علماء عصره كابي عمرو بن العلاء وحماد الراوية وعيسى بن عمر والخليل بن احمد الفراهيدي وخلف الاحمر ويونس بن حبيب ورحل الى البادية ليطوف بين البصرة والكوفة ومكة والطائف والمدينة حتى استغرقت رحلاته عشرين سنة شافه فيها العرب واستمع الى رواة الشعر(٤) وبعد ان اشبع نهمه الى العلم والرواية عاد الى البصرة ثم رحل الى بغداد تلبية لدعوة الخليفة هارون الرشيد الذي ادنى

مجلسه واسبغ عليه الكثير ثم صرفه الى البصرة عندما نكب البرامكة سنة ١٨٧ هـ وامتدت اقامته ؛ بغداد اربع عشرة سنة[٥] .

واستقر الاصمعي في البصرة بقية حياته . ويبدو ان تقدم السن به منعه من تلبية دعوة الخليفة المامون الى بغداد[٦] .

توفي الاصمعي سنة ٢١٦ هـ على أرجح الروايات[٧] مخلفاً ثروة من المؤلفات لا موضع لذكرها هنا ، اما الاصمعيات فقد يشكل امر نسبتها اليه بعض الاشكال ، فثمة تداخل واضح بينها وبين المفضليات ، وهو تداخل لفت نظر القدماء فنقلوا روايات توضح خلفيته ، فقد روى القالي ان المفضل اخرج ثمانين قصيدة قرئت على الاصمعي فصارت مائة وعشرين[٨] وهذا قول يضعنا امام احد احتمالين اولهما ان تكون نسخة المفضليات التي وصلت الينا ـ وهي تضم ١٣٠ ايضاً ـ مما اشترك المفضل والاصمعي في اختياره ، وثانيهما ان ما اختاره الاصمعي من المفضليات هو هذه الجملة من النصوص التي تكررت في نسختي المفضليات والاصمعيات اللتين وصلتا الينا ثم انفرد باختيار النصوص التي انفردت بها الاصمعيات ، ومهما كانت صحة اي من الاحتمالين فانهما يقرران ان الاصمعي حذا حذو المفضل في اختياره بعد ان قرىء عليه ونظر فيه وتامل طبيعته ، على ان البغدادي ينقل رواية تقرر ان الاصمعي انما اختار الاصمعيات عندما امره الرشيد بتاديب ابنه الامين[٩] على ان قبول هذه الرواية لن يغير من الامر شيئاً ، فلو ان الامر جرى على ذلك فإن الاصمعيات تبقى امتداداً للمفضليات ليس في نمطها فحسب وانما حتى في باعث تاليفها فقد رأينا في دراستنا للمفضليات ان المفضل اختارها لتلميذه المهدي حين امره الخليفة المنصور بتاديبه .

ولا يعنينا ـ في حدود هذه الدراسة ـ ان نذهب بعيداً في تفنيد هذه الرواية او تلك حول باعث التاليف ، فالذي وصل الينا من الاصمعيات هو الذي يعنينا لاستخلاص مواصفات الاختيار فيه سواء كان امتداداً لاختيار المفضل ام جزءاً منه ام تاليفاً مستقلاً عنه ، فالسفران اصبحا تراثاً قومياً يمثلان طبيعة النظر النقدي في اختيار علماء القرن الثاني ، وتلك هي الحقيقة التي نطمح الى استجلاء خلفيتها سواء كان اختيار هذا النص او ذاك للمفضل ام للاصمعي ام انه مما اشتركا معاً في اختياره .

وقد نشرت الاصمعيات نشرتين اولاهما في لايبزك سنة ١٩٠٢ م بتحقيق المستشرق وليم اهلوارد وتضمنت ثلاثة وسبعين نصاً اما النشرة الثانية فصدرت في مصر وتضمنت اثنين وتسعين نصاً ، وهي بتحقيق احمد محمد شاكر وعبد السلام هرون وكان صدورها سنة ١٩٥٥ م والفرق بين عدد نصوص النشرتين يتمثل في النصوص التسع عشرة التي اشتركت فيها المفضليات والاصمعيات والتي آثر وليم اهلوارد استبعادها من نشرته وآثر المحققان المصريان اثباتها في نشرتهما .

ولسهولة الوصول الى النشرة المصرية آثرنا ان نعتمد عليها في الاستقراء والدراسة على الرغم من اننا سنعمد الى اسقاط النصوص التسع عشرة المشتركة بين المفضليات والاصمعيات التي اسقطها اهلوارد لا لقناعتنا بانها ليست من الاصمعيات فحسب انما لاننا اخضعنا هذه النصوص للدراسة في بحثنا الذي عقدناه للمفضليات فلم نر مسوغاً لتكرار القول فيها وهكذا ستقوم عملية الاحصاء والتامل والتحليل على متابعة النصوص الثلاثة والسبعين الخالصة النسبة الى الاصمعيات وهي النصوص التي وردت بالارقام ١ ـ ٧٠ و ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ من النشرة المصرية .

والذي لنا ان نتامله اولاً ان اصحاب النصوص الثلاثة والسبعين هم ستون شاعراً فقط ذلك ان عدداً منهم حظي باختيار اكثر من نص واحد من شعره وتلك سمة تتناظر فيها الاصمعيات والمفضليات التي رأينا ان عدداً من شعرائها اختير له اكثر من نص واحد على ان السمة نفسها لا تنطبق على المعلقات التي رأينا ان كلاً من اصحابها لم يحظ باكثر من نص واحد .

ولكي تتضح مسالة تكرر النصوص للشاعر الواحد في الاصمعيات رأينا ان ندرج في الجدول الاتي اعداد الشعراء الذي روي لهم نص واحد واعداد الشعراء الذين روي لهم اكثر من نص

عدد الشعراء الذين روي لهم نص واحد	عدد الشعراء الذين روي لهم نصان	عدد الشعراء الذين روي لهم ثلاثة نصوص	عدد الشعراء الذين روي لهم اربعة نصوص
٥٠	٨	١	١

وقد لا نظفر بدلالة واضحة لتكرر اسماء شعراء باعيانهم ولا في طبيعة ورود الاختيارات المكررة للشاعر : فهي نادرة اولاً وموزعة على امتداد الاختيارات ، فالشعراء الذين تكرر لهم اختياران ترد نصوصهم بالارقام ١٩ ، ٢٥ / ٢٨ ، ٢٩ / ٤٠ ، ٤١ / ٥٣ ، ٥٤ / ٥٥ ، ٥٦ / ٥٩ ، ٦٠ / ٦٣ ، ٦٤ / ٦٥ ، ٦٦ ، اما الشاعر الذي تكررت له ثلاثة اختيارات فنصوصه هي المرقمة ٣٤ ، ٦١ ، ٦٢ ، اما الشاعر الذي تكررت له اربعة اختيارات فنصوصه هي المرقمة ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ .

والذي يبدو لنا ملاحظته من هذا كله ان تكرر الاختيار كان يقع في نصوص ذات رقمين متتابعين او ثلاثة او اربعة في الاعم الاغلب وذلك ما يوحي بان جمع الاختيارات جرى على نسق واحد وربما في زمن واحد فليس ثمة تكرار للشاعر نفسه في مواضع متفرقة منها كما كان الامر في المفضليات التي رأينا تكرر نصوص الشاعر الواحد يقع في مواضع متفرقة فيها مما عزز القناعة بان المفضليات ربما تعاورتها اكثر من يد ساهمت في الاختيار او ان عملية الاختيار جرت في ازمنة مختلفة وان كنا لا نستبعد الامرين معاً .

ويبدو مسألة تكرر النصوص للشاعر الواحد ضئيلة في الاصمعيات بالقياس الى الظاهرة نفسها في المفضليات فالشعراء الذين لم يتكرر لهم نصوص في الاصمعيات ٥٠ شاعراً من مجموع ٦٠ شاعراً اي ان نسبتهم الى مجموع شعراء الاصمعيات ٨٢,٦٦ ٪ اما المفضليات فكان مجموع الشعراء الذين لم يتكرر لهم نصوص ٢٧ شاعراً من مجموع ٦٦ شاعراً اي ان نسبتهم ٤٠,١٩ ٪ .

ولسنا نريد ان نستبق احكاماً بشان الشعراء قبل ان نتامل جملة من الحقائق آثرنا ان ندرجها في مسرد احصائي نرتب فيه اسماء الشعراء الذين وردت لهم نصوص في الاصمعيات بحسب التسلسل الالفبائي وندرج بازاء كل اسم رقم اصمعيته او اصمعياته ثم عصره ونسبه القبلي وموقعه الطبقي عند ابي عبيدة[10] وحكم الاصمعي عليه[11] وموقعه الطبقي عند ابن سلام[12] ورقم ترجمته عند ابن قتيبة[13] لنستخلص من ذلك ما يؤدي اليه الاستقراء من نتائج .

التسلسل .. اسم الشاعر	ارقام اصمعياته	زمنه	نسبه القبلي	موقعه الطبقي عند ابي عبيدة	حكم الاصمعي عليه	موقعه الطبقي عند ابن سلام	رقم ترجمته عند ابن قتيبة
١ - الاجدع بن مالك الهمداني	١٦ -	مخضرم	همداني	/	/	/	/
٢ - احيحة بن الجلاح	٢٣ -	جاهلي	اوسي	/	/	/	/
٣ - الاسدي ؟	٤٦ -	جاهلي	اسدي	/	/	/	/
٤ - الاسعر الجعفي	٤٤ -	جعفي	جعفي	/	/	/	/
٥ - أسماء بن خارجة	١١ -	مخضرم	فزاري	/	/	/	/
٦ - اعشى باهلة	٢٤ -	جاهلي	باهلي	/	من الفحول	ثالث طبقة اصحاب المراثي	/
٧ - امرؤ القيس	٤٠ ، ٤١ -	جاهلي	كندي	اول الطبقة الاولى	اولهم كلهم في الجودة	اول الطبقة الاولى الجاهلية	١
٨ - بعضهم ؟	٥٧ -	؟	؟	/	/	/	/
٩ - الحارث بن عباد	١٧ -	جاهلي	بكري	/	/	/	/
١٠ - تأبط شرا	٣٧ -	جاهلي	فهمي	/	ليس من الفحول ولا من الفرسان ولكنه كان من الذين يغزون فيعدون	/	٢٣
١١ - [illegible] بن نضلة	٤٣ -	جاهلي	باهلي	/	/	/	/
١٢ - الحكم الخضري	٦ -	اسلامي	خضري	/	/	/	/
١٣ - خفاف بن ندبة	٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ -	مخضرم	سلمي	/	من اشعر الفرسان	/	٤٢
١٤ - دريد بن الصمة	٢٨ ، ٢٩ -	جاهلي	جشمي	خامس الطبقة الثالثة	من فحول الفرسان	/	١٧٨
١٥ - ابو دؤاد الايادي	٦٥ ، ٦٦ -	جاهلي	ايادي	/	صالح ، لم يقل انه فحل	/	١٧
[illegible]	٥٠ -	؟	قريعي		/	/	
[illegible]	١٨ -	جاهلي	عدواني		/	/	١٦١

التسلسل - اسم الشاعر	ارقام إصمعياته	زمنه	نسبه القبلي	موقعه الطبقي عند ابي عبيدة	حكم الاصمعي عليه	موقعه الطبقي عند ابن سلام	رقم ترجمته عند ابن قتيبة
١٨ - ذو الخرق الطهوي	٣٦-	اسلامي	طهوي	/	/	/	/
١٩ - سحيم بن وثيل	١-	مخضرم	رياحي	/	/	ثالث الطبقة الثالثة الاسلامية	١٢٥
٢٠ - سعدى بنت الشمردل	٢٧-	جاهلية	مهنية	/	/	/	
٢١ - سعية بن الغريض	٢٢-	جاهلي	يهودي	/	/	خامس شعراء طبقة يهود	
٢٢ - سلامة بن جندل	٤٢-	جاهلي	سعدي	/	لو كان زاد شيئاً كان فحلاً	اول الطبقة السابعة الجاهلية	٢٤
٢٣ - السموأل	٢٣-	جاهلي	يهودي	/	/	اول شعراء طبقة يهود	/
٢٤ - سهم بن حنظلة	١٢-	مخضرم	غنوي	/	/	/	/
٢٥ - سوار بن المضرب	٩١-	اموي	سعدي	/	/	/	/
٢٦ - شمر بن عمرو الحنفي	٣٨-	جاهلي	حنفي	/	/	/	/
٢٧ - صحيربن عمرو	٩٠-	؟	؟	/	/	/	/
٢٨ - صخر بن عمرو بن الشريد	٤٧-	جاهلي	سلمي	/	/	/	/
٢٩ - ضابئ بن الحارث	٦٣، ٤ -	مخضرم	برجمي	/	/	اول الطبقة التاسعة الجاهلية	٤٥
٣٠ - طرفة بن العبد	٤٩-	جاهلي	بكري	اول الطبقة الثانية	/	/	٧
٣١ - طريف العنبري	٣٩-	جاهلي	عنبري	/	/	/	
٣٢ - العباس بن مرداس	٧٠-	مخضرم	سلمي	/	من اشعر الفرسان	/	١٧٧
٣٣ - عبد الله بن جنح النكري	٣٠-	؟	نكري	/	/	/	١٩٥
٣٤ - عبد الله بن عنمة	٨-	مخضرم	ضبي	/	/	/	
٣٥ - عدي بن رعلاء	٥١-	جاهلي	غساني	/	/		
٣٦ - عروة بن الورد	١٠-	جاهلي	عبسي	سابع الطبقة الثالثة	شاعر كريم ليس بفحل	/	١٢٤
٣٧ - عقبة بن سابق	٩-	جاهلي	هزاني	/	/	/	/
٣٨ - علباء بن ارقم	٥٥، ٥٦-	جاهلي		/	/	/	/
٣٩ - عمر بن حني التغلبي[١٤]	٣١-	اسلامي	تيمي	/	/	رابع الطبقة الرابعة الاسلامية	/
٤٠ - عمرو بن الاسود	٢١-	؟	؟	/	/	/	
٤١ - عمرو بن معد يكرب	٣٤، ٦١، ٦٢-	مخضرم	زبيدي	/	/	/	٥٩
٤٢ - عوف بن عطية	٥٩، ٦٠-	جاهلي	تيمي	/	/	رابع الطبقة التاسعة الجاهلية	

التسلسل - اسم الشاعر	ارقام اصمعياته	زمنه	نسبه القبلي	موقعه الطبقي عند ابي عبيدة	حكم الاصمعي عليه	موقعه الطبقي عند ابن سلام	رقم ترجمته عند ابن قتيبة
٤٣ - غريفة بن مسافع	٢٦ -	اسلامي	عبسي	/	/	/	/
٤٤ - ابو الفضل الكناني	٢٠ -	؟	كناني	/	/	/	
٤٥ - قيس بن الخطيم	٢٨ -	جاهلي	اوسي	/	فحل	رابع شعراء المدينة	
٤٦ - كعب بن سعد الغنوي	١٩ ، ٢٥ -	اسلامي	غنوي	/	ليس من الفحول	رابع طبقة اصحاب المراثي	/
٤٧ - ابن لجا التيمي	٧ -	اسلامي	تيمي	/	المتهم لمحلوب في الرجز	رابع الطبقة الرابعة الاسلامية	١٤٦
٤٨ - مالك بن حريم الهمداني	١٥ -	جاهلي	همداني	/	ارى انه من الفحول	/	
٤٩ - مالك بن نويرة	٦٧ -	جاهلي	يربوعي	/	شاعر فارس مطيل	/	٤٠
٥٠ - المتلمس	٩٢ -	جاهلي	ضبعي	/	رأس فحول ربيعة	ثالث الطبقة السابعة الجاهلية	٦
٥١ - مرقش الاصغر	٥٢ -	جاهلي	ضبعي	/	فحل	/	١٢
٥٢ - مشعث العامري	٤٨ -	؟	عامري	/	/	/	
٥٣ - المفضل النكري	٦٩ -	جاهلي	نكري	/	/	ثالث شعراء البحرين	/
٥٤ - مقاس العائذي	١٣ -	جاهلي	قرشي	/	/	/	/
٥٥ - الممزق العبدي	٥٨ -	جاهلي	عبدي	/	/	ثاني شعراء البحرين	٦١
٥٦ - المنخل اليشكري	١٤ -	جاهلي	يشكري	/	/	/	٦٣
٥٧ - ابو مهدية	٣٥ -	اموي	كلابي	/	/	/	
٥٨ - مهلهل بن ربيعة	٥٣ ، ٥٤ -	جاهلي	تغلبي	/	ليس بفحل ولو كان قال مثل قوله اليلتنابذي جشم انهي كان افحلهم	/	٢٨
٥٩ - ابو النشناش النهشلي	٣٢ -	اموي	تميمي	/	/	/	/
٦٠ - يزيد بن الصعق	٤٥ -	جاهلي	كلابي	/	/	/	/

ان تأمل المسرد ومراجعة الحقائق المدرجة فيه كفيلة بان تبلور جملة من الحقائق التي يمكن متابعتها فيما ياتي :

١ - ان كثافة عدد الاختيارات من شعر الشاعر لم تكن رهناً بموقع الشاعر او شهرته او تقديم العلماء له ، ولنا ان نرصد ذلك في تتابع اربع اصمعيات لخفاف بن ندبة الذي لم يذكره احد من العلماء الا الاصمعي الذي عده من الفرسان الذين لا يرقى شعرهم عند الاصمعي نفسه الى مستوى شعر الفحول ، وتتابع ثلاث اصمعيات لعمرو بن معد يكرب الذي لم يذكره الا ابن قتيبة في الوقت الذي لم يرد لامرىء القيس - وهو من هو عند العلماء الاربعة كما رأينا - الا أصمعيتان .

فاذا تأملنا سائر اسماء شعراء الاصمعيات وقفنا بازاء ما يعزز هذه الحقيقة فليس ثمة اختيار لشاعر من شعراء الطبقة

الاولى الذين اتفق عليهم العلماء وليس ثمة اختيار لشاعر من اصحاب المعلقات سوى امرىء القيس وطرفة بن العبد ، على حين ضمت الاصمعيات نصوصاً لشعراء لم يعن بذكرهم اي عالم من العلماء ولم يرد لهم ذكر في اي سفر متداول من اسفار التراث كدوسر بن ذهيل القريعي صاحب الاصمعية (٥٠) وصحير بن عمير صاحب الاصمعية (٩٠) وعبد الله بن جنح النكري صاحب الاصمعية (٣٠) وابي الفضل الكناني صاحب الاصمعية (٢٠) ومشعث العامري صاحب الاصمعية (٤٨) بل ان الاصمعية (٥٧) نسبت الى شاعر لم يكن صاحب الاختيار يعرف اسمه فنسبها الى (بعضهم) وتلك كلها قرائن تؤكد ان الاصمعيات لم تكن تمنح الشاعر صاحب النص دلالة واضحة في عملية الاختيار .

٢ ـ قد يتبادر الى الذهن ان المعيار القبلي ربما كان منطلقاً من منطلقات الاختيار في الاصمعيات ما دام معيار شهرة الشاعر وتقدمه عند العلماء لم يحقق حضوراً واضحاً في عملية الاختيار .

وقبل ان نبلور اي حكم بهذا الشان رأينا ان ندرج في مسرد انساب الشعراء الستين اصحاب الاصمعيات ونذكر بإزاء كل نسب عدد الشعراء المنتمين اليه منهم لتتبلور عملية استخلاص الحقيقة النهائية بهذا الشان .

النسب	عدد الشعراء	النسب	عدد الشعراء	النسب	عدد الشعراء
اسدي	١	رياحي	١	فزاري	١
اوسي	٢	زبيدي	١	فهمي	١
ايادي	١	سعدي	٢	قرشي	١
باهلي	٢	سلمي	٣	قريعي	١
برجمي	١	ضبي	١	كلابي	٢
بكري	٢	ضبعي	٢	كناني	١
تغلبي	١	طهوي	١	كندي	١
تميمي	١	عامري	١	نكري	٢
تيمي	٣	عبدي	١	هزاني	١
جشمي	١	عبسي	٢	همداني	٢
جعفي	١	عدواني	١	يربوعي	١
جهني	١	عنبري	١	يشكري	١
حنفي	١	غساني	١	يهودي	٢
خضري	١	غنوي	٢	مجهولون	٤

والمسرد لا يقدم اية اشارة دالة على ميل واضح الى التركيز على شعراء قبيلة بعينها سواء نظرنا الى هذه الانتماءات القبلية القريبة للشعراء ام ذهبنا الى اصولها الابعد ، فليس ثمة اعداد تشير الى ادنى محاولة نظر الى خارطة التوزيع القبلي للشعراء وليس ثمة التفات الى غزارة الشعر في قبائل لم يحقق شعراؤها اي حضور في الاختيار كشعراء ذبيان وطيء وهذيل وغيرها من القبائل التي كان فيها شعر وشعراء .

وثمة ملاحظة اخرى وهي ان الاختيار لم ينظر الى المعيار القبلي في تقديم الشعراء وتاخيرهم في تسلسل المختارات فليس ثمة اي نسق واضح في ترتيب اسماء الشعراء بحسب قبائلهم عدا ما قد يرد من باب المصادفة من تتابع اسمي شاعرين من انتماء قبلي واحد في هذا الموضع او ذاك كتتابع اسمي شاعرين همدانيين في الاختيارين (١٥ ، ١٦) وتتابع اسمي شاعرين يهوديين في الاختيارين (٢٢ ، ٢٣) ولكن ذلك لا يشكل ظاهرة ذات شان لعدم اطراد الامر في غير هذين الموضعين .

وهكذا نستطيع ان نقرر ان المعيار القبلي لم يكن ذا شان واضح في طبيعة اختيار الاصمعيات ، بيد ان ثمة ملاحظة قد تكون ذات شان من وجهة نظر الدراسة والمقارنة وتتمثل في ان شعراء الاصمعيات يرجعون الى واحد واربعين نسباً وان شعراء المفضليات يرجعون الى ثلاثين نسباً وبمقابلة انساب شعراء الاختيارين نخرج بالمسرد الاتي :

عدد الانساب المشتركة بين الاختيارين	عدد الانساب التي انفردت بها المفضليات	عدد الانساب التي انفردت بها الاصمعيات
١٨	١٢	٢٣

وتأمل المسرد قد يحملنا على قبول الظن بفكرة ان المفضليات والاصمعيات متكاملتان على ان ذلك لا يغرينا بتفسير محدد للظاهرة ، فسواء كانت الاصمعيات هي المفضليات برواية الاصمعي ام كانت الاصمعيات متداخلة مع المفضليات بسبب الرواية ام كانت الاصمعيات نتاجاً مستقلاً نظر فيه الاصمعي الى عمل المفضل ستبقى حقيقة التكامل قائمة يعززها توزع انساب الشعراء على الاختيارين فضلاً عن ظواهر اخرى سناتي عليها فيما بعد .

٣ ـ ربما يكون من حقنا ان نتوقع اثراً واضحاً للمعيار الزماني في اختيار شعراء الاصمعيات لا سيما اننا نتحدث عن اختيار عالم من علماء القرن الثاني الهجري الذين ما كانوا يعدلون بالشعر الجاهلي شعر اي عصر لاحق ، وعلى الرغم من ان اختيار المعلقات اقتصر على الشعر الجاهلي فقد رأينا ان المفضليات فتحت صفحتها لغير الجاهليين وان كان ذلك بشكل ضيق جداً ، اما الاصمعيات فيبدو انها فتحت صفحتها بشكل اوسع قليلاً لشعراء العصور غير الجاهلية ، ونستطيع ان نتأمل هذه الحقيقة في الارقام التي يتضمنها المسرد الاتي :

الاختيار	عدد الشعراء	الجاهليون	المخضرمون	الاسلاميون والامويون	مجهولون
المفضليات	٦٦	٤٤	١٣	٣	٦
الاصمعيات	٦٠	٣٦	٨	٩	٧

وقد يحمل المسرد على تعزيز فكرة تكامل الاصمعيات والمفضليات واتساق طبيعة النظر فيهما الى عصر الشاعر، فشعراء الجاهلية هم المحور الاساس في الاختيارين اما تفاوت نسبة المخضرمين والاسلاميين بينهما فانه لا يقدم اشارة صريحة الى اختلاف في النهج قدر ما يبدو اشارة الى توافق النظر او امتداده بين الاختيارين اللذين يبدو مجموع اعداد الشعراء في كل منهما مكملاً لمجموع الاختيار الاخر .

ان الحقائق التي يمكن ان نخرج بها من تامل مواصفات اختيار الشعراء تحملنا على القول ان شهرة الشاعر عند العلماء وانتماءه القبلي وتقدم زمانه او تأخره لم تكن عوامل واضحة الاثر في اختياره او تركه ، وذلك ما يفتح امامنا افق النظر الى النص الشعري المختار لتأمل المواصفات التي افترضها وعي صاحب الاصمعيات في عملية الانتقاء والاختيار.

وقد سبقت الاشارة الى ان اختيار الاصمعيات يضم (٩٢ نصاً) اخرجت منها (١٩ نصاً) لورودها باعيانها في المفضليات وهكذا يبقى (٧٣ نصاً) لا علاقة لها بالمفضليات .

يتراوح عدد ابيات النصوص الخالصة النسبة الى الاصمعيات بين البيتين و (٤٤ بيتاً) اما مجموع ابياتها جميعاً فهو (١١٧٠ بيتاً) اي بمعدل ١٦,٠٢ بيت لكل اصمعية وهو معدل ادنى من معدل ابيات كل مفضلية فقد رأينا في دراستنا للمفضليات انه كان ٢٠,٤ بيت للمفضلية الواحدة ، ولكن المعدل قد لا يضعنا امام التفاصيل الدقيقة ولهذا رأينا ان نودع في مسرد اعداد الاصمعيات بحسب عدد ابيات كل منها بشكل تقريبي على وفق الاتي :

عدد الابيات	عدد الاصمعيات	عدد الابيات	عدد الاصمعيات	عدد الابيات	عدد الاصمعيات
٢ ـ ٥	١٨	١٦ ـ ٢٠	٥	٣١ ـ ٣٥	٣
٦ ـ ١٠	١٧	٢١ ـ ٢٥	٤	٣٦ ـ ٤٠	٨
١١ ـ ١٥	٩	٢٦ ـ ٣٠	٧	٤٠ ـ ٤٤	٢

ويقرر تامل المسرد ان ما يقارب نصف عدد الاصمعيات يقع في اطار المقطوعات القصيرة بينما كان عدد المقطوعات القصيرة في المفضليات لا يتجاوز ثلث مجموع المفضليات برمتها .

اما حين نتجاوز المسالة الكمية ونتجه الى تامل طبيعة بنية نصوص الاصمعيات فسنجد انها تتوزع على انماط مختلفة رأينا ان ندرجها في مسرد بحسب استيفائها للرسوم الفنية على ان نشير في كل حقل الى ارقام الاصمعيات التي تقع في اطاره .

افتتاح ورحلة وغرض	افتتاح وغرض	افتتاح ورحلة فقط	رحلة وغرض	رحلة فقط	غرض فقط
٥٨، ٦١	٢، ٣، ٤، ١٠، ١١، ١٢، ١٤، ١٥، ١٩، ٢٢، ٢٦، ٢٨، ٣٠، ٤٢، ٥٠، ٥٦، ٦٠، ٦٥، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٩٠، ٩١.	٦٣	٦	٩، ٦٦	١، ٥، ٧، ٨، ١٢، ١٦، ١٧، ١٨، ٢٠، ٢١، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٧، ٢٩، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٧، ٥٩، ٦٢، ٦٤، ٦٧، ٦٢
المجموع ٢ النسبة ٢,٧٤ ٪	المجموع ٢٣ النسبة ٣١,٥١ ٪	المجموع ١ النسبة ١,٣٧ ٪	المجموع ١ النسبة ١,٣٧ ٪	المجموع ٢ النسبة ٢,٧٤ ٪	المجموع ٤٤ النسبة ٦٠,٢٧ ٪

والذي يمكن تقريره من خلال تامل المسرد ان اكثر الاصمعيات تقع في اطار نمط المقطوعات التي تعالج غرضها بلا تمهيد او القصائد التي تكتفي بلوحة افتتاح ثم تنفتح على غرضها ، اما القصائد التي تستوفي الافتتاح والرحلة والغرض فقد رأينا انها نادرة -جداً وتلك حقيقة تقرر ان الاصمعيات لم تكن معنية باكتمال البنية الفنية للنص قدر عنايتها بالموضوع الباعث على القول ، وتلك سمة كانت الغالبة على المفضليات ايضاً ولهذا فإننا لا نريد ان نعزو مسالة غلبة المقطوعات على الاصمعيات الى تشدد الاصمعي الذي اشتهر به في رواية الشعر ولكننا نفضل ان نعزوها الى طبيعة التوجه في الاختيار فنقرر ان الغرض الشعري من النص كان هاجس الاختيار بشكل اساس .

اما الاغراض الشعرية التي اختارتها الاصمعيات فبوسعنا ان نتابعها في المسردين الاتيين اللذين عقدنا حقوليهما لارقام الاصمعيات التي عالجت الغرض مباشرة او بلوحة او اكثر من لوحات التمهيد الفني ونجعل اول المسردين للاصمعيات التي عالجت غرضاً واحداً وثانيهما للتي عالجت اكثر من غرض

الاصمعيات التي عالجت غرضاً واحداً

الغرض	ارقام الاصمعيات التي عالجته مباشرة	ارقام الاصمعيات التي عالجته بعد افتتاح	بعد افتتاح ورحلة	بعد رحلة فقط
فخر فردي	٢٠، ٢٤، ٣٧، ٤٣، ٦٢	٢، ٣، ٤، ١٠، ١٩، ٢٢، ٥٠، ٥٦، ٦٠	٦١	———
شؤون فردية	٣٣، ٣٦، ٤٩، ٦٤	٩٠، ٩١	———	———

الغرض	ارقام الاصمعيات التي عالجته مباشرة	ارقام الاصمعيات التي عالجته بعد افتتاح	بعد افتتاح ورحلة	بعد رحلة فقط
فخر قبلي	٢١، ٢٩	٤٢، ٦٨، ٦٩، ٧٠	ـــــ	ـــــ
شؤون قبلية	١٨، ٣١، ٤٠، ٤١، ٥٤، ٥٩	ـــــ	ـــــ	ـــــ
هجاء فردي	٥٧	ـــــ	ـــــ	ـــــ
هجاء جماعي	٥، ٤٥، ٤٦	ـــــ	ـــــ	ـــــ
رثاء	٨، ٢٤، ٢٥، ٢٧، ٤٨	٢٦، ٢٨	ـــــ	ـــــ
مديح	ـــــ	ـــــ	٥٨	٦
تهديد	١٣	ـــــ	ـــــ	ـــــ
حكمة	٢٣	ـــــ	ـــــ	ـــــ
فخر	٥٢	ـــــ	ـــــ	ـــــ
عتاب	٩٢	ـــــ	ـــــ	ـــــ
وصف	٧، ٣٥	ـــــ	ـــــ	ـــــ
المجموع	٣٢	١٨	٢	١

الاصمعيات التي عالجت اكثر من غرض

الاغراض	ارقام الاصمعيات التي عالجتها مباشرة	ارقام الاصمعيات التي عالجتها بعد افتتاح
فخر فردي وقبلي	١، ٣٩، ٦٧	١٢، ١٤، ١٥، ٣٠
فخر قبلي وحكمة	٥١	ـــــ
رثاء وفخر قبلي	٥٣	ـــــ
شؤون قبلية واعتذار	٥٥	ـــــ
حكمة وفخر فردي	٣٨	ـــــ
هجاء وفخر فردي	٤٤	ـــــ
شؤون شخصية وفخر فردي	٤٧	ـــــ
عتاب ورثاء	ـــــ	٦٥
صعلكة وحكمة	٣٢	ـــــ
تهديد ورثاء	١٧	ـــــ
رثاء وتهديد وفخر	١٦	ـــــ
المجموع	١٢	٥

ولا بد من الاشارة الى ان ثلاث اصمعيات لم تدخل في المسرد لانها لم تعالج غرضاً وانما اقتصرت على لوحات المقدمة التقليدية وهي الاصمعيات ذات الارقام ٩، ٦٣، ٦٦.

والذي يقرره المسردان ان الفخر الفردي والقبلي والشؤون الفردية والقبلية هي الاغراض التي شكلت المحور الرئيس للاختيارات، وتلك حقيقة تؤكد ان الاصمعيات صنو المفضليات او امتدادها. فقد رأينا هذا التوجه هو الاساس في اختيار المفضليات، فالاختياران ـ كما يبدو ـ متجهان الى جلاء طبيعة الحياة العربية وقيمها المثلى التي كانت عماد موضوع قصيدة الفخر الفردي والقبلي، على ان الاغراض الاخرى تبقى منتمية في مضامينها الى هذا التوجه الطامح الى جلاء القيم العربية وتسليط الاضواء على طبيعة الاحداث التي شغلت الفكر العربي ووجدت طريقها الى الشعر.

وقد يلفت النظر في اغراض نصوص الاصمعيات ظواهر يمكن

متابعة اهمها فيما ياتي :

١ ـ لا يبدو ان الغرض الشعري كان هاجس تبويب للاصمعيات وتلك حقيقة بوسعنا ان نكتشفها بيسر عند مراجعة ارقام الاصمعيات المثبتة بازاء كل غرض من الاغراض التي يضمها المسردان ، وذلك ما يحملنا على الجزم بان الاصمعيات كالمفضليات لم تقم على اي نمط من التبويب في الاختيار .

٢ ـ على الرغم من غياب منهج التبويب في الاصمعيات فاننا نستطيع ان نلمح التناظر القائم في اغراض بعض الاصمعيات المتتابعة ، فالاصمعيتان (٤٠ و ٤١) كلتاهما في شؤون قبلية ، والاصمعيتان (٤٥ و ٤٦) في الهجاء القبلي ، والاصمعيات (٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧) كلها في الرثاء ، والاصمعيات (٢ ، ٣ ، ٤) كلها في الفخر الفردي ، والاصمعيات (٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠) كلها في الفخر القبلي ، والاصمعيتان (١٤ ، ١٥) في الفخر الفردي والقبلي ، بيد ان الظاهرة لم تعد هذه الحدود مما يحملنا على الظن ان التداعي هو الذي يقف وراء هذه الحالات المحدودة .

٣ ـ ويقع في اطار التناظر ايضاً تتابع اصمعيات ذات افتتاحات متشابهة ، فالاصمعيتان (٢ ، ٣) مفتتحتان بالطيف والاصمعيات (١٠ ، ١١ ، ١٢) مفتتحة بحوار لائمة ، ولكن هذا النمط من التتابع نادر جداً فهو ينحصر في هاتين الحالتين وحدهما .

٤ ـ ليس ثمة اي نمط من تبويب سواء لطوال الاصمعيات ام لقصارها ، وقد سبقت الاشارة الى ان اغلب الاصمعيات مقطوعات ، اما القصائد المتسمة بشيء من الطول فقد وردت موزعة بحيث لا يمكن ان نلمح تتابعاً لها الا في الاصمعيات (٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨) التي تجاوز كل منها العشرين بيتاً والاصمعيات (٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩) التي تجاوز كل منها العشرين بيتاً أيضاً والاصمعيتين (٩٠ ، ٩١) اللتين تجاوز كل منهما الاربعين بيتاً . ولسنا نريد ان نقيم على هذه الحالات النادرة من التتابع تصوراً يقرر نتيجة ما فالظاهرة نادرة الوقوع كما تقرر الحالات التي اشرنا اليها .

٥ ـ على الرغم من شيوع التوجه الحماسي في اغلب أعراض الاصمعيات ، فقد تضمنت بعض النصوص اغراضاً نادرة جداً ذات طابع فني صرف كالاصمعية المرقمة (٧) في وصف ابل ، والاصمعية المرقمة (٣٥) في وصف حية .

بقي ان نتأمل الاوزان الشعرية للاصمعيات ، ولكي تتضح الحقائق بشكل جلي رأينا ان نعقد مسرداً ندرج فيه البحور الشعرية التي جاءت عليها الاصمعيات وندرج بإزاء اسم كل بحر ارقام الاصمعيات التي وردت عليه ونرتب البحور بحسب كثرة الاصمعيات التي وردت على كل منها .

البحر	ارقام الاصمعيات	المجموع
الطويل	٢ ، ٦ ، ١٠ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٤٢ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ٩٢ .	٢٨
الكامل	٢ ، ٥ ، ١١ ، ١٤ (مجزوء) ، ١٠ ، ٢١ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٦٠ .	١٧
الوافر	١ ، ٨ ، ١٨ (مجزوء) ٢٢ ، ٣٣ ، ٤١ ، ٤٨ ، ٥٣ ، ٦١ ، ٦٩ ، ٩١	١١
البسيط	١٢ ، ٢٤ ، ٣٦ ، ٥١ (مجزوء)	٤
الخفيف	١٧ ، ٣٣ ، ٥١ ، ٦٥	٤
الرجز	٧ ، ٥٧ ، ٩٠	٣
المتقارب	٦٢ ، ٦٦	٢
السريع	٤ ، ٤٠	٢
المنسرح	٦٨	١
الهزج	٩	١

ويقرر المسرد ان الاصمعيات استوفت اكثر البحور التي نظم عليها القدماء ، على ان بوسعنا ان نسجل الملاحظات الآتية :

١ ـ غياب ستة بحور هي الرمل والمديد والمقتضب والمضارع والمجتث والمتدارك وهي بحور نادرة الحضور في الشعر القديم بوجه عام .

٢ ـ خالفت الاصمعيات المفضليات في اختيار نصوص من البحور المجزوءة فذلك ما خلت منه المفضليات على حين ورد في الاصمعيات نص من مجزوء الكامل (الاصمعية ١٤) ونص من مجزوء الوافر (الاصمعية ١٨) ونص من مجزوء البسيط (الاصمعية ١٥)

٣ ـ وردت اصمعيات من الرجز والهزج ولم ترد اية مفضلية على أي من هذين البحرين ، وقد رأينا ان المفضليات اوردت ثلاثة نصوص من الرمل ولم ترد اية اصمعية من هذا البحر وذلك ما قد يمزز القناعة بتكامل الاختيارين .

٤ ـ لا يبدو ان البحر كان هاجس تتابع الاختيارات في الاصمعيات ، فلم تتتابع الا الاصمعيات (١٩ ، ٢٠) و (٢٥ ، ٢٦) و (٢٨ ، ٢٩) و (٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧) و (٦٣ ، ٦٤) من الطويل ، والاصمعيات (٣٠ ، ٣١) و (٣٨ ، ٣٩) و (٤٣ ، ٤٤) من الكامل ، وتلك حالات لا تمثل توجهاً واضحاً الى اي نمط من الهاجس العروضي .

٥ ـ قد تمثل الكثرة النسبية لورود مفضليات من الكامل اشارة ذات دلالة الى ما ذكرناه من توجه الاختيار الى الاغراض الحماسية التي يرد كثير منها في هذا البحر ذي الجلبة القادرة على تهيئة اجواء الحماسة والاندفاع .

وبعد ، فإن جملة الحقائق التي استنبطناها من الجرد والاحصاء تقرر ان عملية الاختيار في الاصمعيات نظرت الى النص الشعري اكثر من نظرتها الى الشاعر ، وان المواصفات المطلوبة في النص قامت على النظر الى موضوعه الشعري بشكل رئيس ، على ان ما استنبطناه من مواصفات اخرى لا يخلو من دلالات هامشية .

واذ يضع البحث تصوره لمداخل مواصفات الاختيار في الاصمعيات فانه يلمح الى ان تغدو ارضية لدراسة مفصلة قد يقوم لها جهد اكاديمي موسع باذن الله .

الهوامش والمصادر

(٥) نشر بحث (معلقات العرب ـ دراسة في مواصفات الاختيار) ضمن بحوث الكتاب التكريمي للدكتور ناصر الدين الاسد (قطوف دانية) بيروت ١٩٩٧ م ونشر بحث (المفضليات ـ دراسة في مواصفات الاختيار في العدد الثاني من المجلد ٢٧ من مجلة المورد بغداد ١٩٩٩ م .

(١) ينظر الاصمعي بين الرواية والنقد . سالم حميد امين ـ رسالة دكتوراه . جامعة القاهرة ، ص ٣٥ ، وجهود الاصمعي في دراسة الشعر الجاهلي ، رسالة ماجستير لاياد عبد المجيد ـجامعة البصرة ، ص ٦ وفي المرجعين توثيق دقيق لنسب الاصمعي .

(٢) ينظر الفرج بعد الشدة ، التنوخي ، القاهرة ١٩٥٥ ، ص ٢٢١ وروضات الجنات للخوانساري ط ٢ ص ٤٣٩ .

(٣) العقد الفريد ، ابن عبد ربه ، تحقيق احمد امين وزميليه ، مصر ١٩٤٨ م ج ٥ ص ٣٠٦ .

(٤) تنظر اخبار صلاته في الاصمعي اللغوي لعبد الحميد الشلقاني ص ١١ ، ١٢ .

(٥) ينظر الاصمعي حياته وآثاره ، عبد الجبار الجومرد ص ١٦٦ .

(٦) ينظر معجم الادباء ، ياقوت الحموي ، تحقيق مرجليوث ج ٥ ص ١٤

(٧) ينظر وفيات الاعيان ، ابن خلكان ج ٢ ص ١٧٥

(٨) الامالي ، ابو علي القالي طبعة دار الكتب ج ٣ ص ١٣٠

(٩) خزانة الادب ، البغدادي ، مصر ١٢٩٩ م ، ج ٣ ص ١٣٠ .

(١٠) لم يصل كتاب طبقات ابي عبيدة ولكن الدكتور ناصر حلاوي جمع بعض النقول منه فخرج بصورة اولية للطبقات في كتابه (ابو عبيدة معمر بن المثنى ناقداً ولغوياً) ص ٢٠٠ .

(١١) فحولة الشعراء ، الاصمعي ، تحقيق توري بيروت ١٩٧١

(١٢) طبقات فحول الشعراء تحقيق محمود محمد شاكر مصر ١٩٧٤ م

(١٣) الشعر والشعراء تحقيق احمد محمد شاكر مصر ١٩٦٧ م

(١٤) هكذا في الاصل والصواب (جابر بن حني التغلبي)

موازنة بين ذئبيتي

الفرزدق والبحتري

أ . د . يونس احمد السامرائي
كلية الاداب / جامعة بغداد

الذئب حيوان وحشي ضار لا يمكن تاليفه او تدجينه او ترويضه[١] ، وهو كريه وقبيح حتى عد شيطاناً لوحشيته وتعديه وغدره ومضرته وسكناه القفار[٢] . بل ذهب الاعراب الى (ان الله عز ذكره قد مسخ كل صاحب مكس وجابي خراج وإتاوة اذا كان ظالماً وانه مسخ ماكسين : احدهما ذئباً والاخر ضبعاً)[٣] ، وجاء ذكره في القرآن في سورة يوسف ثلاث مرات وكلها تشير الى اعتدائه وضرره[٤] .

ووقف الجاحظ عند الكثير مما يتعلق بهذا الحيوان ، فذكر انه من الحيوانات المشعرة[٥] ، وان اسنانه ممطولة في الفكين اي انه عظم مخلوق في الفك ، وانه لا يثغر اي لا تسقط اسنانه[٦] ، وانه من الحيوانات التي تعسل في مشيتها اي تقزل[٧] ، والمشترقة الافواه ، والطويلة الخطم ، شديدة القلب ، جيدة الاسترواح[٨] ، والقبيحة الصوت[٩] ، ولطع الماء[١٠] ، وان لطعته شديدة تاتي على عين الجمل الميت فتقورها تقويراً ، بل ان قوة رد لسانه اشد مراً في اللحم والعصب من لسان البقر في الخلى (اي الحشي) . فاما عضته ومصه فليس يقع على شيء عظماً كان او غيره الا كان له بالغا بلا معاناة من شدة فكيه ، حتى قيل انه ليس في الارض سبع يعض على عظم الا ولكسرته صوت بين لحييه الا الذئب فان اسنانه توصف بانها تبرى العظم برى السيف المنعوت بان ضريبته من شدة مرورها في العظم ، من قلة ثبات العظم له لا يكون له صوت[١١] . وهو مشهور في صدق الشمّ والحسّ والاسترواح[١٢] والمكر والنكر[١٣] واما لونه فهو اغبر يميل الى السواد ، وهو اخفى له حين

تشتد ظلمة الليل ويكون حينئذ اخبث له واضرى[١٤] . وهو من الحيوانات التي لا تاكل الا اللحم[١٥] ، بل يخالف الحيوانات كالثور والحمار والثعلب ، لانه ياكل اللحم النيء ولذلك يقع على البقر والحمير والثعالب[١٦] وهو اذا لم يجد شيئاً ياكله استعار النسيم ليبرد جوفه من اللهيب الذي يعتريه[١٧] ، وهو من ذوات الانياب[١٨] القوية[١٩] . وهو من الحيوانات التي وصفتها العرب بجودة الحراسة وشدة الحذر واعطوه والثعلب اموراً لا يبلغها كثير من الناس[٢٠] ، ولهذا زعم الاعراب انه ـ لشدة احتراسه ـ يراوح بين عينيه ، فتكون واحدة مطبقة نائمة وتكون الاخرى مفتوحة حارسة[٢١] ، قال الشاعر :

ينام باحدى مقلتيه ويتقي الـ
ـمنايا باخرى فهو يقظان هاجع[٢٢]

ومن صفاته انه شديد الختل حتى ذهبت بعض الامم الى ان من صفات التائد الجيدة ان يتمثل به ختل الذئب هذا[٢٣] ، ولهذا فهو اكثر ما يعرض للغنم مع الصبح وانما رقب فترة الكلب وكلاله ؛ لانه بات ليلته دائباً يحرس[٢٤] .

والذئاب لا تجتمع على قطيع واحد ، والذي يخاف منه السلة والخطفة والاستلاب والاختلاس[٢٥] ، والشاة من الذئب اشد فرقاً منها من الاسد وان كانت تعلم ان الاسد ياكله[٢٦] ، وهو يعرض للانسان في كل حالة ، ولهذا كله ضرب به المثل في الغدر فقيل : (اغدر من الذئب)[٢٧] و (اظلم من ذئب)[٢٨] .

ان صفات الذئب هذه وصفات اخرى له[٢٩] ، جعلت الانسان يخشاه ويفزع منه ومن ملاقاته ويحرص على ان يكون حذراً من غاراته عليه وعلى ماشيته وما يمتلك من حيوانات اخرى .

والملاحظ ان وصفه في الشعر العربي لا يتناسب مع ما كان عليه هذا الحيوان من صفات مخيفة ، وما يتمثل به من عدوان وخطر ، وانما هناك ابيات لعل اطولها واجودها ابيات حميد بن ثور الهلالي[٣٠] ، التي رواها صاحب المصايد والمطارد[٣١] .

وبعد هذا العرض السريع لصفات الذئب وضراوته وما كان عليه من صفات لعله ينفرد بها من بين سائر الحيوان نقف عند ذئبيتي الفرزدق والبحتري ؛ لشهرتهما ، ولانهما تمثلان فترتين متباعدتين من جهة ، ونتاج شاعرين قديرين مشهورين في عالم الشعر العربي من جهة ثانية .

فالوصف في القصيدتين جاء وصفاً حياً ، اي ان الشاعرين التقيا وجهاً لوجه ولم يكن من وحي الخيال والتصور ـ كما يقولان ويدعيان ـ فهل كان هذا حقاً او انه ضرب من تخيل الشاعرين وتوهمهما ؟

والوصف لم يقتصر على الحيوان وحده وانما جاء من خلال امور او موضوعات اخر . والقصيدتان تتحدثان عن امور شخصية ، ومع ذلك فهناك اختلاف كبير بينهما سواء في عدد الابيات التي وصف بها الذئب او في الفخر الذي جاء فيهما او الغزل الذي ورد في اثنائهما ، ولكي نقف على هذا وغيره فيهما سنتحدث عن كل واحدة منهما على حدة ثم نحاول المقارنة بينهما .

فقصيدة الفرزدق تتالف من سبعة واربعين بيتاً وهي نونية من البحر الطويل وتشتمل على موضوعات او الواح شتى . وهذه الموضوعات هي على الترتيب : وصف الذئب ـ الغزل ـ المدح والفخر ـ وصف الناقة ـ الفخر ـ الهجاء المبطن ـ الفخر .

ونحن نرى ان هذه الالواح او ترتيبها غير متسق ولا منتظم ، وكان الاحسن والافضل لو كانت على هذا النسق :

الغزل ـ وصف الناقة ـ وصف الذئب ـ الفخر ـ الهجاء المبطن .

وهو ما جرت عليه القصيدة العربية في عصر الشاعر وما سبقه .

فهل كان لدهشة الشاعر واضطرابه عند ملاقاته الذئب اثر في هذا ؟

تبدأ القصيدة بوصف الذئب الذي استغرق ثمانية ابيات ، ولم يكن المطلع مدوراً ، فهل هناك سقط من اولها ، ثم تاتي تسعة ابيات في الغزل ، ثم تعقبها ابيات ترجحت بين الفخر بقومه ومديحهم استغرقت ثمانية ابيات ثم تلتها ثلاثة ابيات في وصف الناقة التي تقله ثم يستانف المديح لنفسه والفخر بها وبقومه ويبطنه بشيء من الهجاء الى اخر الابيات .

وقدم للقصيدة ديباجة تشير الى سبب وصفه للذئب جاء فيها : (خرج الفرزدق في نفر من الكوفة يريد يزيد بن المهلب[٣٢] ، فلما عرسوا من آخر الليل عند الغريين ، وعلى بعير لهم شاة مسلوخة كان اجتزرها ، ثم اعجله المسير ، فسار بها فجاء الذئب فحركها ، وهي مربوطة على بعير ، فذعرت الابل ، وجفلت الركاب منه وثار الفرزدق ، فابصر الذئب ينهسها ، فقطع رجل الشاة ، فرمى بها الى الذئب ، فاخذها وتنحى ، ثم عاد فقطع اليد فرمى بها اليه ، فلما اصبح القوم خبرهم الفرزدق بما كان ، وانشا يقول) .

ويظهر ان من اسباب نظم القصيدة انها كانت تؤرخ النزاع بين قتيبة بن مسلم الباهلي ووكيع التميمي الذي انتهى بقتل قتيبة وقد تمثل الطبري في حوادث سنة ٩٦ هـ بابيات منها في تاريخه .

بدأ الفرزدق بوصف الذئب الذي نعت لونه بالغبرة ، ومشيته بالغزل اي العرج وهو ما يتصف به عادة ، وادعى انه لم يكن صاحباً يطمان الى صحبته ، دعاه بعد ان اوقد ناره ليلاً . فلبى

الحيوان هذه الدعوة ، فلما قرب طلب منه الدنو ؛ لانه سيشاركه في زاده الذي دعاه اليه . وبات الشاعر يقاسمه الزاد مرة على ضوء النار ، وتارة على ما يتصاعد منها من دخان ، غير ان الشاعر رأى تكشر الذئب فرحاً بما دعي اليه ـ وكانه اوجس منه خيفة وغدراً ـ قال له : وسيفه مستل من غمده ، ويده على مقبضه ـ تحفظاً وحذراً منه ـ قال له كل ما تشاء ، فان عاهدتني عهداً موثقاً انك لا تخون سنكون ـ ايها الذئب ـ صاحبين مترافقين ، على الرغم من علمي بانك والغدر كنتما اخوين قد رضعتما من ثدي واحد وتغذيتما من لبن واحد ، فجرى نكث العهد في دمائك حتى استحال امراً طبيعياً فيك . واعلم ـ ايها الذئب ـ لو انك التمست الحصول على ما نقدمه لك من طعام من احد سوای لكان طعامك سهماً مريشاً او سناناً مرهفاً . وانهى الوصف ببيت يكاد يقرب من الحكمة وهو قوله :

كل مترافقين في حال السفر اخوان بغض النظر عما بين قوميهما من عداوة وبغضاء ، اي ان الرفقة والمصاحبة في حال خاصة تزيل الامور الاخرى ، وان كانت شديدة مبنية على الخصام والعداء .

يتضح من هذا الوصف انه سريع لا يفصل في احوال الذئب وحركاته وما جبل عليه من حذر وحركات ، وان الشاعر هو المتكلم ، وهو الذي يمثل الطرف الواحد ، فلا حوار ولا صراع ولا تحليل لما عرف عن الذئب من الصفات التي ذكرناها فيما تقدم ، ولا ندري هل لبى الذئب كل ما طلب منه ، وهل اكل وشبع ثم انصرف وكانه يشكر دعوة الشاعر ؟ ان هذا الوصف لسرعته وقلة تحليله يكاد يفقد الكثير من الحيوية والحركة اللتين لابد لهما في مثل هذا الموضوع ، فهل يعني هذا انه ـ اي الموضوع ـ متخيل لا حقيقة له ، بحيث لم يتهيأ للشاعر القدرة على ان يمده ويحلله ويتسع فيه ؟

وتعكس الابيات من جهة اخرى انسانية الشاعر وتقديره لما يعانيه هذا الحيوان من قسوة السغب ، والحاجة الى الطعام الذي يعز الحصول عليه في بقعة جرداء .

ثم ينتقل الشاعر الى وصف ما يعانيه هو من اطراح حبيبته له حتى يكاد يحار في امره كيف يصنع ، وكيف يسترضي الثوار واهلها . ومن الغريب انه يهدد في اعقاب هذه الابيات حبيبته واهلها بقصيدتي هجاء لو لا ما تبقى من صُبابة حب في قلبه تمنعه من ذلك . وما ندري هل كان الفرزدق وحده من شعراء الغزل يهدد بمثل هذا او كان هناك سواه ؟

وبعد الانتهاء من ابيات غزله هذا ينتقل الى المديح : مديح اهله ونفسه والافتخار بماثر قومه ، وهو فخر مألوف لا يخرج عن تعداد الصفات المكررة المعادة وهي : القوة والحلم ، والكرم والشجاعة والعفة والمعزة والدفاع عن الاسلام ، ولكنه يقطع هذا الفخر فيتحدث عن الناقة التي اقلته وحملته ويصف ذلك وصفاً سريعاً ليس فيه جدة ولا صور غير مألوفة ، ثم يعود مرة اخرى الى الفخر بنفسه الذي يبدو انه يتضاءل كثيراً بالقياس الى فخره بقبيلته حتى يكاد يختفي في زحمة الصفات التي يخلعها على قومه ، ولعل سبب ذلك انه لم يشتهر بصفات معينة عرف بها تفرده عن بعض افراد اسرته التي كان يضرب كثيراً على اوتار فخرها ، مشيداً بمآثرها واعمالها ولا تخلو القصيدة ايضاً من الهجاء المبطن هجاء باهلة او بعض الاشخاص المنتمين اليها ، والثناء على مناوئي قتيبة وقاتله الذي اسماه (وكيعاً) التميمي وعلى قومه بني تميم .

ومما يلحظ ان الفرزدق استعان في اكثر من بيت بالجمل المعترضة التي قد تطول احياناً كما في الابيات : ١ ، ٨ ، ١٩ ، ٢٧ كما ضمن بعض ابياته كما في البيتين : ٤ ، ٥ والبيتين : ٢٦ ، ٢٧ والتضمين كما يراه بعض النقاد عيب في الشعر ، كما ان الجمل المعترضة وخاصة الطويلة قد تجعل الشعر لا يخلو من الغموض والترتيب الاسلوبي .

وكرر الشاعر لفظة (عشية) خمس مرات في ابيات متتالية وهو تكرار لم يضف شيئاً جديداً على اللفظة ولا على المعنى ، وكان الاجدر به الاستغناء عما كره منها .

والقصيدة مع كل ما سبق جيدة المعنى ، متينة الاسلوب ، وهي من قصائد الفرزدق المعروفة وخاصة في وصفها للذئب الذي كما تقدم قد ندر وصفه في الشعر .

وأطلس عسالٍ وما كان صاحباً
دعوت بناري موهناً فأتاني

فلما دنا قلت : ادن دونك إنني
واياك في زادي لمشتركان

فبت اسوى الزاد بيني وبينه
على ضوء نار مرة ودخان

فقلت له لما تكشر ضاحكاً
وقائم سيفي من يدي بمكان

تعشَّ فإن واثقتني لا تخونني
نكن مثل مَن يا ذئب يصطحبان

وانت امرؤ يا ذئب والغدر كنتما
اخيين كانا ارضعا بلبان

ولو غيرنا نبهت تلتمس القرى
اتاك بسهم او شباة سنان

وكلُّ رفيقي كل رحل وان هما
تعاطى القنا قوماهما اخوان

فهل يرجعن الله نفساً تشعبت
على اثر الغادين كل مكان

فاصبحت لا ادري أأتبع ظاعنا
ام الشوق مني للمقيم دعاني

وما منهما الا تولى بشقة
من القلب فالعينان تبتدران
ولو سئلت عني النوار وقومها
اذاً لم توار الناجذ الشفتان
لعمري لقد رققتني قبل رقتي
واشعلت في الشيب قبل زماني
وامضحت عرضي في الحياة وشنته
واوقدت لي ناراً بكل مكان
فلولا عقابيل الفؤاد الذي به
لقد خرجت ثنتان تزدحمان
ولكن نسيباً لا يزال يشلني
اليك كأني مغلق برهان

...باء قرين السوء في سرع البلى
على المرء والقصران يختلفان
تميم اذا تمت عليك رأيتها
كليل وبحر حين يلتقيان
هم دون من اخشى واني لدونهم
اذا نبح العاوي يدي ولساني
فلا انا مختار الحياة عليهم
وهم لن يبيعوني لفضل رهاني
متى يقذفوني في فم الشر يكفهم
اذا اسلم الحامي الذمار مكاني
فلا لامرىء بي حين يسند قومه
الي ولا بالاكثرين يدان
وانا لترعى الوحش امنة بنا
ويرهبنا ان نغضب الثقلان
فضلنا بثنتين المعاشر كلهم
بأعظم احلام لنا وجفان

جبال اذا شدوا الحبى من ورائهم
وجن اذا طاروا بكل عنان
وخرق كفرج الغول يخرس ركبه
مخافة اعداء وهول جنان
قطعت بخرقاء السدين كأنها
اذا اضطرب النسعان شاة إران
وعساء سدى من آخر الليل أرزقت
... من آجن ودفان
ودار ... قد حللنا وغيرها
احب الى التشريعية الشنآن
نزلنا بها والثغر يخشى انخراقه
بشعث على شعث وكل حصان

نهين بها النيب السمان وضيفنا
بها مكرم في البيت غير مهان
فمن من نحامي بعد كل مدجج
كريم وغراء الجبين حصان
حرائر احصن البنين واحصنت
حجور لها ادت لكل هجان
تصعدن في فرعى تميم الى العلى
كبيض اداح عاتق وعوان
ومنا الذي سل السيوف وشامها
عشية باب القصر من فرغان
عشية لم تمنع بنيها قبيلة
بعز عراقي ولا بيمان
عشية ما ود ابن غراء انه
له من سوانا اذ دعا ابوان
عشية ود الناس انهم لنا
عبيد اذ الجمعان يضطربان
عشية لم تستر هوازن عامر
ولا غطفان دعورة ابن دخان
رأوا جبلاً دق الجبال اذا التقت
رؤوس كبيريهن ينتطحان
رجالاً عن الاسلام اذ جاء جالدوا
ذوي النكث حتى اوذحوا بهوان
وحتى سعى في سور كل مدينة
مناد ينادى فوقها باذان
سيجزي وكيعاً بالجماعة اذ دعا
اليها بسيف صارم وسنان
خبير باعمال الرجال كما جزى
ببدر وباليرموك فيء جنان
لعمري لنعم القوم قومي اذا دعا
اخوهم على جل من الحدثان
اذا رفدوا لم يبلغ الناس رفدهم
لضيف عبيط أو لضيف طعان
فان تبلهم عني تجدني عليهم
كعزة ابناء لهم وبنان

اما قصيدة البحتري فتتالف من واحد واربعين بيتاً وهي دالية من البحر الطويل وتشتمل على موضوعات او الواح شتى ، وهي على الترتيب :

الغزل ـ الفخر ـ وصف الذئب ـ الشكوى ـ الفخر .

تبدأ القصيدة بالغزل الذي استغرق ستة ابيات ، ثم يعقبه الفخر الذي اشتمل على اثني عشر بيتاً ، ثم يتلوه ملاقاة الذئب

وصف ما دار بينهما من ملاحاة واستغرق ستة عشر بيتاً ، ثم يجيء بيتان في الشكوى ، وما يتبقى من ابيات القصيدة وهو خمسة ابيات كان في الفخر ايضاً .

ونحن نرى ان الشاعر كان موفقاً في تنسيق الموضوعات واتساقها وانها تكاد تكون وحدة متماسكة عضوياً لما يجب ان تكون عليه القصيدة من جهة . وتمثل تمثيلاً دقيقاً لما جرت عليه القصيدة العربية في وحدة الواحها وانتظامها من جهة ثانية ، وان الشاعر يبدو فيها متماسك الشخصية غير مضطرب ثالثة كما كان عليه الفرزدق في نونيته .

وقدم للقصيدة ديباجة تقول : (وقال يصف الذئب ولقاءه اياه ، قال ابو الغوث قلت لابي : ان الناس يقولون : هذه القصيدة لابي تمام . فقال : يا بني قد ... أبوك أحسن من هذه القصيدة) .

ان الغزل الذي بدئت به القصيدة يشير الى شكوى الشاعر من الحب ومن حبيبته التي لم تنصفه ، فكان الهجر وإخلاف الوعد . وذكر اسماء الاماكن التي كان له فيها ذكريات بل لعل المطلع يستقطب كل ما ذكره بعده وما قاساه من لوعة وشوق ، فهو يبدأ بالسلام على من يحبهم وان لم يكن لهم وفاء بتحقيق وعد ، ولا عهد يمكن الركون اليه . وهكذا ياخذ الشاعر في تكرار اخلاف الوعد وانجاز اللقاء ، وينثرها في سائر ابيات الغزل هذه ، وهو غزل عرف به البحتري ، غزل رقيق معروض بلغة سلسة والفاظ جميلة .

وبعد ان يفرغ شحنة حبه وما جهده من هجران حبيبته ينتقل الى الفخر الذي يخص به نفسه وحدها ، ولم يشر فيه الى الفخر باسرته وقومه ، ولعل اسرته لم تكن لها منزلة مرموقة ، ولا اثر اجتماعي او اقتصادي كالذي كانت عليه اسرة الفرزدق وقومه ، فخص اكثر فخره بهم ، وتضاءل فخره بنفسه كما تقدم .

ويظهر البحتري في فخره هذا شجاعاً بطلاً يتحدى الاخرين ، له عزيمة ماضية لا يقف امامه احد ، فهو افعوان صل ، وهو اسد هصور ، بل انه موت للاعداء اذا ما اهيج ، فهو الصارم كنصل السيف المرهف ، بل ان همته العظيمة وقوته الخارقة لتجعل من الجبال تتزعزع ورؤوسها تتساقط اذا ما قدر لها ورميت به .

ويتحدث الشاعر عن ان هناك حساداً ومناوئين كانوا يتمنون له الشر واستلاب ما كان عليه من قوة وسؤدد ، ولو فطنوا الى ما كانوا يودون له لما فكروا بهذا ولا ودوا له ما كان عليه من ايد وسؤدد .

وينتحل الشاعر ـ كالشاعر القديم ـ باكية تذرف الدمع مدراراً عليه خشية مما يتعرض له من الفراق ، بيد انه يطمئنها ويذهب عنها ما تخشاه ؛ لانه يمتلك من مضاء العزيمة وقوة الهمة ، وطلب الحرية ما يبدد كل ما يدور في ذهنها من خشية وفزع .

نحن لا نعرف عن الشاعر انه كان من ذوي الشجاعة والبطولة ، ولا ممن شارك في معركة حربية على الرغم من ان له شعراً كثيراً في وصف المعارك الطاحنة البرية والنهرية في عصره[٣٣] . بل انَّ اختفاءه وراء الباب عند مقتل المتوكل وكان حاضراً في مجلسه ما يدل على عكس ما كان يدعيه من بطولة وإقدام[٣٤] .

وبعد سرد هذه البطولات واصناف ما كان يتحلى به الشاعر من شجاعة واقدام وعزيمة ماضية ينتقل الى ملاقاته الذئب وتصوير ما كان بينهما من مناورات وهو ضرب من الفخر ايضاً . ويطلق الشاعر العنان لخياله وقدرته وشاعريته لرسم صورة بديعة ورائعة لهذه الملاقاة والنتيجة التي انتهت اليها ، ولهذا كله فسنقف وقفة طويلة عند هذا القسم من القصيدة التي نرى انه كان السبب في نظمها .

يبدأ الشاعر بتحديد الزمن الذي خرج فيه لملاقاة هذا الحيوان الضاري المخيف فكان خروجه في اعقاب الليل وابتداء نور الصبح ، ورسم صورة جميلة وواقعية لهذا الخروج ، فكان انبلاج النور في الظلمة المتبقية من الليل يبدو للعين وكانه بقية لمعان ماء السيف وقد اغمد في غمده ، وهو تشبيه لطيف يكاد يظهر لمن يتمتع بهذا المنظر انه يطابق الصورة التي جاء بها الشاعر تماماً .

لقد تدرع حلة ما وصفه ، والذئب بين ناعس ونائم ، ان انتباهه وتيقظه كتيقظ اللص وانتباهه الذي فقد النوم فلم يعد له به عهد .

ان خروجه في ذلك الوقت من الليل كان من اسباب اثارة القطا من مراقده ومجاثمه وكانت الحيوانات : كالثعالب والاسود تقترب منه وتسكن الى جانبه .

وبعد هذه المقدمة يبدأ الشاعر بالوصف الدقيق لشكل هذا الذئب ولونه وهزاله وما كان يقاسيه من شظف العيش ، فكان لونه اغبر الى سواد ، وهذه المفردة مما اعتاد على استخدامها من وصف هذا الحيوان ، وقلنا ان هذا اللون يساعد الذئب ليخفي امره ويستطيع ان يندس دون شعور به عند هجومه على الحيوانات ، وكان هذا الاطلس واضحاً للعين لا شائبة في ذلك ، يحمل جسمه عظامه المتمثلة بملتقى اطراف عظام الصدر ، كما كانت اضلاعه تبدو للعيان ولعل هذا دليل هزاله وضعفه بسبب الجوع وشدة السغب .

ويمضي الشاعر في التدقيق والتفصيل في نعت ما كان عليه ، فكان له ذيل كالحبل يجره وراءه ، وظهر كمتن القوس قد تقوس واعوج ، وهذا دليل الجوع الذي كان يقاسيه . ويوضح الشاعر هذا الوصف ويؤكده فيقول : ان الجوع الشديد قد اثر فيه حتى بدا وكانه مطوى قد تغير شكله وجسمه ، ولم يبق فيه لمن ينظر اليه سوى العظم والجلد والروح التي بها يستطيع الوقوف والعدو ، وان اسنانه الحادة الصلبة التي يكمن فيها الموت لتصوت وتصطك حتى ليشبه في ذلك من اصيب برعدة البرد وزمهريره .

لقد بدا في هذه البقعة الجرداء المنقطعة عن الحياة التي انعدم فيها العيش الرغيد ، وكلاهما يعاني من شدة الجوع ما يعانيه الاخر ، ويتربص الفرصة السانحة وينتهزها لينقض على صاحبه وينال منه ، ويلعب الحظ دوره في مثل هذه الحال .

اذ لابد من فائز في هذا الصراع ، ووضع حد له ، يقرره ويحسمه ذلك الحظ .

وتبدأ المعركة ويحمى وطيسها ، اذ لم يصبر الذئب ، ولم يكتف برؤية مناوئه فاخذ يطلق عواء شديداً ، ويتكىء على مؤخره وهما من ادلة التحرش والوثوب فيجيبه الشاعر هو الاخر وينطلق يرتجز ويصوّت ، وكأنه يريد بذلك اخافة الذئب من جهة ، وتشجيع نفسه من جهة اخرى ، وهو ما يفعله الانسان عادة في مثل الحال التي يتعرض لها ، غير ان الذئب واصل عواءه وإقعاءه الذي يعد تهيئة للانطلاق بالاقدام السريع جداً حتى يشبه في سرعة انطلاقه سرعة انطلاق البرق المتبوع بالرعد . وكان الشاعر على اهبة الاستعداد لذلك فرماه بسهام متتالية كان بريقها يلمع في ذلك الظلام لمعان النجم المنقض في الليل البهيم . بيد ان هذا الامر جعل الذئب يزداد جرأة وإقداماً وشدة ، حتى ظهر للشاعر ان الذئب كان مصراً على النيل منه والفتك به ، فاتبع سهامه الاولى بسهام اخرى ، وكانت اصابتها في هذه المرة اصابة مميتة ؛ لانها نفذت في مقتله وهو القلب الذي تجتمع فيه الاحقاد والفزع واللب ، فسقط مضرجاً بدمائه ، وشرب كاس الموت الذي اراد ان يسقيه غيره . ولم يكتف الشاعر بمصرع الذئب ، والتخلص من عدوانه ، وانما عمد الى الحصى فجمعه واوقد ناراً مستعرة فشواه عليه . وتناول مِزعة من لحمه ثم تركه معفراً وحيداً في تلك الصحراء القاحلة .

ان الشاعر وقف طويلاً عند لوحته هذه وفصل كثيراً في الجزئيات ،بَلْهُ الكليات فهو لم يترك شيئاً يمكن ان يلحظ في ذلك الحيوان الا ذكره بل انه اي الشاعر ليكاد ينفرد في مثل هذا الامر ، حتى لتبدو المعركة بينهما حقيقية لا خيال فيها ، وان تدرجه في التفاصيل ابتداء من خروجه في آخر الليل الى نهاية اللوحة وهي المتمثلة بقتله الذئب ليدل دلالة واضحة على قدرة الشاعر وإحاطته بما يجب ان يقال ؛ لذلك كانت اوصافه دقيقة ومترابطة ومتسلسلة ، فلا انفصام ولا فجوات فيما ذكره عن هذا الحيوان . وان المعركة لتظهر بجلاء حية قوية خلع عليها الشاعر الكثير من الحركة حتى ليكاد القارىء يشاركه في خوضها او التهلف لانتظار ما تؤول اليه من نتائج .

والشاعر في هذه اللوحة يصف قوة الانسان واصراره على ملاقاة عدو وحشي ضار والتغلب عليه ، اي انه يواجه القوة بقوة اعظم وإصرار اشد . والبحتري في هذا يخالف ما كان عليه الفرزدق في ملاقاته هذا الحيوان ، فقد كانت إنسانية الفرزدق هي الطاغية في تلك الملاقاة ، في حين كانت صفة التحدي واظهار القوة هي البارزة في ملاقاة البحتري لهذا الحيوان .

ولا شك في ان لغة البحتري وقدرته على الوصف وتمكنه من متانة الاسلوب وصفاء قريحته من اسباب نجاحه الكبير في ذئبيته هذه .

ويبدو ان الشاعر بعد ان تعرض ما تعرض له من ملاقاته للذئب وما كان عليه من الجوع وقطع الفيافي الموحشة ، واكله لحم ما لا يؤكل من الحيوان احس بشيء من الغبن وعدم انصاف الدهر له ، وكانه يقرر ان صروف الزمن على عادتها مجحفة وغير عادلة ، ويتساءل بشيء من الاحساس بالالم او السخرية ، ايجوز أن تنعكس الامور وتتناقض ، فيقع الكريم فريسة بين انياب الزمن ومخالبه تفترسه وتنهش فيه ، في حين ينال الجبان الرعديد ما يشاء من نعم الحياة وغضارتها .

ويظهر انه بعد ان انتشى بحلاوة النصر واحس بزهو الغلبة على اشرس حيوان وافتكه في معركة رهيبة حاسمة ، ثاب الى نفسه ، او قل استأنف ما سبق ان فخر به قبل ملاقاته الذئب وقضائه عليه الى تلك التي خاطبها وطلب منها تركه لمنازلة الاعداء ليطلب منها ثانية تركه والا يعوّل على اموره وانطلاقه في الحياة على ما ترسمه له القداح من امور الاقدام او الاحجام . فعزمه لا يثنيه شيء على ما يصمم اليه من المضي في ذلك ، وانه اذا ما المت به ملمة فسيواجهها بنفس محمولة على متن سيف مرهف حديد ، ثم لماذا يخشى الردى . اليس كل شيء مقدراً بامر الله وقضائه .. وهذا لا شك في انه شحن للنفس ودفعها الى خوض المكاره واجتياز العقبات بكل ما تحتاجه من قوة واقدام ، وهو في هذا بين امرين : فان عاش محموداً بما ناله فهو ممن سعى وطلب الغنى او ذاع صيته الحسن في كل مكان ، وهو ان اخفق في مسعاه فغادر الحياة فما عليه من لوم ، لانه سعى وبذل الجهد في سبيل ذلك .

وهكذا تنتهي هذه الانشودة الرائعة التي كان لها صدى كبير في الاوساط الادبية ، ولعل روعتها من اسباب ما قيل فيها ، فقد اشارت الديباجة الى ان ابن البحتري قال لابيه : ان الناس يقولون هذه القصيدة لابي تمام كما تقدم فسخر الوالد من هذا الادعاء ، واستعمل لفظة تدل دلالة عميقة على هذه السخرية ، على ان ديوان ابي تمام قد خلا منها ولا نظن ان احداً نسبها الى ابي تمام في غير هذه الديباجة ، ونحن لا نرى شيئاً من نفس ابي تمام ، ولا خصائص شعره فيها .

وقيل : (وقال ابو عبادة البحتري في قصيدة طويلة ، وقد شك فيها انها له لقربها من الفاظ الاوائل ومعانيهم وهي)[٣٠] ونحن ايضاً لا نرى فيها هذا الرأي ، فالقصيدة واضحة المعاني سلسلة الاساليب ، لا غريب فيها ولا ما لا يمكن ان توصف بها ، الا انها لشاعر مقتدر ذواقة معروف بالوصف مشهور به ، ولا ندري ما المراد بانها (قريبة من الفاظ الاوائل ومعانيهم) . وقد ذكرنا سابقاً أن وصف الذئب لم يرد كثيراً في الشعر كما ورد في هذه الدالية .

وارخ محقق الديوان هذه القصيدة فقال : (على اننا نعتقد ان هذه القصيدة من شعر الشباب وانه نظمها حوالي عام

٢٢٦ هـ)[٣٦] .

١ ـ اي ان عمر الشاعر عشرون سنة على هذا الرأي ؛ لان ولادته كانت في سنة ٢٠٦ هـ .

٢ ـ ليس في القصيدة إشارة واحدة تدل على انها من شعر الشباب ولا على انها من منظومات حوالي ٢٢٦ هـ .

٣ ـ يلاحظ ان محقق الديوان ـ على الرغم من ان الجهد الذي بذله في تاريخ قصائد الشاعر ومقطوعاته ليس قليلاً ـ الا انه ينبغي ان يكون القارىء او الدارس لهذه التواريخ على حذر ويقظة ، لان عدم الدقة يظهر في شيء غير قليل منها .

وبعد :

فان من يمعن النظر في ذئبيتي البحتري والفرزدق يخلص الى جانب ما ذكرنا سابقاً من ملاحظات حولهما الى :

١ ـ ان الفرزدق هو السابق .

٢ ـ ان القصيدتين اشتملتا على الواح اوموضوعات شتى ، ولكنها متشابهة ، ففيهما : غزل ووصف وحماسة وشكوى وهجاء مبطن .

٣ ـ ان الفرزدق اكثر انسانية من البحتري في ملاقاة الذئب وفي تعاملهما معه وفي النتيجة التي انتهت اليه هذه الملاقاة .

٤ ـ ان البحتري اكثر نضجاً واتساقاً وتسلسلاً في الواحها او موضوعاتها .

٥ ـ ان البحتري اكثر اتساعاً ودقة واقتنواءً واطول نفساً على الوصف من الفرزدق .

٦ ـ ان روح القوة والاقدام والاصرار على الغلبة تتجلى في قصيدة البحتري .

٧ ـ ان لغة البحتري ادق ، واسلوبه ارشق ، ومعانيه اوسع ، وخياله اخصب من الفرزدق .

٨ ـ تكاد تكون قصيدة البحتري انشودة في الحماسة والتحدي ومقاومة القوة بالقوة .

٩ ـ تغنى البحتري بمفاخره وتغنى الفرزدق بمفاخر قومه واهله .

١٠ ـ قلة لجوء البحتري الى التضمين والجمل الاعتراضية .

١١ ـ كثرة البديع ـ مع خفته ـ في دالية البحتري بالقياس الى نونية الفرزدق وهذا من اسباب انتشار هذا اللون من الوان التعبير في عصر البحتري .

١٢ ـ وارى من المناسب ان استعير بعض ما قاله احدهم وهو يوازن بين اسديتي البحتري والمتنبي ، ليكون معياراً صادقاً ودقيقاً في الموازنة بين ذئبيتي البحتري والفرزدق . قال :

(والذي يشهد به الحق ، ان معاني ابي الطيب[٣٧] اكثر عدداً ، واسد مقصداً ... ثم تفنن[٣٨] في ذكر الاسد[٣٩] فوصف : صورته وهيئته ، ووصف احواله في انفراده في خيلائه ، وفي هيئة مشيه واختياله مع شجاعته ...)[٤٠] . قال البحتري :

سلام عليكم لا وفاء ولا عهد
اما لكم من هجر احبابكم بد ؟

أأحبابنا قد أنجز البين وعده
وشيكاً ولم يتجز لنا منكم وعد

أأطلال دار العامرية باللوى
سقت ربعك الانواء ما فعلت هند

أدار اللوى بين الصريمة والحمى
اما للهوى الا رسيس الجوى قصد

بنفسي من عذبت نفسي بحبه
وان لم يكن منه وصال ولا ود

حبيب من الاحباب شطت به النوى
واي حبيب ما اتى دونه البعد

اذا جزت صحراء الغوير مغرباً
وجازتك بطحاء السواجير يا سعد

فقل لبني الضحاك مهلاً فانني
انا الافعوان الصل والضيغم الورد

بني واصل مهلاً فان ابن اختكم
له عَزماتٌ هزلُ ارائِها جِد

متى هجتموه لا تهيجوا سوى الردى
وان كان خرقاً ما يحل له عقد

مهيباً كنصل السيف لو قذفت به
ذرى اجأ ظلت واعلامه وهد

يود رجال انني كنت بعض من
طوته المنايا لا اروح ولا اغدو

ولو لا احتمالي ثقل كل ملمة
تسوء الاعادي لم يودوا الذي ودوا

ذريني واياهم فحسبي صريمتي
اذا الحرب لم يقدح لمخمدها زند

ولي صاحب عضب المضارب صارم
طويل النجاد ما يفل له حد

وباكية تشكو الفراق بأدمع
تبادرها سحاً كما انتثر العقد

رشادك لا يحزنك بين ابن همة
يتوق الى العلياء ليس له ند

فمن كان حراً فهو للعزم والسرى
ولليل من افعاله والكرى عبد

وليل كأن الصبح في اخرياته
حشاشة نصل ضم افرنده غمد

تسربلته والذئب وسنان هاجع
بعين ابن ليل ماله بالكرى عهد

اثير القطا الكدري عن جثماته
وتألفني فيه الثعالب والربد

واطلس ملء العين يحمل زوره
واضلاعه من جانبيه شوى نهد

له ذنب مثل الرشاء يجره
ومتن كمتن القوس اعوج منآد

طواه الطوى حتى استمر مريره
فما فيه الا العظم والروح والجلد

يقضقض عصلاً في اسرتها الردى
كقضقضة المقرور ارعده البرد

سمالي وبي من شدة الجوع مابه
ببيداء لم تحسس بها عيشة رغد

كلانا بها ذئب يحدث نفسه
بصاحبه والجد يتعسه الجد

عوى ثم اقعى وارتجزت فهجته
فاقبل مثل البرق يتبعه الرعد

فاوجرته خرقاء تحسب ريشها
على كوكب ينقض والليل مسود

فما ازداد الا جرأة وصرامة
وايقنت ان الامر منه هو الجد

فاتبعتها اخرى فاضللت نصلها
بحيث يكون اللب والرعب والحقد

فخرّ وقد اوردته مهل الردى
على ظمأ لو انه عذب الورد

وقمت فجمعت الحصى واشتويته
عليه وللرمضاء من تحته [illegible]

ونلت خسيساً منه ثم تركته
واقلعت عنه وهو منعفر [illegible]

لقد حكمت فينا الليالي بجورها
وحكم بنات الدهر ليس له [illegible]

افي العدل ان يشقى الكريم بجورها
وياخذ منها صفوها القعدد الوغد

ذريني من ضرب القداح على السرى
فعزمي لا يثنيه نحس ولا [illegible]

ساحمل نفسي عند كل ملمة
على مثل حد السيف اخلصه [illegible]

ليعلم من هاب السرى خشية الردى
بان قضاء الله ليس له [illegible]

فان عشت محموداً نمثلي بغى الغنى
ليكسب مالا او ينث له [illegible]

وان مت لم اظفر فليس على امرىء
غدا طالباً الا تقصيه والجهد

■ الهوامش ■

١ - انظر : الحيوان ٦ / ٢٤ ، واشار الجاحظ في المصدر نفسه ٦ / ٢٦ الى ان هناك من (ضرى ذئباً حتى اصطاد به له الظباء وما دونها صيداً ذريعاً ، وانه الفه حتى رجع اليه من ثلاثين فرسخاً وقد كان بعض العمال سرقه » وأعتبر هذا شيئاً غريباً نادراً خارجياً لا يقاس عليه .
٢ - انظر : نفسه ١ / ٢٩٧ - ٢٩٨ .
٣ - نفسه ٦ / ٧٩ ، ١٤٩ .
٤ - انظر : سورة يوسف ١٢ ، ١٣ ، ١٦ .
٥ - الحيوان ٥ / ٤٨٤ .
٦ - نفسه ٢ / ٢١٤ .
٧ - نفسه ١ / ١٤٣ .
٨ - نفسه ٢ / ٢١٣ ، ٤ / ٩٤ .
٩ - نفسه ١ / ٢٨٨ .
١٠ - نفسه ٣ / ١٤٨ .
١١ - انظر : الحيوان ٦ / ٤٣٦ - ٤٣٧ ، ١ / ١٤٧ .
١٢ - نفسه ١ / ٣٤ .
١٣ - نفسه ١ / ٢١٣ .
١٤ - نفسه ٤ / ١٥١ .
١٥ - نفسه ٧ / ١٤٦ .
١٦ - نفسه ٢ / ٥١ .
١٧ - نفسه ٤ / ١٣١ .
١٨ - نفسه ٣ / ٣٠٠ .
١٩ - نفسه ١ / ١٤٧ .
٢٠ - نفسه ٥ / ٥٣٧ .
٢١ - نفسه ٣ / ٤٠٦ .
٢٢ - نفسه ٦ / ٤٦٧ .
٢٣ - نفسه ١ / ٣٥٤ .
٢٤ - نفسه ٢ / ٢٠٣ .
٢٥ - انظر الحيوان ١ / ٣٠٣ .
٢٦ - نفسه ٢ / ٥٤ .
٢٧ - نفسه ٦ / ٢٢٠ .
٢٨ - نفسه ٤ / ١٥٠ .
٢٩ - انظر : المصايد والمطارد ١٠٣ وما بعدها .
٣٠ - توفي نحو ٣٠ هـ (الاعلام ٢ / ٣١٨) .
٣١ - ١٠٦ - ١٠٧ وهي تسعة ابيات .
٣٢ - هو يزيد بن المهلب بن ابي صفرة : امير من القادة الشجعان الاجواد ولي عدة ولايات وقتل سنة ١٠٢ هـ (الاعلام ٩ / ٢٤٦) .
٣٣ - انظر : ديوانه في مواضع شتى .
٣٤ - انظر : البحتري في سامراء حتى نهاية عصر المتوكل ٢٧٢ .
٣٥ - المصايد والمطارد ١٠٧ .
٣٦ - ديوان البحتري ٧٤٠ الحاشية .
٣٧ - يعني البحتري .
٣٨ - أي البحتري .
٣٩ - يعني الذئب .
٤٠ - الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ٣٥٨ - ٣٥٩ .



المتنبي

في معيار الحاتمي النقدي

رعد عبد اللطيف صالح
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

● المقدمة

لعلّ من نوافل القول التي الفها المتقدمون ودرج عليها المتاخرون ، أن ننوه بان أبا المحسد « المتنبي » قد حظي بما لم يحظ به شاعر قبله ولا بعده عن الدراسة والنقد والشهرة والتقديم ، واذا كان الاقدمون قد وصفوه بانه مالىء الدنيا وشاغل الناس فلا مناص اذن من ان يثير هذا الشاعر المتفرد عواصف شتى حول شخصيته ومكامن العبقرية فيها ، دون مرور عابر على هناتها ونقاط ضعفها لدى الميالين اليها ــ المعجبين بما تركته موهبتها الفذة من بصمات على فاكهة اللغة ، وتلك طبيعة راسخة في النفس البشرية اذ ان (عين الرضا عن كل عيب كليلة) .

وفي الحين الذي تثير فيه العبقريات جانب الحب والود ولدى الناس فان ثلة منهم تختط لنفسها منهجاً مغايراً ، تبعاً لعوامل نفسية واجتماعية وعقائدية وتحاسدية ، وما سوى ذلك من الاسباب والعوامل . وقد تُلبس هذه الثلة جنفها وحسدها ذاك لباس العلم والنقد والمنطق ، وقد تدعي الموضوعية ايضاً .

وقد كانت عبقرية المتنبي الابداعية موضع أخذ ورد لدى مجامليه بحكم هذه العوامل لا سيما من الادباء الذين اهمل وجود المتنبي ذكرهم ، وساندهم في ذلك الحكام الذينْ ترفع المتنبي عن مدحهم ، ونتج عن تظافر جهود الفئتين لغط ، أخذ صفة الشعر احياناً ، كما صنفه ابن الحجاج حين هجا المتنبي هجاء مقذعاً .

أيّ فضل لشاعر يطلب الـ
فضل في الناس بكرة وعشيا
عاش حيناً يبيع في الكوفة المـا
ء وحيناً يبيع ماء المحيا

وصفه النقد احياناً أخرى كما فعل الحاتمي حين صنف رسالته « الحاتمية والموضحة » ولا يمنع باعث تاليف الرسالتين الذي سنعرض له لاحقاً من الوقوف عند كثير من الاراء التي وردت في المتنين انفي الذكر ، فقد يكون الامر التافه باعثاً لعمل ابداعي عظيم ، ويظل المتن المعرفي وهوامشه المبينة وسيلة التخاطب بين المشتغلين بحرفة الادب والمعرفة ــ بوجه عام ــ والقادمين اليها من تخوم المستقبل .

والله اسال ان يوفق الجميع ، انه حسبنا ونعم الوكيل .

● بين المتنبي والحاتمي

معروف ان ابا الطيب هو أحمد بن الحسين الجعفي الكوفي ، ولد في الكوفة في محلة كندة في مطلع القرن الرابع الهجري[1] . فكانت رحلة نصف قرن التي عاشها المتنبي متبعضة بين العراق وبلاد الشام ومصر ، وكانت أشهرها رحلته مع سيف الدولة الحمداني (علي بن حمدان) في حلب ، ومدحه بقصائد مشتهرة ، ثم حصلت بينهما جفوة انتقل على اثرها الى مصر .

ومن مساوىء الصدف ومحاسنها ان يلتقي الحاتمي بالمتنبي الذي قصد سيف الدولة في شبابه ، وقد ذكر ذلك ياقوت في إرشاده[2] نقلًا عن كتاب الهلباجة للحاتمي « وقد خدمت سيف الدولة ..... وأنا ابن تسع عشرة سنة » وينص على انه التقى أبا علي الفارسي هناك اي سنة ٣٤١ هـ وهي سنة مقدم الفارسي على حلب . وهي ايضاً من سني إقامة المتنبي لدى سيف الدولة (٣٣٧ ـ ٣٤٥ هـ) . ويلاحظ من نص الحاتمي واشارته ذات الدلالة الواضحة « وقد خدمت سيف الدولة تجاوز الله عن فُرطاته » انه لم يلق العناية التي يامل لديه فترك مجاورته قاصداً بغداد .

واذا كان الاقدمون قد جعلوا للحاتمي صفات معرفية مهمة من خلال الاشادة باطلاعه ومعرفته ، فان مناطحته لصخرة ابي الطيب هي الاثر الاكثر اشتهاراً عنده ، ويبدو ان وجود المتنبي الذي كان سبباً رئيساً لاهمال ذكره في بلاط سيف الدول صار سبباً لاهتداء الباحثين اليه في الازمنة اللاحقة .

ومن الجدير بالاشارة اليه ان الحاتمي هو ابو علي محمد بن الحسن ، المتوفى عام ٣٨٨ هـ[3] ، وهو رجل غزير العلم واسع المعرفة وافر الاطلاع ، وهو ناقد وكاتب مبرز وله أشعار تروى ايضاً . وصنف الحاتمي كتباً في اللغة والادب والتراجم .

● لماذا .... ؟

لعل (لماذا) الفلاسفة هذه ضرورية لمعرفة دوافع الحاتمي في موقفه من المتنبي ، وهو دون ريب موقف ناقم لا موقف محب ، وخلاصة الاجتهادات في الامر ان عوامل ذاتية (الحسد والغيرة) وترفع المتنبي وخيلاؤه وامتناعه عن مدح المهلبي وزير معز الدولة البويهي ، بل ترفعه عن مدح معز الدولة نفسه قد جعل الاخيرين يغريان الادباء والشعراء بهجوه والنيل منه وبينهم كان صاحبنا الحاتمي الذي اجتمعت عليه ولديه اسباب التحامل اكثر من سواه خصوصاً اذا علمنا بالتقائهما لدى سيف الدولة والمتنبي في قمة الهرم في الحظوة والحاتمي يفترش حصباء الاهمال والنسيان كما اشرنا سابقاً ، فضلًا عما يورثه التعرض للمشاهير والاعلام المبرزين والفحول من شهرة يرددها العامة والخاصة .

ومهما يكن الامر فان تحامل الحاتمي على ابي الطيب المتنبي قد ابتعد كثيراً عن موضوعية الناقد والباحث والاديب الى تهجمات الخصم المبطنة برداء الاشارة الادبية ، ولعل أجلى صورة لبغضائه تلك نجدها في نهاية رسالته الموضحة[4] ، اذ يزعم ان سبب رحيل المتنبي عن بغداد بعد ما وصل اليها انه هرب من احد سفهائها (ابن الحجاج) فضلًا عن عجزه عن الرد على رسالة الحاتمي كما يزعم هو ... واولع بهجائه سفيه من سفهائها البغداديين ، صغير من اصاغر علمائهم يعرف بابن الحجاج ، لاحظ له في الفضل ولا قدم له في الادب ، وحسبه انه اضطره مع دناءة قيمته وسخف همته الى الهرب ، وترامي المطلب ، وقلق الركاب في كل منهب ، وقد كنت اقتدته بعنان الصغار قود الجنيب فلم يستطع مقاماً بمدينة السلام ، فخرج عنها الى الكوفة ومنها الى فارس »[5] . وهنا لابد من السؤال عن مقدار اقتراب هذه الكلام من منطق الاديب المنزه عن حمى التباغض وحسبنا تقصياً عن اسباب موقف الحاتمي بوقوفنا على اعترافه بنهاية الموضحة بانه بعد ان كتب هذه الرسالة « بما تتبعته من عواره ، ووقفت عليه من سرقة ، ومن سقط لفظه ، وسخيف معانيه »[6] سيشفعها برسالة تتحدث عن « محاسن شعره ، ومن عيون مدائحه .... وافرد بذلك كتاباً واستقصيه ... الخ »[7] .

فكتب بعد ذلك رسالته الحاتمية التي رد فيها مائة معنى من معاني ابي الطيب الى ارسطو طاليس باسلوب يبدو للوهلة الاولى مناصراً لابي الطيب ، وحسب ابي الطيب من هذه المناصرة انها زعمت سرقة معانيه من اليونان وليس من العرب وحدهم .

واخيراً فان الاعتراف سيد الدولة كما يقول فقهاء الشريعة والقانون ، وهذا الحاتمي يورد في ثنايا تملقه للوزير ابي محمد المهلبي في بداية الرسالة الموضحة[8] ما نصه « وكانت للوزير ابي محمد الحسن بن محمد المهلبي ، رحمه الله ، هناك طليعة من طلائعه ، وربيئه من ربايا مرعاته ، وعين من عيونه فانه كان ـ نضر الله وجهه ـ لما تثاقل ابو الطيب عن خدمته ، واساء التوصل الى استنزاله عن عرفه ، ولم يوفق لاستمطار كفه ، وكانت واكفة البنان ، منهلة باللجين والعقبان ، سامني هتك حريمه ، وتمزيق

أديمه ، ووكلني بتتبع عواره ، وتصفح أشعاره ، وإحواجه الى مفارقة العراق ، واضطراره كراهية لمقامه بعد تناهيه في إدنائه وإكرامه ..... » .

ومن هذا النص تتضح لنا صورة الحال جلية نفعية تكسبية ، بعيدة البعد كله عن العلم والموضوعية . فالرجل قد أمر فنفذ ، واجتهد في ذلك التنفيذ الذي جاء مطابقاً لرغبة في نفسه ، متفقاً مع هواه .

● خلاصة رأي الحاتمي .....

أسلفنا ان آراء الحاتمي في المتنبي قد ضمتها رسالتاه « الحاتمية والموضحة » وخلاصة الأمر فيهما تتمثل في إعادة معاني المتنبي الى مرجعية سابقة سواء كانت تلك المرجعية شعرية عربية كما في الموضحة أو نثرية ارسطية كما في الحاتمية . ولابد لنا ونحن بصدد ارائه في الرسالتين ان نتناولهما بالبحث والمساءلة لنصل الى رؤية مقاربة لموضوعية البحث المفترضة .

● اولاً ـــ الرسالة الموضحة(٩)

تعد الحاتمية أو جبهة الادب(١٠) رسالة مجالس منمومة بين الحاتمي والمتنبي بحضور اشخاص يسمون في كل جلسة ، وفيها يشير الكاتب الى ما يعد سطواً من المتنبي على معاني سابقيه ، إضافة الى هنات شعرية يعدها عليه ، وهكذا يرتب أربعة مجالس متوزعة بين بيت المتنبي ومجلس الوزير المهلبي ، واجدني ميالاً للرأي القائل بعدم حدوث هذه المجالس باستثناء الأول وبصيغة غير تلك التي اوردها الحاتمي الذي أعاد النظر كثيراً بالرسالة ومجالسها ، ربما وصفه من كلام على لسانه وعلى لسان المتنبي وألسنة الحاضرين والذي يدعم هذا الرأي أن الرسالة قد قدمت الى الوزير ابي الفرج الشيرازي بعد وفاة المتنبي بسنوات ثم ان ما يرد فيها لا يتناسب مع ما عُرف به المتنبي من غرور وخيلاء فكيف يسمح لشاب لم يتجاوز الثلاثين ، بان يسأله ويمتحنه ويزنل شعره .... ؟ وهو القائل(١١) :

وما الدهر إلا من رواة قصائدي
إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا
فسار به من لا يسير مشمّراً
وغنّى به من لا يغني مُغرّدا

وكذلك(١٢)

خليليّ إني لا أرى غير شاعرٍ
فَلِمْ منهم الدعوى ومني القصائدُ

ولعل الرسالة ومجالسها من وجهة نظر المؤرخ تحتاج الى تمحيص دقيق ولكن اهميتها من الناحية النقدية لا تتأثر كثيراً ، ويمكن لنا النظر مطمئنين الى المتن الذي بين ايدينا على انه جهد نقدي قيم ، تنبغي دراسته ووضعه في مكانه الذي يستحق في ثبت النقد العربي القديم .

والمنزل الأول الذي جرت فيه المناظرة الأولى كان منزل المتنبي بحضور بعض الغلمان الذين يدرسون الادب على المتنبي ، ثم تجري معاتبة بين المتنبي والحاتمي ، يسال في بدايتها الحاتمي عن سبب تكبر المتنبي وتعاليه عليه ، ويرد المتنبي بانه لم يتعمد ذلك ، ويأخذ في تهدئته ثم تبدأ المناظرة بشرح لبيت عدي بن زيد ، ثم يأخذ الحاتمي في إعادة أبيات قصيدة قافيه للمتنبي الى من سبقه الى معاني ابياتها ، حقاً هيناً وتكلفاً احياناً . ثم يسال الحاتمي عن قول المتنبي(١٣) :

فإن كان بعض الناس سيفاً لدولةٍ
ففي الناس بوقات لها وطبول

ويعترف المتنبي بان هذا من هجين المدح لامن صريحه ، وانها عثرة من عثرات الخاطر وينهض منها ابيات اخرى له ينكرها هو فيعيدها الحاتمي الى من سبق في معانيها .

ومن حسنات هذا المجلس (الاول) انه يرد فيه حدّ الشعر (تعريفه) ويقوم على أربعة أسس في نظر الحاتمي هي اللفظ والمعنى والوزن والتقفية(١٤) ثم يستطرد في شرح هذه الاسس وإيراد الامثلة عليها ، ولا يكاد يخلو بيت يذكر من تعليق للحاتمي عليه حتى لو كان ذلك بعيداً عن موضع الشاهد فيه ، كقوله عن بيت حميد بن ثور :

فقام وسنان ولمّا يرقد
الى صناع الرجل فرقاء اليد

وهذان البيتان (هو وبيت سابق له) من أوجز ما قالته العرب(١٥) .

وتعود الرسالة الى (مثالب) شعر ابي الطيب وقد يأخذ فيها الحاتمي دور المعلم في حين يأخذ المتنبي دور التلميذ ، فالاخير يسال جهلاً والاول يجيب علماً .

اما المناظرة الثانية (المجلس الثاني) فكانت كما يزعم الحاتمي في مجلس الوزير المهلبي باستعراض ثقافته من خلال الاشارة الى اصول معاني المتنبي وفيه يصف الحاتمي ابا تمام والبحتري بانهما مرجع اساسي للمتنبي « اختلبت الفاظهما ، واستلحقت معانيهما ، ووقعت دونهما وقوع السهم المقصر عن

رميته »(١٦) بعد ان يزعم ان المتنبي قد انكر معرفته بهما .

وفي آخر المجلس يرد المتنبي بعض ابيات ابي نواس الى مشابهاتها مما سبق الشعراء اليه ، ويقول له المهلبي في النهاية « حسبك ففي بعض ما تفاوضتماه غنى عن غيره » ومكانك يا أبا الطيب غير مجهول »(١٧) .

وفي المناظرة الثالثة (المجلس الثالث) يحضر فيها أبو سعيد السيرافي وعلي بن عيسى الرماني وابو الفتح المراغي وابو الحسن الانصاري وغيرهم — كما يذكر الحاتمي — وتستأنف المناظرة في شعر أبي الطيب وفيها يقول الحاتمي مخاطباً أبا الطيب « ما اعرف لك احساناً ، ولا اعترف لك باختراع ، إذا كانت هذه الابيات التي تتخيل انك السابق الى معانيها ، ورب الاحسان فيها ، مسترقة ملصقة فيما تقدم من نظمها وابتكره اصحابها من معانيها ، شاغل عن تكرير لها ، وتبديل لالفاظها »(١٨) . وهنا لابد من وقفة امام قوله (الابيات التي تتخيل انك السابق الى معانيها) فهذا اعتراف من الحاتمي بان المتنبي لم ينظم أبياته على أشلاء أبيات سابقيه بل كان يبتدع ابياتاً يظن انه السابق الى معانيها فيتضح انه قد سبق الى بعض منها وهذا يخرج من باب السرقة الى باب توارد الخواطر ووقوع الحافر على الحافر .

وفي آخر المجلس يقول ابو الطيب « إنما نأتيكم الفينة بعد الفينة ، فاذا أتيناكم فاحسنوا القرى » وينهض مغضباً فيرده — المهلبي مكرها ، ثم يطلب المهلبي من الحاتمي مفاوضة المتنبي في شعر أبي تمام والبحتري ويجري ذلك في المجلس الرابع الذي جرى بعد أسبوع من المجلس الثالث وفيه يرد الحاتمي بيت ابي الطيب :

فالخيل والليل والبيداء تعرفني
والحرب والطعن والقرطاس والقلم(١٩)

الى قول البحتري :

يا خليلي بالسواجير من أد
بن معن وبحتر بن عتود
اطلب ثالثاً سواي فإني
رابعه العيس والدجى والبيد

وقول ابي تمام :

العيس والهم والليل التمام معاً
ثلاثة أبداً يقرنّ في قرن(٢٠)

وواضح لدينا ما لبيت ابي الطيب من فضل على ابيات سابقيه ، وكونه قد جمع فاوعى وجاء بشطرين بما لم يسبق اليه سواه بابيات عديدة .

وتستمر المناظرة في شعر ابي الطيب مقارناً بشعري ابي تمام والبحتري ، ومن الطريف ان الحاتمي يزعم فيها أن ابا الطيب قد اعاد بعض ابيات ابي تمام والبحتري الى أبيات سبقتها ويرد عليه هو بقوله « ما أبعد مابين المعنيين »(٢١) أو بقوله « هذا أيضاً تحامل ما يتناسب المعنيان »(٢٢) ونلاحظ هنا أن تكلفه هو في اعادة ابيات المتنبي الى اي سابق ولو بتشابه طفيف جداً لا يعد تحاملاً منه على ابي الطيب ولكن دفاع المتنبي عن شعره برد شعر ابي تمام الى ما يشبهه من شعر سابقيه تحامل مردود من الحاتمي ، فيدعي ان أبا الطيب قال « ومن ابو تمام ؟ قلت : الذي سرقت شعره فانشدته . قال : هذا خلائق السفهاء لا خلائق العلماء . قلت : أجل ، أنت سفّهت رأيي ولم يكن سفيهاً ، ألست القائل :

ذي المعالي فليعلون من تعالى
هكذا هكذا وإلا فلا لا
شرفٌ ينطح الثريا بروقيـ
ـه وفخر يقلقل الاجبالا(٢٣)

قال : بلى . قلت فإنك أخذت البيت الاول من بيت بكر بن النطّاح :

يتلقى الندى بوجه حييٍّ
وصدور القنا بوجه وقاح
هكذا هكذا تكون المعالي
طرق الجدّ غير طرق المزاح

وأخذت البيت الثاني فافسدته من قول أبي تمام :

همّة تنطح الثريا وجدٌّ
آلفٌ للحضيض فهو حضيض

قال : وبأي شيء أفسدته ؟ قلت بأن جعلت للشرف قرنا .

قال : وأنى لك بذلك ؟

قلت : ألم تقل : ينطح السماء بروقيه ؟ والروقان : القرنان ؟

قال أجَلْ ، إنما هي استعارة ، قلت : نعم هي استعارة خبيثة .

قال : أأقسمت غير مُحرج في قسمي إنني لم أقرأ شعراً قطّ لابي تمامكم هذا . فقلت : هذه سوءة لو سترتها كان أولى .

قال : السوءة قراءة شعر مثله »(٢٤) ، وكأنني بالجرجاني يرد على الحاتمي بقوله :

وكيف اسقطته عنْ طَبقات الفحول وأخرجته من ديوان المحسنين لهذه الابيات التي انكرتها ، ولم تسلم به قصب السبق ونصال النضال(٢٥) وفي رأيي المتواضع اننا اذا احتفينا بحظو

الحاتمي في عدّ كل تشابه يسير سرقة فلن يتبقى لدينا معنى مخترع أصلاً لسبق الاولين الزمني ولان اللغة هي هي ، وما دمنا لم نغير ألفاظ هذه اللغة فلابد من تشابه ما في المعاني والالفاظ ، وننهل من المنبع نفسه ، وفي نهاية المجلس « وهي نهاية الرسالة كلها » يعد الحاتمي بتأليف رسالة جديدة جامعة لمحاسن شعر المتنبي بعد ان يزعم أنه قد أجبر المتنبي على ترك بغداد في نهاية هذه الرسالة .

ولابد من الاشارة الى ان الرسالة تدل دلالة واضحة على تمكن الحاتمي من شعر العرب ومعانيه ـــ وحفظ شوارد ابياته ، واستظهاره للمعاني المبتكرة والالفاظ المستحسنة والمستهجنة ، وإحاطته بعلوم اللغة والادب ومصطلحات النقد والبلاغة ، وذلك شان غير قليل كما نعلم .

ثانياً : الرسالة الحاتمية

وهي الرسالة التي اشرنا اليها والتي قارن الحاتمي فيها بين معاني ابي الطيب الفلسفية والحكمية وأعاد ما توافق منها مع معاني ارسطو طاليس الى الاخير . ويشكك الدكتور احسان عباس(٢٦) في صحة نسبة الرسالة الى الحاتمي لسببين ، الاول لعدم ثبوت صلة الحاتمي بالثقافة الفلسفية ، والثاني ما يظنه انصافاً فيها لابي الطيب ، ويستدرك بان للحاتمي صلة بابي حيان التوحيدي وبعض المتفلسفين الذين ضمهم مجلس الوزير ابن سعدان ، ونضيف ان المعاني التي أوردها الحاتمي قليلة الغوص في المتن الفلسفي ويعرفها عوام المثقفين آنذاك .

اما عن روح الانصاف فلا أراها ماثلة في الرسالة على الرغم مما قاله في مقدمة الرسالة « والذي بعثني على تصنيف هذه الالفاظ المنطقية والاراء الفلسفية التي اخذها ابو الطيب أحمد أبن الحسين المتنبي منافرة خصومي فيه ، لما رأيت من نفور عقولهم عنه وتصغيرهم لقدره .... وجدنا أبا الطيب قد أتى في شعره باغراض فلسفية ومعان منطقية ، فان كان ذلك منه عن فحص ونظر وبحث فقد أغرق في درس العلوم ، وان يك ذلك منه على سبيل الاتفاق ، فقد زاد على الفلاسفة بالايجاز والبلاغة والالفاظ الغريبة ، وهو في الحالتين على غاية من الفضل وسبيل نهاية من النبل ، وقد أوردت من ذلك ما يستدل على فضله في نفسه ، وفضل علمه وأدبه وأغراقه في طلب الحكمة »(٢٧) اين هذا من تعليقاته في الرسالة التي نشرها العميدي في كتابه الابانة عن سرقات المتنبي قوله « أهكذا تمدح الملوك »(٢٨) و « أهكذا يتشبب بالمحبوب »(٢٩) و « أما كان ذلك من افانين الهجاء مندوحة عن هذا الكلام الرذل »(٣٠) فيرد عليه المتنبي « أما يلهيك إحساني في هذه عن إساءتي في تلك ؟ قال : ما أعرف لك إحساناً في جميع ما ذكرته ، إنما أنت سارق مُتّبع ، وآخذ مقصّر ، وفيما تقدّم من هذه المعاني التي ابتكرها أصحابها مندوحة عن التشاغل بقولك »(٣١) وفي نهاية الرسالة يوجه الحاتمي خطابه الى الجماعة الحاضرة في المجلس « فبهره مما أوردته ما قصر عنان عبارته ، وحبس بُنيات صوره ، وعقل عن الإصابة لسانه ...... فما زاد على ان قال : قد أكثرت من ابي تمام ، لا قدس الله أبا تمام ونوبه . قلت : ولا قدّس السارق منه والواقع فيه »(٣٢) ، وعلى الرغم من التسويغ الذي يقدمه الدكتور احسان عباس فان وضع الرسالة اساساً على فكرة نظم النثر الفلسفي تسيء الى فكرة ابتداع النصوص لدى المبدعين ، فهي تحوله الى ناظم لفكرة فلسفية قديمة فضلاً عن التكلف الواضح في مطابقة المعاني أو بعضها على الاقل بين نثر ارسطو ونظم المتنبي .

واذا كان الحاتمي قد اعاد في هذه الرسالة مائة معنى من معاني أبي الطيب الى ارسطو فانه بذلك قد أكمل مشروعه ، وتجنى على اغلب معاني أبي الطيب من خلال النظر شمولياً الى الرسالتين معاً ، ولا يمكن لي بأي حال من الاحوال ان ارى فيهما أي انصاف لان اي باحث منصف لا يمكن ان يغفل مناحي الابداع الواضحة التي اكتنفت النص الشعري لابي الطيب المتنبي ، ولقد صدق العميدي حين قال « ولقد جرى يوماً حديث المتنبي في بعض مجالس أحد الرؤساء فقال أحد حاملي عرشه : سبحان من ختم بهذا الفاضل الفحول من الشعراء وأكرمه ، وجمع له من المحاسن ما يثيره في كل من تقدمه ، ولو انصف لعُلق شعره كالسبع المعلقات من الكعبة ، ولقدم على جميع شعراء الجاهلية في الرتبة ، ولكن حرفة الادب لحقته ، وقلة الانصاف محت اسمه من جرائد المتقدمين ومحققه »(٣٣) وأقول :

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها
كفى المـرء نبلاً أن تعـد معـايبـه

إن اي قارىء للرسالتين معاً لا يمكن إلا أن يدرك أمرين ؛

الاول : إنّ الحاتمي على الرغم من تجنيه على ابي الطيب فهو من أكثر العارفين بمدى عبقريته ، فحتى النصوص التي احالها الى سابقيه لو قارنت بين النصين فيها لادركت مقدار تمكن أبي الطيب من صنعته الشعرية ، فتراه يجمع معاني عدة في بيت واحد بأقصى ما يمكن تصوره من حسن اللفظ وتناسقه مع المعنى وجمالية نطقه وموسيقاه ، لكن الحاتمي يتعمد الاشارة

السلبية من الموضوع فحسب .

الثاني : إن الحاتمي كان متمكناً من نواصي المعرفة في عصره فانه كان يعيد المعنى متسلسلاً مع عدد من الشعراء عوداً من زمنه حتى العصر الجاهلي ، مع الاشارة الى خاصية كل شاعر ، وربما كل معنى ، مع الإفاضة في ذكر مواطن الإبداع وهنات الصنعة ، ومصطلحات المعارف لغة ونحواً ونقداً وبلاغة .

واخيراً فإن محاولة اجمال موقف المتنبي من الحاتمي وما نفهمه من حديث الحاتمي أنّ أبا الطيب قد صغّر خده للحاتمي إجتماعياً لذلك ردّ عليه هو بان صعر خده للمتنبي أدبياً ، ويظل الحاتمي محاصراً بجنف المتنبي عنه في أصفى سويعات صفائه فلا يذكر حسنه لابي الطيب (الا وصادرها بعد سطر واحد (وخصوصاً في الموضحة) .

وتظل أهمية موقف الحاتمي في إقترابه من التطبيقات النصية والنقد التحليلي من خلال المقارنة والمقايسة بين أبيات أبي الطيب وأبيات سابقيه ، ومن خلال الاستطرادات والشروط والتعليقات التي يضيفها على الرسالتين ، كما أنه قدّم صورة معرفية عن ذلك العصر من خلال الاشارة الى المعاني الفلسفية التي كانت سائدة آنذاك . ويبقى ان نذكر أن موقف الحاتمي كان جزءاً اساسياً من المعركة النقدية حول المتنبي ، والتي تعد قوام الجهد النقدي العربي في القرن الرابع الهجري .

الهوامش والمصادر

(١) ينظر ترجمة المتنبي في يتيمة الدهر للثعالبي (الفصل الخاص بالمتنبي) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٥٦ م ، ج ١ .

(٢) ينظر ارشاد الاريب ، ياقوت الحموي ، طبعة دار المأمون ، القاهرة ١٩٣٦ م ج ١٨ ص ١٥٦ ــ ١٥٧ ، واشار الى ذلك محمد يوسف نجم في مقدمة تحقيق الرسالة الموضحة .

(٣) تراجع ترجمة الحاتمي في يتيمة الدهر ، ج ٣ ص ٢٧٣ ــ ٢٧٦ .

(٤) الرسالة الموضحة ، للحاتمي ، تحقيق محمد يوسف نجم ، دار صادر ودار بيروت ، ١٩٦٥ م ، ص ١٩٥ ــ ١٩٦ .

(٥) المصدر نفسه ، ١٩٥ .

(٦) المصدر السابق ص ١٩٦ .

(٧) نفسه ص ١٩٦ .

(٨) نفسه ص ٢ .

(٩) طبعت هذه الرسالة عام ١٩٦٥ ببيروت ، وصدرت عن داري صادر وبيروت ، بتحقيق الدكتور محمد يوسف نجم ، بمقدمة مختصرة ، وجداول متكاملة في الاعلام والموضوعات والابيات .

(١٠) ترد هذه الرسالة باسم الحاتمية في كثير من المصادر القديمة منها ، ابن خلكان في الوفيات ، والعميدي في الإبانة عن سرقات المتنبي .

(١١) ديوان ابي الطيب المتنبي ، بشرح ابي البقاء العكبري ، المسمى بالتبيان في شرح الديوان ، دار المعرفة ، بيروت ــ لبنان ، ١٣٩٧ هـ ــ ١٩٧٨ م ج ١ ٢٩٠ ــ ٢٩١ .

(١٢) نفسه ، ج ١ ٢٧١ .

(١٣) المصدر السابق ، ج ٣ ص ١٠٨ .

(١٤) الرسالة الموضحة ص ٢٥ .

(١٥) المصدر نفسه ص ٢٨ .

(١٦) المصدر نفسه ص ١٠٦ .

(١٧) المصدر السابق ، ص ١١٩ .

(١٨) المصدر نفسه ص ١٣٤ .

(١٩) ورد البيت هكذا في اصل الرسالة ، ص ١٥٧ ، ويروى الشطر الثاني ، والسيف والرمح والقرطاس والقلم .

(٢٠) المصدر نفسه ، ١٥٧ .

(٢١) المصدر السابق ، ص ١٨٧ .

(٢٢) المصدر نفسه ، ص ١٨٨ .

(٢٣) ديوان المتنبي ، ج ٣ ١٩١ ، مع اختلاف في روي البيت الثاني .

(٢٤) الرسالة الحاتمية المنشورة ضمن الابانة عن سرقات المتنبي ، لابي سعيد العميدي ، تحقيق ابراهيم الدسوقي ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ١٩٦٩ م ، ص ٢٨٣ ــ ٢٨٤ .

(٢٥) الوساطة بين المتنبي وخصومه ، علي بن عبد العزيز الجرجاني ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي ، دار القلم ــ بيروت ــ لبنان ، ١٣٨٦ هـ ــ ١٩٦٦ م ، ص ١٠١ .

(٢٦) تاريخ النقد الادبي عند العرب ، احسان عباس ، طبعة دار الشروق ، عمان ، ص ٢٤٢ .

(٢٧) الرسالة الحاتمية ، ص ٢٢ ــ ٢٣ .

(٢٨) ص ٢٧٦ .

(٢٩) ص ٢٧٦ .

(٣٠) ص ٢٧٧ .

(٣١) ص ٢٨٠ .

(٣٢) ص ٢٨٨ .

(٣٣) الإبانة عن سرقات المتنبي ، ص ٢٠ ــ ٢١ .



البحث في الجذور

إمتداد التراث النقدي العربي في المعاصرة

مقولات نازك الملائكة انموذجا

ا . د . عبد الكريم راضي جعفر
كلية التربية ـ الجامعة المستنصرية

يحاول هذا البحث أن يبحث في الصداقة القائمة بين الموروث النقديّ العربيّ والنقد العراقي الحديث . وقد اختار الناقدة الشاعرة نازك الملائكة ، لعلّة لا تخفى على الشعراء والنقاد . هذه العلّة تتلخص في كون الملائكة من أجرأ النقاد العرب الذين روّجوا للجديد . وكان ذلك الترويج والتصويت في مقدمة ديوانها (شظايا ورماد) ، إذ كانت تلك المقدمة ثائرة على ما كان سائداً ، بحيث أعلنت أنّ (اللا قاعدة) هي « القاعدة الذهبية » .[1]

إنّ إقامة علاقة الصداقة بين التراث والمعاصرة ، أو بين المعاصرة والتراث ، تعني اقامة معادلة تشي باسرار معلنة بين ما هو راسب لاجيال عديدة ، وبين تعلّق الذات الناقدة بحياة حاضرة هي امتداد لذلك الراسب الماضي .

إن طبيعة الموضوع تقتضي توزيعه بين محاور عدة : الاول : ماهية الشعر ، والثاني : طبيعته ، والثالث : وظيفته ، والرابع : الوزن ، والخامس الغموض ، والأخير : التشبيه .

١ / ماهية الشعر

تقول الملائكة في تعريفها الشعر إنه « مقدرة الشاعر على استعمال اللغة بحيث تشعّ من الفاظها المعاني والظلال والانفعالات »[٢] . ومعنى ذلك انها تربط هذا الخلق الذي نسميه القصيدة باللغة ذات الوظيفة التعبيرية الجمالية .

إنّ هذه الوظيفة التعبيرية ، لا تحدّ الاشياء في دائرة مغلقة ؛ لانها ليست مغلقة على ذاتها تدور على محور ثابت يجمد الدلالة ، وانما هي « لغة فردية في مقابل اللغة العامة »[٣] فمهمة هذه اللغة ليست الاشارة الى الاشياء ، وتسميتها باسمائها ، وانما « ان تخاطب في الانسان خياله »[٤] . والشعر طبقاً لهذه المهمة « لغة داخل اللغة » ، كما يقول بول فاليري .[٥]

ان عبارة نازك « مقدرة الشاعر على استعمال اللغة ... » ، تشير بما لا يقبل اللبس الى استعمال الشاعر اللغة الجديدة المتأتية من اللغة بمعناها الاصطلاحي ، بعد ان يذروها الشاعر في اعماقه ، ثم يحرقها حرقاً عصاوياً للتجربة الانفعالية . وفي هذا خلق جديد ، له سمات خاصة تحمل سمات البنية التركيبية (الذاتية والموضوعية) لخالقها .

وطبقاً لهذا التأسيس ، فان الشعر لا يحطم اللغة بمعناها الاصطلاحي أو اللغة القياسية Standard Language الا ليعيد بنيتها على مستوى أعلى ، يتشكل فيه نمط جديد من الدلالة تقول لنا ما لا تقوله اللغة القياسية ، اذ « ان استخدام الكلمات بأوضاعها القاموسية (كذا) المتجمدة لا ينتج الشعرية ، بل ينتجها الخروج بالكلمات عن طبيعتها الراسخة الى طبيعة جديدة . وهذا الخروج هو خلق الفجوة : مسافة التوتر ، خلق للمسافة بين اللغة المترسبة وبين اللغة المبتكرة في مكوناتها الأولية وفي بناها التركيبية وفي صورها الشعرية »[٦] .

انّ لغة الشعر ، كما جاء في مقولات النقاد العرب القدامى ، والفلاسفة المسلمين هي اقوال مخيّلة أو كلام مخيّل . وعلى وفق ذلك ، فان الشاعر يخلق المنافرة التي تتحقق بالابتعاد عن اللغة الاشارية التي تشير ولا تنحرف . هذه اللغة الاشارية تشكل استخداماً حقيقياً للغة بهدف الافهام والتوصيل ، في حين لا يكون استخدام الشعر للالفاظ بهدف الاشارة الى معانيها الحقيقية ، وانما لتدلّ على معان اخرى ، وهو بهذا ـ أقصد الشعر ـ يدفع بالاستخدام الحقيقي للغة الى الوراء .

وهذا ما اشار اليه الفارابي ، وذلك حين حصر الاستخدام اللغوي في مستويين ، الاول : تدل فيه الالفاظ على المعاني الحقيقية التي وضعت لها ، والاخر : لا تلتزم فيه الالفاظ بالدلالة على تلك المعاني المتواضع عليها .

لقد ادرك الفارابي حين تحدث عن نشاة اللغة في كتابه (الحروف) ، أنّ ثمة مستويين متعارضين للغة ، الاول تدل فيه الالفاظ على معانيها التي جعلت علامات لها بحيث يدل لفظ على معنى واحد ، أو عدة الفاظ على معنى واحد ، أو ان يدل لفظ واحد على عدة معانٍ ، بحيث اصبحت هذه الالفاظ علامات على هذه المعاني التي اصطلح عليها وأخذت شكل (الثبوت) . وأصبح هذا المستوى اللغوي هو الذي يقاس عليه . اما المستوى اللغوي الآخر ، وهو تابع للمستوى الاول ، فتتجاوز فيه الالفاظ معانيها الثابتة أو (الراتبة) التي وضعت لها مع استقرار اللغة ، فتصبح دالة على معان أُخر مغايرة ومختلفة عن تلك المعاني الراتبة في المستوى الاول ، ومن هنا ، كانت نشأة الاستعارات وسواها من ألوان المجاز[٧] . يقول الفارابي « فاذا استقرت الالفاظ على المعاني التي جعلت علامات لها ، فصار واحد لواحد ، وكثير لواحد ، أو واحد لكثير ، وصارت راتبة على التي جعلت دالة على ذواتها ، صار الناس بعد ذلك الى النسخ والتجوّز في العبارة بالالفاظ . فعبّر بالمعنى بغير اسمه الذي جعل له اولاً ، وجعل الاسم الذي كان لمعنى ما راتباً له على ذاته عبارة عن شيء آخر متى كان له به تعلق ، ولو كان يسيراً إمّا لشبه بعيد ، وإما لغير ذلك ، من غير ان يجعل ذلك راتباً للثاني دالّا على ذاته . فيحدث حينئذ الاستعارات والمجازات والتجوّز بلفظ معنى ما عن التصريح بلفظ المعنى الذي يتلوه متى كان الثاني يُفهم من الاول ـ وبالفاظ معانٍ كثيرة يصرّح بالفاظها عن التصريح بالفاظ معانٍ أُخر اذا كان سبيلها أن تقترن بالمعاني الأول متى كانت تُفهم الاخيرة مع فهم الاولى ، والتوسع في العبارة بتكثير الالفاظ وتبديل بعضها ببعض وترتيبها وتحسينها . فيبتدىء حين ذلك أن

تحدث الخطبية اولاً ثم الشعرية قليلاً قليلاً ».[8]

يحدّد الفارابي بذلك المستويين اللغويين : المستوى الاصطلاحي ، والمستوى المجازي ، فوجد ان المستوى المجازي ـ اللاحق والتابع للمستوى الاصطلاحي ـ قد نشأت عنه الاقاويل الخطبية فالشعرية . وهذا معناه ان اللغة الشعرية هي التي تختصّ باستخدام هذا المستوى المجازي . من هنا ، وجد الفارابي ان الخطباء والشعراء هم الذين « يتسامحون في العبارة ويجوزون فيها ».[9]

ان نازك ، قد عبّرت في تعريفها الذي مرّ بنا عن هذه الخاصية في لغة الشعر ، أو عن المستوى المجازي الذي تحدث عنه الفارابي ، ولذلك اكدت الالفاظ التي تشعّ منها المعاني والظلال والانفعالات . وهذا يعني ان لغة الشعر ، من حيث التركيب والاتجاه ، والعلاقات ، تختلف عن لغة النثر اختلافاً جوهرياً . وطبيعة هذا الاختلاف تكمن في البنية الشكلية ، اذ إن الفارق « لا يكمن في المادة الصوتية ، ولا في المادة الايديولوجية ، بل يكمن في نمط خاص من العلاقة التي يقيمها الشعر بين الدال والمدلول من جهة ، وبين المدلولات من جهة اخرى »[10] .

وعلى هذا الاساس ، فان اللغة الشعرية لها خصائصها الصوتية والدلالية والتركيبية المتولدة من « التغيير المركب » ، كما يسميه الفارابي[11] ، أي « الانحراف عن كل ما هو مألوف في اللغة ».[12]

لقد أدركت نازك ، وهو ما ادركه قبلها الموروث النقدي العربي ، ان وظيفة اللغة في الشعر هي وظيفة ايحائية / انفعالية / جمالية ، تتخطى دائرة الاشارة المغلقة ، وهي الوظيفة التي يؤديها النثر في درجته الصفر . على ان الشاعر والناثر يستعملان لغة واحدة ، غير ان الشاعر يصنع « الفاظ النثر في سياق شعري وذلك باستعمال الصور الحسية ، واضفاء غلالة من الخيال ، واستثارة الاصداء البعيدة في الالفاظ وخلق الجوّ وإحاطة العبارات باجواء نفسية متشابكة » ، كما تقول الملائكة .[13] وهذا ما لخصه الفارابي بكلمتين : (التغيير المركب) .

ان الشعر / ذلك التغيير المركب ، يجب ان يكون موزوناً . واقتران اللغة بالوزن ناتج من التخييل الشعري . وحركة التخييل الشعري « حركة متعددة الابعاد ، تعتمد على المعنى والاسلوب واللفظ والنظم والوزن . ولذلك يؤكد حازم القرطاجني ان التخاييل الضرورية هي تخاييل المعاني من جهة الالفاظ . والالفاظ في الشعر غير منفصلة عن الوزن ، لان وزنها خاصية تنبع من كيفية ايقاع التناسب بين عناصرها الصوتية التي تتجاوب ـ في النهاية ـ مع تناسب المعنى . ومن ثم يظلّ التخييل الشعري تخييلاً سمعياً ما دمنا نهتزّ في الشعر ازاء ما نسمعه ، ويتمثل السامع من لفظ الشاعر المخيّل صورة أو صوراً ، ينفعل لتخيلها وتصوّرها »[14] .

ان ارتباط الوزن باللغة ، متاتٍ من الطاقة الحيوية العضوية التي تمنحها الموسيقى ، بعد ان تفعل فعلها في الكلمات ، والاحساسات والاتجاهات ، ولذلك عدّته نازك سحراً فاعلاً في النص ، ووظيفة النص ، ذلك لان الوزن « هو الروح التي تكهرب المادة الادبية وتصيّرها شعراً ، فلا شعر من دونه » ، كما تقول نازك[15] . ومعنى ذلك انها تقيم للوزن وزناً لا معادل له الّا هو . وهذا ما ذهب اليه ابن سينا وابن رشد ، إذ « جعلا الوزن نفسه جزءاً من اللغة المخيلة في الشعر ، أي وسيلة من وسائل التخييل مثله مثل التشبيه والاستعارة وغيرهما مما يميّز اللغة الشعرية »[16] ، لان الوزن من « الامور التي تجعل القول مخيلاً »[17] . وهذا ما يشير اليه قول نازك (... وتصيّرها شعراً) .

ان توكيد الملائكة الوزن ينسجم مع ما اسسه الموروث النقدي العربي فابن رشيق القيرواني ، مثلاً ، عدّ الوزن « اعظم اركان حدود الشعر ، وأولاها به خصوصية »[18] بل انها تنهج النهج الذي قال به ابن سينا حين اكد اللغة المرتبطة بالوزن في وحدة متماسكة قادرة على توليد الشعرية . فقد ذكر ابن سينا في كتابه (الشفاء) ان الشعر انما يوجد « بان يجتمع فيه القول المخيّل والوزن »[19] . فمن « هاتين العلتين تولّدت الشعرية »[20] . وهو ما درجت عليه الملائكة في تلفظاتها التعريفية للشعر .

إنّ التعويل على الوزن واشتغاله على شعرية النص واثرائه وتميزه بحيث يكون كلاماً موحياً ، يقود ، حتماً ، الى تمييز الشعر مما ليس شعراً . على ان مثل هذا التعويل أو الانحياز الى موسيقى الشعر على وفق ما ذهبت اليه نازك واكده الموروث النقديّ العربي قبلها ، لا يعني الانحياز غير المشروط ، اذ إن الانحياز لمجرد الانحياز ، يغدو مغالطة منطقية بمجرد قراءة نصّ نثري ثريّ بالايماء والايحاء والصور النامية . من هنا ، اكدت نازك أنّ « الوزن وحده لا يخلق الشعر »[21] . وهو تطابق مع ما ذهب اليه ابن رشد « ليس كل نظم شعراً ، اذ كثيراً ما يوجد من الاقاويل التي تسمىَ اشعاراً ما ليس فيها من معنى الشعرية الّا الوزن واللحن »[22] . والى مثل ذلك ذهب الحاتمي في حلية المحاضرة ، إذ قال « المنثور مطلق من عقال القوافي ، فاذا صفا جوهره وطاب

عنصره ، ولطفت استعارته ورشقت عبارته ، كاد يساوي المنظوم »[٢٣] . وليس معنى ذلك ان نازك حين تذهب تلك المذهب تتنصل من اقوالها التي شددت على الوزن ، وانما تريد ان تجمع كل عناصر الشعر في القصيدة ، لان الشعر عندها « اجتماع الوزن المضبوط بالتعبير العالي ، والنغم والصور والجو وقوة الموضوع وكمال الهيكل »[٢٤] وهذا ما أقصده بالانحياز المشروط بمعنى ان الوزن يجب ان يؤدي وظيفته ، وذلك حين ينهض بالنص من أجل احلاله في دائرة الشعر ، وحين يؤدي دوراً مهماً في التجربة الانفعالية توصيلاً وتلقياً . وهذا ما لخّصه ابن سينا في قوله — آنف الذكر — ان الشعر انما يوجد بأن يجتمع فيه القول المخيل والوزن ، فمن هاتين العلتين تولدت الشعرية .

٢ / طبيعة الشعر

طبيعة الشعر : تذهب الملائكة الى « ان الدراسة في ذاتها لا تستطيع ان تخلق الشاعر ، لان الشعر موهبة وفطرة منفصلة عن الدراسة ، غير ان الموهوب لا يستطيع ان يكمل شعرياً من دون الدراسة »[٢٥] . وطبقاً لذلك ، وجدناها تنصح الشاعر العربيّ الناشيء بضرورة تعلّم العروض العربي ، عند احساسه بعلامات الموهبة الشعرية .[٢٦]

ومثلما شددت على العروض ، فقد اكدت اللغة . تقول مخاطبة الشاعر الناشيء « ثم أنت تحتاج ، بعد العروض ، الى معرفة اللغة العربية وقواعدها ، لا لانها هدفك المباشر ، وانما لانها اداتك ووسيلتك الى التعبير ، فبادر منذ البدء الى دراسة النحو دراسة تقيك عثرات القلم ، ودراسة اللغة واساليب صياغتها وقياسها مع شيء من اطلاع على اصول البلاغة »[٢٧] .

انّ تلفظات نازك تلك ، تبحث في طبيعة الشعر . وسؤال هذه (الطبيعة) هو : هل الشعر نتاج الموهبة أو التحصيل المكتسب ؟

يجيب هوراس الروماني عنه بقوله « فيما يخصّني لست أتبين ما يستطيع التحصيل ان يثمر من غير نفحة وافرة من الموهبة الفطرية أو الموهبة الفطرية من غير التحصيل . ان احدهما ليلح في طلب الاخر ، ويعاهده على صداقة باقية »[٢٨] .

ولعل أقدم ما وصل الينا ، بخصوص الموهبة / الطبع ، والصناعة / التحصيل المكتسب ، ما ورد في صحيفة بشر بن المعتمر ، اذ قسم فيها ابداع الشعر — والنثر — على منازل : المنزلة الاولى وهي أن يواتيه البيان من غير تكلف له ، في اول وهلة و « أن يكون مقبولاً ، وخفيفاً على اللسان سهلاً ، وكما خرج من ينبوعه ونجم عن معدنه »[٢٩] وهذه المنزلة تأتي للحاذق المطبوع : « فان أنت تكلفتهما (يعني الشعر والكلام المنثور) ولم تكن حاذقاً مطبوعاً ولا محكماً لِسانك ، بصيراً بما عليك ومالك ، عابك من أنت أقلّ عيباً منه ، ورأى من هو دونك انه فوقك »[٣٠] والمنزلة الثانية : ان لايواتيه البيان عند أول نظر ، وانما بعد المحاولة والتهيؤ واعداد النفس ، حتى يستطيع أن يضع اللفظة في موضعها ، والقافية في مركزها ونصابها من غير اكراه أو اغتصاب .

يقول بشر : « فان ابتليت بأن تتكلف القول ، وتتعاطى الصنعة ، ولم تسمح لك الطباع في اول وهلة ، وتعاصى عليك بعد إجالة الفكرة ، فلا تعجل ولا تضجر ، ودعه بياض يومك وسواد ليلك ، وعاوده عند نشاطك وفراغ بالك ، فانك لا تعدم الاجابة والمواتاة ، ان كانت هناك طبيعة ، أو جريت من الصناعة على عرق . فان تمنع عليك بعد ذلك من غير حادث شغلٍ عَرَض ، ومن غير طول اهمال ، فالمنزلة الثالثة أن تتحول من هذه الصناعة الى أشهى الصناعات اليك ، وأخفّها عليك »[٣١] .

يشير بشر بن المعتمر بهذا الى الصلة المتينة التي تقوم بين الطبع أو الطبيعة والصناعة ، وامارة الطبع الميل والشهوة الى الصناعة التي تناسب ما فطر عليه الانسان من قدرات ومواهب .[٣٢]

ويقول احمد بن الطيب السرخسي (٢٨٣ هـ) متحدثاً عن صناعة الغناء « وليس يغني التعليم فيها دون الطبع ، ولا الطبع دون التعليم ، فاذا اجتمعت لمن رامها طبيعة محمودة وقوة قابلة ، ومعلم حاذق ، ومران دائم ، وفراغ متصل ، وشهوة تامة فقل ما يكدي ، فان نقص من هذه الاسباب شيء دخل عليه من النقص بقدره »[٣٣] .

ورويَ عن بشار بن برد أنه سئل : بمَ فقتَ أهل عصرك ، وسبقت اهل عصرك ؟ قال « لاني لم أقبل كلّ ما تورده عليّ قريحتي ، ويناجيني به طبعي ، ويبعثه فكري ، ونظرت الى مغارس الفطن ، ومعادن الحقائق ، ولطائف التشبيهات ، فسرتُ اليها بفهم جيد وغريزة قوية ، فاحكمتُ سبرها وانتقيتُ حُرّها ، وكشفت عن حقائقها ، واحترزت من متكلفها ... »[٣٤] .

إنّ تعليق الشعرية على الطبع / الموهبة ، انما هو نظر احادي الجانب يضع الشاعر في دائرة ضيقة ، تكون الخطوات — لعلة الاسار — مراوحة في مكانها . وهذا ما اكده الفارابي في (مقالة في قوانين صناعة الشعراء) ، حين قسم الشعراء على

ذوي جبلة ، والعارفين بصناعة الشعر . يقول « ان الشعراء إمّا أن يكونوا ذوي جبلة وطبيعة متهيئة لحكاية الشعر وقوله ، ولهم تأتٍ جيد للتشبيه والتمثيل : اما لاكثر انواع الشعر ، واما لنوع واحد من انواعه ، ولا يكونون عارفين بصناعة الشعر على ما ينبغي ، بل هم مقتصرون على جودة طباعهم وتأتيهم لما هم مُيسرون نحوه ، وهؤلاء غير مسلجسين بالحقيقة لما عدموا من كمال الروية والتثبيت في الصناعة . ومن سمّاه مسلجساً شعرياً فذلك لما يصدر عنه من أفعال الشعراء » .[٣٥] وهذا يعني ان الفارابي لم يعدّ من اعتمد على طبيعته في قول الشعر ، شاعراً ، لانفراط في قوانين الشعرية / الصناعة : عمل الشعر واتقانه ، التي تنهض بالموهبة ، لكونها عاملًا فعّالًا في اقامة الشعرية .

ان تأكيد نازك دراسة العروض ، في نصّها آنف الذكر ، والمران ، وانماء الثروة اللغوية ، يعني التحصيل المكتسب الذي يرفد التكوين الفطري / الطبيعي بالقوة والفاعلية . فليس من شك في ان على الشاعر ان يثقف ادواته الشعرية عن طريق بذل الجهد والتحصيل المكتسب ، حتى تكون تلك الادوات آمرة ومؤتمرة في آنٍ واحد . وهذا لن يتأتى له الّا من خلال قراءة الشعر ودرسه ، لاسيما الشعر العربي القديم « دراسة جدية ، [فـ] هي التي ستفجّر ... القدرة على ابداع صيغ جديدة واساليب عصرية تلائم الذهن العربي الحديث ، وما من مجدّ أصيل قطّ الّا ودرس القديم دراسة عميقة » ؛[٣٦] لان الشاعر « لا يدين في ابداعه للحظة الحضارية التي يصدر عنها ويمارس فيها ابداعه الفني فحسب ، بل هو مدين والى حدٍ كبير الى زمان مركب يمدّ جذوره طولًا وعرضاً في اعماق التاريخ وخزائنه » .[٣٧]

ان نصوص نازك تلك ، تلتقي بشكل أو بآخر ، مع ما ذهب اليه الاصمعي حين قال « لا يصير الشاعر في قريض الشعر فحلًا ، حتى يروي اشعار العرب ، ويسمع الاخبار ويعرف المعاني ، وتدور على مسامعه الالفاظ ، وأول ذلك ان يعلم العروض ليكون ميزاناً على قوله ، والنحو ليصلح به لسانه » .[٣٨]

من هنا ، ادركت نازك ارتباط الموهبة الشعرية بالجهد المبذول المكتسب ، وهذا الجهد يجب ان يبنى عن طريق النهل من الشعر العربي والاستقاء من منابع الشعر الغربي . تقول الى الشاعر العربي الناشيء معلّلة القراءتين (الشعر العربي والشعر الغربي) « شعرك العربي يربطك بكيانك الروحي ، وموضع عواطفك ، ومنبع موهبتك ، والشعر الاجنبي يفتح لك نوافذ سحرية من المعاني والمذاهب والاساليب ... لتفتح لك عوالم جديدة ، وتملك القدرة على نظرة حديثة الى الحياة والشعر » .[٣٩]

٢ / وظيفته

تقول نازك إن « للشعر وظيفة خيّرة يؤديها الى الحياة والكون » ؛[٤٠] لانها مؤمنة بأنّ الشاعر لابد له من أن يديم الصلة « بالحياة والناس » ؛[٤١] ولانها وجدت « الادب ليس تفاحة مسحورة تنبت في الهواء ، وانما هو ثمرة على شجرة تتصل بتربة ويحيط بها مناخ » .[٤٢] ومثل هذه الوظيفة وجدناها عند هوراس حين أعلن « أنّ غاية الشعر إمّا الافادة ، أو الامتاع أو اثارة اللذّة ، وشرح عبر الحياة في آن واحد » .[٤٢م] وهو ما وجدناه عند الفلاسفة المسلمين الذين وجدوا ان الشعر يهدف الى تحقيق الافادة واللذة وذلك متجسّد في قول الفارابي « والاقاويل الشعرية منها ما يستعمل في الامور التي هي جدّ ، ومنها ما شانها ان يستعمل في أصناف اللعب . وامور الجد هي جميع الاشياء النافعة في الوصول الى أكمل المقصودات الانسانية وذلك هو السعادة القصوى » .[٤٣]

يبيّن نص الفارابي ان الشعر نافع وممتع ، فهو نافع لإسهامه في الارتقاء بالانسان عن طريق التأثير الذي يحدثه الشعر في سلوكه . وفي هذا توجيه لافعاله الى الجادة التي تمكنه من تحقيق الغاية القصوى من وجوده . وفي الوقت نفسه هناك وظيفة اخرى تقابل امور الجد وهي اللعب .[٤٤]

ويذهب ابن سينا الى ان « الشعر قد يقال للتعجب وحده وقد يقال للاغراض المدنية » .[٤٥] ويقول ان « العرب كانت تقول الشعر لوجهين احدهما ليؤثر في النفس امراً من الامور تُعَدُّ به نحو فعل أو انفعال ، والثاني للعجب فقط ، فكانت تشبه كل شيء لتعجب بحسن التشبيه »[٤٦] .

« ويفيد (التعجيب) أو (العجب) معنى الدهشة واللذة المترتبة على الاثارة التي يحدثها الشعر في نفس المتلقي ، وقد يفيد هذا ــ عند الفارابي ــ معنى اللعب أو اللذة ــ أما الاغراض المدنية التي يستخدم فيها الشعر عند ابن سينا ، فهي تشير الى الغاية التربوية والاخلاقية والاجتماعية للشعر ، اي (امور الجد) عند الفارابي »[٤٧] .

ويبدو ان حازم القرطاجني يتابع ما ذهب اليه الفلاسفة المسلمون ، فقد وجد أنّ « الاقاويل الشعرية القصد بها استجلاب المنافع واستدفاع المضار ، ببسطها النفوس الى ما يراد من ذلك وقبضها عمّا يراد ، بما يخيل له من خير او شر »[٤٨] . وقد يقترب

قول السياب من هذا القول الخاص بالافادة .. يقول السياب في هدف الشعر :

إنّ سرّ خلود الآثار الادبيّة هو انها جعلت من الصراع بين الشرّ وقواه موضوعاً لها . ويقول « ان تاريخ الانسان كان وما يزال صراعاً بين الشر وبينه ، ... والتعبير عن هذا الصراع انما هو تعبير عن الحياة او ادب واقعي بعبارة اخرى »(٤٩) . من هنا ، فانّ « وظيفة الادب أو بالحري وظيفة الرائع منه ، تصوير هذا الصراع بين الشر وبين الانسان »(٥٠) ولذلك فان « سير الحياة وتنظيمها أو تحسينها بالاحرى ، ظلّ طوال اجيال عديدة من أهم اغراض الشعر وأهدافه »(٥١) .

ان النصوص النقدية التي قدمها الفارابي وابن سينا ، والقرطاجني ، تشكل قاعدة أمينة لنصوص نازك آنفة الذكر التي حدّدت وظيفة الشعر الخيرة للحياة والكون .

لقد حلّت نازك وسط تلك النصوص التراثية باختيارها . وسواء اطلعتْ عليها ام لم تطلع ، فانها تلتقي معها ضمناً . تقول : ان الادب ليس « الّا مرآة تعكس الحياة »(٥٢) ومعنى ذلك انها تؤمن بان للشعر مهمات انسانية واجتماعية ، لا يمكن ، بأي شكل من الاشكال ، فصله عنها . تقول معرّفة الاديب « ... ان لفظ الاديب عندنا قد خضع لانحرافات النظرية المجردة التي تندرج تحت عنوان (الفن للفن) .

فالاديب يعتبر اليوم صانع الجمال ، ومرقرق الرحيق في الالفاظ المسحورة ، لا يسأل عن الهدف الانساني ولا عن المثال الاجتماعي (...) ومعنى هذا ان علينا الّا نرجو نفعاً اجتماعياً من الشعر . والواقع ان الورد في الطبيعة ليس خاوياً من النفع ، وانما يتفتح الزهر لينتج البرتقالة الحلوة المغذية ، والوردة التي لا تأتي بثمرة ملموسة تنفع غذاءً للطيور والفراشات والنحل ، وما من شيء في الطبيعة الّا وكان له قبل جماله نفع ثابت ، وحاشا للانسانية ان ترضى لاديبها الموهوب أن يهدر طاقته الفكرية في كتابة صفحات جمالها عقيم . وهل يرضي ضمائرنا ان نكتب من الادب ما هو حلية فارغة وترف ، بينما اهلنا يبادون في الارض المحتلة »(٥٣) .

ونجبت نازك — رابطة الفائدة باللذة — الى ان الشاعر « يؤدي الى المجتمع الانساني خدمة جسيمة حتى وهو (يلهو) بالتعبير عن سروره بمراقبة القمر وهو يمرّ عبر السماء »(٥٤) .

ان مثل هذا الربط وجدناه عند الفارابي . يقول « ان اصناف اللعب انما يقصد بها تكميل الراحة ، والراحة انما يقصد بها استرداد ما ينبعث به الانسان نحو أفعال الجد ... فاصناف اللعب انما يقصد بها امور الجد ، فليس يطلب إذاً لذاته ، وانما يطلب لينال به بعض الاشياء التي توصل الى السعادة القصوى ، فهذه الجهة يمكن أن نجعل لاصناف اللعب مدخلاً في الانسانية »(٥٥) .

يحدّد الفارابي في ذلك النص الشعر الذي يفيد مع اللذة شيئاً آخر ، لما يقدمه من منفعة مباشرة تتصل بتقويم الانسان وتهذيبه حتى تصل الى درجة من الكمال تجعله فرداً نافعاً في المجتمع الفاضل .

لقد ادرك الفارابي ان هذا اللون من الشعر يحقق نوعاً من الراحة للانسان ويعينه على استرداد طاقاته التي يتوجه بها نحو افعال الجد ، وتجديدها .(٥٦) ولعل هذا ما أرادته نازك حين ذهبت — في نصّها آنف الذكر — انّ الشاعر يؤدي الى المجتمع الانساني خدمة جسيمة وهو (يلهو) بالتعبير عن سروره بمراقبة القمر ...

واذا كانت الفائدة ، هدفاً من اهداف الشعر — كما بيّنت النصوص النقدية ، فان الوظيفة الاخرى ، هي اللذة التي تحدث عنها الفارابي وابن سينا .

تقول نازك ان « فائدة الشعر تمتد حتى تشمل جهة جديدة بما تقدّم من متعة جمالية كالمتعة التي يجدها المرء في شقشقة العصافير وسكينة الفجر وهدير الشلالات وألوان الصخور ، فهذه الاشياء لا تستغني عنها الانسانية ، لانها بما تقدّم من لذة عاطفية تعين على تطور الحواس الجمالية عند الانسان وتساعده على النمو العاطفي .

والواجب الاعظم للشاعر الوطني ان يرهف مشاعر مواطنيه ويصقل احاسيسهم الجمالية ويدفع نحو مستقبل انساني أرفع واعمق »(٣٦) .

هذا نص يقع في دائرة الفائدة والمتعة معاً ، وكما حدّدها الفارابي فيما مرّ ، غير أنني هنا ، أشير الى المهمة الاخرى ، التي تسميها نازك : المتعة الجمالية التي تساوي اللذة .. تلك اللذة التي تترافق مع رسالة الشعر بوصفه اداةً للتغيير .

انّ خير ما يعبر عن اللذة ، ابيات تتحدث فيها نازك عن عالم الشاعر . تقول :

عالم كلّه انفعال وحسّ
شاسع الغور لا يمسّ مداهْ
واحتشاد الشعور بحر سحيق
غاص في لا نهاية شاطئاهْ
عالم الشاعر الثري الرؤى العذب الاغاني المرقرق الالوانِ

كـــــل نبض في قلبـــــه لحن حبّ
للمـــدى للـــوجـــود لـــلانســـان
عـــالم صيــــغ من شعـــــور رهيفٍ
وأحـــاسيس طلقـــة لا تنـــام [٥٧]

ولكن ما اللذة التي يولدها الشعر؟

يقول ابن طباطبا العلوي ان قبول الفهم للشعر يتم بتناسب الاجزاء المكونة له ، وهي اعتدال الوزن ، وصواب المعنى ، وحسن الالفاظ .

ومعنى ذلك ان الشعر يحدث مستويين من اللذة ، مستوى حسياً يرتبط بالالفاظ المتناسبة في وزن معتدل ، ومستوى عقلياً يرتبط بالمعاني فيما بينها تناسب العدل والصواب والحق .

من هنا ، يمكن القول ان الشعر الجيد الذي تسابق معانيه الفاظه يلتذّ الفهم بحسن معانيه كالتذاذ السمع بمونق لفظه ، ولكن ما دام الايقاع المطرب للشعر يتضمن معنى ، ولا يصل الى الاذن مجرداً كانغام الموسيقار ، فان اللذة الحسيّة لهذا الايقاع لا يمكن فصلها عن اللذة العقلية . وبذلك نظلّ قريبين من لذة الفهم من حيث تقبلّها لطرب الايقاع ، وما يرتبط من تركيب حسن واعتدال الاجزاء الدالة على معنى ، بل ان اضطراب ايّ عنصر من العناصر المسببة للّذة يفسد الامر بقدر تباعده عن الاعتدال .

ومعنى ذلك ان لا قيمة لاعتدال الوزن وحده من دون صواب المعنى ، مثل لا قيمة لصواب المعنى من دون حسن الالفاظ .[٥٨]

ولعل نازك ــ في ابياتها آنفة الذكر ــ ادركت ضرورة مدّ جسور المشاركة بينها وبين المتلقي . وهذه الجسور تتولد بتضافر كل الاجزاء المكوّنة للشعر .

وبتعبير الفارابي الدقيق (التدبير المركب) . ومعنى ذلك ان هذه اللذة المثارة في نفس المتلقي ، هي نتيجة طبيعية « للمشاركة الوجدانية التي تتمّ بين الشاعر والمتلقي ... [بوصفها] عملية توصيل تثار فيها عند المتلقي مشاعر مماثلة لما كان في نفس الشاعر عند الابداع » .[٥٩] وتلك مسالة ادركها ابن رشيق القيرواني حين قرّر أنّ الشعر « ما أطرب وهزّ النفوس وحرّك الطباع » .[٦٠]

٤ / الوزن

انّ قضية (الوزن) لم تعد ، من وجهة نظر حديثة ، تعني الاهتمام لعنصر من عناصر الشكل ؛ ذلك ان المشكلة القديمة (الشكل والمضمون) قد حُلّتْ حَلّاً جمالياً معقولاً . وعلى وفق هذا الاعتبار ، فان ثمة سبباً مهماً « في فضيلة الوزن ، هوأنه ، بطبعه ، يزيد الصورة حدة ، ويعمق المشاعر ويلهب الاخيلة ، لا بل انه يعطي الشاعر نفسه ، خلال عملية النظم ، نشوة تجعله يتدفق بالصور الحارة والتعابير المبتكرة »[٦١] . هذا النص يبحث في الشعرية ، وعضوية الوزن في اقامة الشعرية . تقول في ذلك « ان روعة الشعر لا تكون بما يعرض من مشاكل ويعالج من شؤون ، وانما تنبع من تعبيريته وجماله واستثارته لمشاعرنا ... ان الشعر ليس مقالات صحفية تستهدف حلّ المشكلات الحيوية ، وانما هو ــ في الحالات كلّها ــ انفعال جميل ونشوة موسيقية وانصباب صور » .[٦٢]

لم يغفل النقد العربي القديم الوزن ، ودوره في القصيدة ؛ غير ان الفلاسفة المسلمين يملكون نظرة خاصة له . فما من شك في انهم نظروا الى الوزن على انه وسيلة من وسائل المحاكاة (او التخييل) ؛ لكنهم في الوقت نفسه حرصوا على تاكيد ان القول لا يكون شعراً الّا اذا اجتمع فيه ؛ المحاكاة والوزن معاً . وعلى الرغم من الحاحهم على المحاكاة (الاستخدام الخاص للغة) والوزن ، وضرورة تلازمهما من أجل تمييز الشعر من سواه ، فانهم جعلوا الاولوية لعنصر المحاكاة على عنصر الوزن ، ذلك ان المحاكاة هي السمة النوعية الخاصة التي تكسب القول سمة الشاعرية .[٦٣]

لقد ذهب بعضهم الى القول ان سمة الشاعرية تفتقد في حالة افتقاد الشعر المحاكاة . اما اذا كان القول موزوناً وليس محاكياً فانه لا يُعدّ شعراً . ويمكن القول انهم تنبهوا على ان الوزن وحده ليس هوالذي يميّز جوهرياً بين الشعر والنثر ، وحجتهم في ذلك ان هناك اقوالاً موزونة ولا تُعدّ شعراً . يقول ابن سينا « وقد يعرض لمستعمل الخطابة شعرية ، كما يعرض لمستعمل الشعر خطابية ، وانما يعرض للشاعر ان ياتي بخطابية وهو لا يشعر إذا أخذ المعاني المعتادة والاقوال الصحيحة التي لا تخييل فيها ، ولا محاكاة ، ثم يركبها تركيباً موزوناً ، وانما يغترّ بذلك البله ، واما أهل البصيرة فلا يعدون ذلك شعراً . فانه ليس يكفي للشعر ان يكون موزوناً فقط » .[٦٤]

انّ ما ذهب اليه ابن سينا ، لا يلغي دور الوزن وأهميته في الشعر ، ولكن يجب ان تجتمع معه المحاكاة .

ان مثل هذا التاسيس ، وجدناه عند نازك . فعلى الرغم من

انها تشتد على الوزن، فانها تنكر ــ وقد اومانا الى ذلك ــ « الوزن وحدهُ لا يخلق الشعر » (٦٥) وهذا يعني ضرورة اجتماع المحاكاة مع الوزن، لأن الشعر عندها ــ وقد اومانا الى ذلك ايضاً ــ « اجتماع الوزن المضبوط بالتعبير العالي، والنغم والصور بالجو وقوة الموضوع وكمال الهيكل » (٦٦).

ان توكيد التخييل / المحاكاة، والوزن، وارتباطهما، في التراث النقدي، هو لمحٌ الى مسألة الاجناس الادبية. واذا ما احتجت الى نصّ نقديّ يقوّي هذا الاستنتاج، فانني وجدت الفارابي يشير الى ذلك. يقول في (كتاب الموسيقى الكبير) : « اما اشعار العرب في القديم والحديث، فكلّها ذوات قوافٍ الا الشاذ منها، واما اشعار الامم الذين سمعنا أشعارهم، فجلّها غير ذوات قوافٍ، وخاصة القديم منها ... وأما الاقاويل التي ليست مبتذلة، فمنها أقاويل شعرية، وخطبية، وما جرى مجراها. ومنها أقاويل ليست من هذه، وقد عددت أصناف الاقاويل في الصناعة الشعرية، وفي صناعة البلاغة » (٦٧).

هذا نصّ يشير الى وعي الفارابي لجنس الشعر، وقد اطلق عليه (القول الشعري) ، يقابل ذلك الاقاويل الادبية الاخرى. وفي هذا تمييز بين الشعر والنثر.

لقد حظيت مسألة الوزن باهتمام خاص في نظر نازك النقدي، وهي في هذا الاهتمام، انما تفصل بحدّة بين الشعر والنثر، ولذلك وقفت موقفاً معارضاً من (قصيدة النثر) ؛ لانها وجدت ان الشعر « وجد لنفسه اسماً آخر صادقاً ينصّ على الوزن » (٦٨) كما وجدت ان « للنثر قيمته الذاتية التي تتميز عن قيمة الشعر، ولا يغني نثر عن شعر ولا شعر عن نثر، لكل حقيقته ومعناه » (٢٨). ولذلك، فقد ألغت كل كلام يسمى شعراً بمعزل عن فكرة الوزن (٦٩) لان الناثر ــ كما ترى نازك ــ « مهما جهد في خلق نثر تحتشد فيه الصور والمعاني، يبقى قاصراً في اللحاق بشاعر يبدع ذلك الجمال نفسه ولكن بكلام موزون » (٦٩).

ان القول الشعري هوالقول المبني على اساس الصورة والوزن، والقول الادبي هو الصورة ناقصاً الوزن. وذلك يقع في صميم التنظير النقديّ العربيّ الموروث.

ومثلما وجدنا حازم القرطاجني يتحدث عن تناسب الوزن، والمستويات الجمالية للتناسب، والوزن والمعنى، فان نازك منحت بعض الاوزان صفات ايقاعية، ومنحت بعضها علاقة بينها وبين الموضوع / المعنى.

يقول القرطاجني « ولمّا كانت اغراض الشعر شتى وكان منها ما يقصد به الجدّ والرصانة، وما يقصد به الصغار والتحقير، وجب أن تحاكى تلك المقاصد بما يناسبها من الاوزان ويخيلها للنفوس. فاذا قصد الشاعر الفخر حاكى غرضه بالاوزان الفخمة الباهية الرصينة، واذا قصد في موضع قصداً هزلياً واستخفافاً وقصد تحقير الشيء أو العبث به حاكى ما يناسبه من الاوزان الطائشة القليلة البهاء، وكذلك في كل مقصد » (٧٠).

هذا المذهب الذي يقع في دائرة صلة الوزن بالانفعال ومشاكلته للغرض. هومذهب اعتنقه الفلاسفة المسلمون. بدا ذلك جلياً في بياناتهم عن قدرة الالحان المجردة على اثارة انفعالات بعينها عند المستمع. ان كيفيات تألف اللحن تعتمد على طريقة الانتقال بالنغم من الحدة الى الثقل أو من بُعد الى آخر بينهما نسبة. ويمثل هذا الانتقال يمكن للموسيقى، على مستوى التعبير، ان تحاكي الحالات المتعددة للنفس وتخيل الانفعالات المتعددة التي يمكن ان تتخلق داخل النفس الانسانية. وقدرة الموسيقى على المحاكاة قرينة القدرة على التأثير. وما دام لكل انفعال أنغام تدل عليه وتحاكيه، فانّ التوسل بهذه الانغام، يخيل للسامع الانفعال المرتبط بها ويثيره في نفسه، وبالتالي يعدل أو يغير من الحالة النفسية لهذا السامع. هذه الفكرة موجودة عند الفلاسفة المسلمين جميعاً. بسطها (الكندي) في القرن الثالث، وبلورها الفارابي في القرن الرابع بقوله « ان الانتقال الى النغم الحاد يحاكي شمائل الحرد، والى النغم الثقيلة يحكي شمائل الزكانة والحلم والاعتذار. والانتقالات التي تبنى على هبوط متدارك بالصعود الراجع، تعطي النفس هيئة شريفة نبوية حكمية مع شجن وتجلّ، وضدّها يعطي هيئة لذيذة تميل الى الخفة مع شجنٍ أنيث » (٧١).

ان ايمان القرطاجني بذاك المذهب، هو الذي جعله يصف الاوزان بصفات، ويشير الى ارتباط الوزن بالغرض. ولعل نازك افادت من تلك العلاقة بين تناسب الوزن والمعنى التي اشار اليها القرطاجني.

يقول القرطاجني ان للمتقارب « سباطة وسهولة » (٧٢) وتذهب نازك الى ان المتقارب « بطيء ذو جلال وشاعرية ورقة كأنه يتسلسل من اعماق حلم رائق، يصلح للمعاني الرقيقة الحزينة » (٧٣) واذا كان القرطاجني تلمّس ــ على وفق مبدأه ــ (٧٤)، الدرجة التوقيعية، فان الملائكة أضافت الى (البعد) / الدرجة التوقيعية، المعنى الذي يصلح له.

ويقول القرطاجني في (الطويل) « العروض الطويل تجد فيه ابداً بهاءً وقوة » (٧٥)، و « يصلح لمقاصد الجد كالفخر ونحوه » (٧٦). تقول نازك فيه « تفعيلاته ذات بطء وتثاقل

واسترسال لا تصلح لان تستعمل في قصيدة يدور فيها حوار . يضاف الى ذلك ان عروض الشطر الاول وتدية (مفاعلن) تنتهي بوتد (علن) ، والوتد قاس صلد لا يمكن تخطيه ، وانما يتحتم ان ينتهي المعنى والكلمة عنده .

ومثل ذلك يتعارض مع ما يجب ان يكون في القصص من تسلسل وانسياب لا يتوقف ولا ينقطع » .(٧٧) ولعل تعبير (البهاء والقوة) التي ذكرها القرطاجني هي المساوية لـ (ذات بطء وتثاقل واسترسال) عند الملائكة . وفي (السريع) يقول القرطاجني تظهر « الكزازة » .(٧٨) وتقول نازك : السريع « وزن وتدي متقطع فيه رعونة وخفة ، ويمتلك طبيعة القفز والتقطيع وشيئاً من الوعورة . اما سبب هذه السرعة فهو قسوة الوتد الذي تنتهي به تفعيلاته جميعاً »(٧٩) .

ان مفهوم (الكزازة) في نظر القرطاجني يعني الجمودة : قرينة التقطع والتقبض والكزازة . وهي ضد السباطة : قرينة الاسترسال والتدفق والسهولة والاستواء (السبط عنده ان تتوالى فيه ثلاثة متحركات : الفاصلة الصغرى : متفاعلن) . ولعل صفة (متقطع) تشير الى ما اشار اليه القرطاجني في (الكزازة) التي تعني التقطع .

ويقول القرطاجني نجد للرمل « ليناً وسهولة » .(٨٠) وتذهب نازك الى ان الرمل « بطبعه متدفق » .(٨١) وفي ذلك معادلة تكاد تكون متساوية . فالتدفق فيه معنى اللين والسهولة .

وفي (الكامل) وَجَد القرطاجني انه وزن يتمتع بـ « جزالة وحسن اطراد » .(٨٢) ووجد في البسيط سباطة وطلاوة ، وفي الرمل ليناً وسهولة .

اما نازك ، فوجدت في الكامل والرمل والبسيط اوزاناً ، الشطر فيها مفروز فرزاً يدركه السمع بحيث يلتقطها السامع بسرعة ويطرب لها .(٨٣)

ويقول القرطاجني : للخفيف « جزالة ورشاقة » .(٨٤) وتقول نازك عن الخفيف « ممطوط طويل حروف المدّ ، له نبرة كسول فيها امتداد » .(٨٥) فربما توافقت النبرة الكسول الممتدة مع الجزالة والرشاقة .

وهكذا وجدنا القرطاجني معللاً تلك التوصيفات .(٨٦) كما وجدنا نازك معلّلة وغير معلّلة ، ينتميان الى دائرة تكاد تكون واحدة .

ويبدو لي انهما — القرطاجني والملائكة — قد نظرا الى الوزن في صورته النظرية ، وليس التطبيقية ، اي الصورة التي ينظم عليها الشاعر ؛ فانطلقت تلك التوصيفات ، الامر الذي يمكنني القول ان مثل هذا النظر يقع في دائرة الذوق والسمع الخاص المرتبط بسياق خاص . ولذلك ، فان مثل هذا المذهب مليء بالثغرات التي تقوضه ؛ لان « حركة الوزن حركة آنية لا تنفصل عن حركة المعنى أو تعقبها . ان الشاعر يفكر في مستويات التجربة وأبعادها تفكيراً آنياً لا انفصام بين عناصره ، وحركة خياله داخل التجربة حركة موحدة » .(٨٧)

على هذا الاساس ، فليس ثمة « خصائص سابقة للوزن ، بل يكسب كل وزن خصائصه داخل التجربة ، بحيث يمكن ان نجد قصائد متعددة من الوزن نفسه ، ولكن تفرض كل قصيدة على الوزن خصائص ليست له في غيرها من القصائد ، وذلك بسبب العلاقات المتميزة التي تشكل القصيدة » .(٨٨)

٣ / الغموض

لمّا كان « الشعر غاية متعالية يناهض النشاط التعبيري فيها ما تهيأ له من طرائق التعبير التي يتعاطاها ابناء اللغة في كلامهم ، ومن ثم كان الشعر نفسه خروجاً عما عليه النثر » .(٨٩) اقول لما كان كذلك ، فان نازك اكدت « أنّ قدرة الناثرين على حشد العواطف والصور في نثرهم لا يقرّب ما يكتبون من الشعر اي تقريب » .(٩٠) ولعلها في توكيد ذلك تشير الى المهمة التي تقوم بها اللغة الشعرية . وهذه المهمة هي ؛ تجاوز مستوى الافهام الى مستوى اللذة .

وفي هذا يقول ابن رشد ان اللغة الشعرية « ينبغي ان تتجاوز مستوى الافهام الى مستوى آخر هو اللذة أو التعجب » .(٩١)

وعلى وفق هذه التفرقة بين الشعر والنثر ، فقد ذهبت نازك الى أن الشعر « لابد له من مسحة من الغموض تجعل المعاني مثيرة للتعطش في نفس القارىء ، فيحس وهو يقرأ أنه يلمس المعاني ولا يلمسها في الوقت نفسه ، فالافكار تزوغ ولا تثبت . وفي القصيدة ايماء الى المعنى يبقى في الذهن متطلعاً ، ويريد ولا يلمس ما يريد ، وينال شيئاً وتفوته اشياء » .(٩٢) وتسمي مثل هذا ابهاماً جميلاً ، اذ إنه سر الشعر وأصل فتنته .(٩٣)

انّ ما ذهبت اليه نازك ، هو اتكاء على قول ابي اسحاق الصابي في الفرق بين الكتابة والشعر الذي نقله ابن الاثير ـ يقول الصابي « ان طريق الاحسان في منثور الكلام يخالف طريق الاحسان في منظومه ، لان الترسل هوما وضح معناه ، واعطاك

سماعه في اول وهلة ما تضمنته الفاظه ، وأفخر الشعر ما غمض ، فلم يعطك غرضه الّا بعد مماطلة منه ».[٩٤] وقد ايّد ابن ابي الحديد رأي الصابي ، وذلك في كتابه (الفلك الدائر على المثل السائر) . معللًا ذلك بقوله ان « المعاني اذا كثرت ، وكانت الالفاظ تفي بالتعبير عنها أصبح بالضرورة الى ان يكون الشعر يتضمن ضرباً من الاشارة ، وانواعاً من التنبهات والايماءات ، فكان فيه غموضٌ كما في قول البحتري :

والشعــــر لمـــحٌ تكفي اشــــارتــــه
وليس بــــالهـــذر طـــوّلت خطبـــه[٩٥]

وأشار الجرجاني الى الغموض . يقول « من المركوز في الطبع ان الشيء اذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق اليه ، ومعاناة الحنين نحوه ، كان نيله أحلى وبالمزية أولى ، فكان من موقعه من النفس أجلّ وألطف ، وكانت به اضنّ وأشغف (...) ، فان قلت : فيجب على هذا ان يكون التعقيد والتعمية وتعمّد ما يكسب المعنى غموضاً مشرّفاً له وزائداً في فضله ، وهذا خلاف ما عليه الناس ، الا تراهم قالوا : ان خير الكلام ماكان معناه الى قلبك أسبق من لفظه الى سمعك ــ فالجواب اني لم ارد هذا الحدّ من الفكر والتعب وانما أردتُ القدر الذي يحتاج اليه في نحو قوله :

فــــانّ المســـك بعض دم الغـــزال[٩٦]

ان فهم الجرجاني الغموضَ على هذا النحو ، هو الفهم الذي ارادته نازك ــ الغموض الذي يكون بين الخالق الحاذق والمتلقي . وفي ذلك يقول « أنت تعلم ان هذا الضرب من المعاني كالجوهر في الصدف لا يبرز لك الّا ان تشقه عنك ، وكالعزيز المحتجب لا يريك وجهه حتى تستأذن عليه ، ولا كل خاطر يؤذن له في الوصول اليه . فما كل أحد يُفلح في شقّ الصدفة ، ويكون في ذلك من اهل المعرفة ».[٩٧]

انّ الغموض في الحدود التي اشار اليها الجرجاني ، اشارت اليه نازك ، ولذلك وقفت بوجه تكلّف الغموض ، والتماس الاغراب ؛ لانهما لا ينبعان من اعماق الشاعر ، أو تمليهما عليه لفتات طبعه ، وميوله الفطرية ، وانما هي مواقف مصطنعة « نقلها اليافعون عن الغرب »[٩٨] ، نتيجة اطلاعهم « على الادب الغربي اطلاعاً عابراً دونما دراسة جدية له »[٩٩] . وتاسيساً على ذلك ، فانها ترى ان « القانون في الشعر الجيد ان يكون الابهام فيه ظاهرياً وحسب ، فاذا ما تامله الناقد القارىء المتذوق وجده واضحاً بما له من دلالة انسانية عامة ».[١٠٠] وهذا ما أراده الجرجاني في : وانما اردت القدر الذي يحتاج اليه .

٦ / التشبيه

التشبيه ، في تصوّر البلاغة العربية ، هو مقارنة بين طرفين متمايزين لاشتراك بينهما في سمة أو سمات . فالعلاقة الرابطة بين هذين الطرفين ، هي ليست علاقة صهر أو توحّد أوتفاعل تام ، ذلك لان علاقة الاقتران ، تبحث أساساً ، في شكل خارجي ، أي الربط المقارن بين الاسس التشبيهية بين الشيئين ، سواء أكانت هذه الاسس نتاج تشابه حسي ــ أم تشابه في الحكم ، أو المقتضى الذهني . وطبقاً لهذا المنطق ، فان محاولة الشاعر استغلال التشبيه في بناء صوره الشعرية ، يعدّ من الاساليب البلاغية التي لا تخلق الايحاء المكثّف القادر على الفعل المؤثر في المتلقي ، لا سيما اذا راوح الشاعر عند حدود الدائرة المغلقة التي تبثّ التشابه المادي بين الاشياء ، من دون ان يكون ثمة ارتفاع الى مصاف الحالة النفسية التي لا ترى الاشياء كما هي .[١٠١]

ان الاشياء ــ في ضوء هذا العيار ، تظلّ تتميّز من المتناظر المجلوب ، و « المظهر العملي لهذا التمايز هو اداة التشبيه »[١٠٢] ، لانها ــ الاداة ــ تقرب الاشياء بعضها الى بعض ؛ لكنها لا توحد ؛ غير ان الشاعر الخلاق يستطيع ان يذيب حجم كثير من العناصر التي تُقف بوجه التوحد والانصهار ، اذا نظر الى الاشياء بوصفها وظائف ، أو معاني ، لا بوصفها اشكالًا . ومن زاوية هذا النظر الرؤيوي يمكن للشاعر ان يبني صوره مرتفعاً الى فضاء الامتلاك والقبض . هنا ، يصبح التشبيه لا « لرسم الاشكال والالوان محسوسة بذاتها كما تراها ، وانما .. لنقل الشعور بهذه الاشكال والالوان من نفس الى نفس ».[١٠٣] وبذلك تكون المهمة الرئيسة للتشبيه طبعاً على وجدان المتلقي ، وقد كان قبلًا طبعاً على وجدان الشاعر . وبهذا التبادل التاثيري ، تكون الصورة ممتلئة بالحيوية والنشاط ، ومحققة قدراً كبيراً من التوحد على انّ هذه المهمة ترتبط بموهبة الشاعر + ادواته الشعرية + توحده بتجربته . وبهذا الارتباط ، فانّ الشاعر المبدع يحوّل حدقة الوضوح والمقابلة « الى حدقة رؤيا خالصة ، أو الى حدقة مموّهة الاضواء اذا نظر اليها من خلال الذهول وليس من خلال الادراك ».[١٠٤]

لقد ادرك عبد القاهر الجرجاني جمود التشبيه الذي يقوم على المقارنة القريبة التي لا ترتفع الى مصاف الحالة النفسية ترسيخاً وتلقياً ، مثلما ادرك الشعرية في التشبيه الذي ينهض

على المقارنة البعيدة بين المشبه والمشبه به .

يقول ان « لتصوير الشبه من الشيء في غير جنسه وشكله والتقاط ذلك له من غير محلته واجتلابه من النيّق البعيد باباً من الطرف واللطف ، ومذهباً من مذاهب الاحسان لا يخفى موضعه من العقل . وأحضرْ شاهد على هذا ان تنظر الى تشبيه المشاهدات بعضها ببعض ، فان التشبيهات سواء أكانت عامية مشتركة أم خاصية مقصورة على قائل دون قائل ــ تراها ــ لا يقع بها اعتداد ، ولا يكون لها موقع من السامعين ، ولا تهزّ ولا تحرك حتى يكون الشبه مقرباً بين شيئين مختلفين في الجنس ».[١٠٥]

انّ في نص الجرجاني التفاتاً الى الحالة الوجدانية التي تستطيع ان تخلق في التشبيه شعرية معبّرة عن النفس ، وقادرة على التوصيل . وهذا هوواقع الصورة التشبيهية ، إذ إنّ سموها يلمقد عند نقطة تمثّلها داخلياً .

ولعل نازك ، ادركت مثل ذلك الادراك ، حين درست الصورة في شعر علي محمود طه ، فسمّت بعض صوره التشبيهية « التشبيه الطويل » ، وتقصد به « ضرباً من التشبيه يستعمله علي محمود طه ويضيف به ابتكاراً وتعقيداً الى اسلوب التشبيه البسيط الشائع ».[١٠٦] إذ وجدت أنّ سرّ جمال هذا التشبيه « وأصالته انه يخلو من جمود القطعية التي درجت قديماً ».[١٠٧]

لقد ضربت نازك مثلين لصورتين تشبيهيتين ، احداهما لابي تمام ، قالت عنها انها من أبيات جميلة تترك في النفس صدىً ، والاخرى لابن سهل الاشبيلي قالت عنها انها مبتكرة . ومع ذلك فان مثل هذين التشبيهين « لا يخلوان من التبلد الذي يضيفه الشكل التقليدي للتشبيه . فكان الشاعر لا يعبر عن مشاعر وانما يرصّ حلّاً لمسالة رياضية (...) وبذلك يسلب التشبيه تعبيريته وانسانيته ويجعله آلياً رتيباً ».[١٠٧م]

لقد ذهبت نازك الى ان التشبيه يجب ان يكون « مسالة انفعالية خالصة فيها الوهج الشعوري والحرارة ».[١٠٨] وهذه الانفعالية المؤداة بالتعبير هي وليدة الرؤية الخاصة التي تتمتع بها عين الشاعر الداخلية ، وليست عينه المبصرة / الحاسّة . وما دامت عين الشاعر الداخلية هي التي تخلق مثل هذا التشبيه ، فانها قادرة على جلب البعيد الذي يبتعد عن الصياغة الجاهزة أو المباشرة . وفي هذا يقول الجرجاني « واذا استقريت التشبيهات وجدت التباعد بين الشيئين كلما كان اشدّ كانت الى النفوس أعجب وكانت النفوس لها أطرب ، وكان مكانها الى ان تُحدث الاريحية اقرب ، وذلك ان موضع الاستحسان ، ومكان الاستظراف ، والمثير للدفين من الارتياح ، والمتألف للنافر من المسرّة ، والمؤلف لاطراف البهجة ، انك ترى بها الشيئين مثلين متباينين ، ومؤتلفين مختلفين ».[١٠٩]

ان هذا الاشتغال ، متاتٍ من شغل التخييل المرتبط بتمثّل التجربة الوجدانية .

(٧)

هكذا بدا لي ارتباط نازك الملائكة بالموروث النقديّ العربي ، أو التقاؤها به من خلال فهم الحاضر ومستجدات الحياة الجديدة ، وفي هذا ادراك واعٍ يمتزج فيه القديم بالجديد من خلال فهم التراث والمكتسبات الماضية ؛ فهي « التي تمكن الذهن والخيال من الابداع والاختراع ، كما ان الجديد هو الذي ينفخ الحياة في القديم ، ويورثه القوة والفاعلية ، وروح التجديد هي التي تبني من (الاشياء القديمة) المباني الجديدة ، وتكسب تلك الاشياء الفائدة والقيمة »[١١٠] ؛ لانّ « القديم وحده جمود وموت ، والحديث وحده عجز وحرمان ، وأما الحياة النفسية الواعية ، فما هي الّا نتيجة التمازج والتفاعل بين القديم والحديث ».[١١١]

إنّ التقاء المعاصرة بالقديم ، ليس بدعةً ، وانما هو نتيجة الادراك والتفاعل والتحصيل المكتسب . يقول (لانسون) « اكثر الكتاب اصالة ، انما هو الى حد بعيد راسب من الاجيال السابقة وبؤرة للتيارات المعاصرة وثلاثة ارباعه مكون من غير ذاته ».[١١٢]

ويقول رولان بارت : اليوم ينبثق من الأمس .

الاحالات

(١) ديوان نازك الملائكة ، مج ٢ ، بيروت ، دار العودة ، ١٩٧١ ، ص ٥ .

(٢) ــ الصومعة والشرفة الحمراء ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط ٢ ، ١٩٧٩ ، ص ٢٢١ .

(٣) ــ الاسس الجمالية في النقد الادبي ، عرض وتفسير ومقارنة ، د . عز الدين اسماعيل ، بغداد ، دائرة الشؤون الثقافية ، ط ٣ ، ١٩٨٦ ، ص ٣٤٨ .

(٤) ــ فنون الادب ، هـ . ب ، تشارلتن ، ترجمة د . زكي نجيب محمود ، القاهرة ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٥ ،

ص ٤٥ .

(٥) ــ بنية اللغة الشعرية ، جان كوهن ، ترجمة : محمد الولي ومحمد العمري ، المغرب ، الدار البيضاء ، دار توبقال للنشر ، طـ ١ ، ١٩٨٦ ، ص ١٢٩ .

(٦) ــ في الشعرية ، د . كمال ابو ديب ، بيروت ، مؤسسة الابحاث العربية ، ١٩٨٧ ، ص ٣٨ .

(٧) ــ ينظر : نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين ، د . الفت كمال الروبي ، بيروت ، دار التنوير للطباعة والنشر ، ص ١٥٥ .

(٨) ــ الحروف ، تحقيق محسن مهدي ، بيروت ، دار المشرق ، ١٩٦٩ ، ص ١٤١ .

(٩) ــ المصدر نفسه ، ص ٧٧ .

(١٠) ــ بنية اللغة الشعرية ، ص ١٩١ .

(١١) ــ ينظر : نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين ، ص ٢٠١ .

(١٢) ــ المكان نفسه .

(١٣) ــ الصومعة والشرفة الحمراء ، ص ١٨٢ .

(١٤) ــ منهاج البلغاء وسراج الادباء ، حازم القرطاجني ، تقديم وتحقيق محمد بن الخوجة ، تونس ، دار الكتب الشرقية ، ١٩٦٦ ، ص ٢٤٤ ، وينظر : مفهوم الشعر ، د . جابر عصفور ، ص ٢٤٤ .

(١٥) ــ قضايا الشعر المعاصر ، بيروت ، دار العلم للملايين ، طـ ٧ ، ١٩٨٣ ، ص ٢٣٨ .

(١٦) ــ نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين ، ص ١٥١ .

(١٧) ــ فن الشعر ــ ارسطو طاليس ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، بيروت ، دار الثقافة طـ ٢ ، ١٩٧٣ ، ص ١٦٣ .

(١٨) ــ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، بيروت ، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ، طـ ٤ ، ١٩٧٢ ، ص ١٢٤ .

(١٩) ــ فن الشعر ــ ارسطو طاليس ، ص ١٦٨ .

(٢٠) ــ المصدر نفسه ، ص ١٧٢ .

(٢١) ــ الصومعة والشرفة الحمراء ، ص ٥٥ .

(٢٢) ــ فن الشعر ، ارسطو طاليس ، ص ٦٢ .

(٢٣) ــ حلية المحاضرة في صناعة الشعر ، تحقيق د . جعفر الكتاني ، وزارة الثقافة والاعلام ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٧٩ ، حـ ١ / ١٢٧ .

(٢٤) ــ الصومعة والشرفة الحمراء ، ص ٥٥ .

(٢٥) ــ المصدر نفسه ، ص ٢١٥ .

(٢٦) ــ ينظر : سايكولوجية الشعر ومقالات اخرى ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية ، ١٩٩٣ ، ص ١١٠ .

(٢٧) ــ المصدر نفسه ، ص ٣٩ .

(٢٨) ــ فن الشعر ــ هوراس ، ترجمة : د . لويس عوض ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، المطبعة الثقافية ، ١٩٧٠ ، ص ١٣٨ .

(*) ــ لفظة الصناعة تدل على عمل الشعر واتقانه وهي لذلك تترابط مع الطبع أو الموهبة .

(٢٩) ــ البيان والتبيين ١ / ١٣٦ ، وينظر : الابداع الشعري في النقد العربي الى نهاية القرن السابع الهجري ، ثائر حسن جاسم ، ص ١٦٤ .

(٣٠) ــ المكان نفسه .

(٣١) ــ المصدر نفسه ١ / ١٣٨ .

(٣٢) ــ ينظر : الابداع الشعري ، ص ١٦٤ .

(٣٣) ــ كتاب كمال أدب الغناء ، الحسن بن احمد بن علي الكاتب ، ص ٢١ .

(٣٤) ــ زهر الاداب ، ابو اسحاق ابراهيم بن علي الحصري القيرواني ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، القاهرة ، ١٩٥٣ ، ص ١١٠ .

(٣٥) ــ فن الشعر ، أرسطو طاليس ، ص ١٥٥ .

(٣٦) ــ سايكولوجية الشعر ومقالات اخرى ، ص ١١٥ .

(٣٧) ــ الادب وقيم الحياة المعاصرة ، د . محمد زكي العشماوي ، الاسكندرية ، الهيئة المصرية العامة ، طـ ٢ ، ١٩٧٤ ، ص ٩٦ .

(٣٨) ــ العمدة ١ / ١٩٧ ، ١٩٨ .

(٣٩) ــ سايكولوجية الشعر ومقالات اخرى ، ص ١١٦ .

(٤٠) ــ المصدر نفسه ، ص ١٠٤ .

(٤١) ــ المصدر نفسه ، ص ٣٦ .

(٤٢) ــ قضايا الشعر المعاصر ، ص ٩٩ .

(٤٢ ب) ــ فن الشعر ــ ص ١٣٢ .

(٤٣) ــ كتاب الموسيقى الكبير ، تحقيق غطاس عبد الملك ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ١١٨٤ .

(٤٤) ــ ينظر : نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين ، ص ١٢٧ .

(٤٥) ــ فن الشعر ــ ص ١٦٢ .

(٤٦) ــ المصدر نفسه ، ص ١٧٠ .

(٤٧) ــ نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين ، ص ١٢٩ .

(٤٨) ــ منهاج البلغاء ... ، ص ٢٣٧ .

(٤٩) ــ وسائل تعريف العرب بنتاجهم الادبي الحديث ، م . الاداب ، ع ١٠ ، تشرين ١ ، ١٩٥٦ .

(٥٠) ــ المكان نفسه .

(٥١) ــ مقدمة مختاراته الشعرية التي ألقاها في (خميس مجلة شعر) م . شعر ، ع ٣ ، ١٩٥٧ ، ص ١١٢ .

(٥٢) ــ م . الاداب ، ع ٩ / ايلول / ، ١٩٥٣ .

(٥٣) ــ التجزيئية في المجتمع العربي ، بيروت ، دار العلم للملايين ،

ط ١ ، ١٩٧٤ ، ص ١٦٦ ـ ١٦٧ .
(٥٤) ـ قضايا الشعر المعاصر ، ص ٣٠٢ .
(٥٥) ـ كتاب الموسيقى الكبير ، ص ١١٨٤ ، ١١٨٥ .
(٥٦) ـ ينظر : نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين ، ص ١٢٧ .
(٥٦ ب) ـ قضايا الشعر المعاصر ، ٣٠٢ .
(٥٧) ـ ديوانها ١ / ٤٥٠ .
(٥٨) ـ ينظر : مفهوم الشعر ، د . جابر عصفور ، ص ٦٠ .
(٥٩) ـ في نقد الشعر ، د . محمود الربيعي ، دار المعارف بمصر ، ط ٤ ، ١٩٧٧ ، ص ٩٥ ، ٩٦ .
(٦٠) ـ العمدة ١ / ١٢٨ .
(٦١) ـ قضايا الشعر المعاصر ، ص ٢٥٥ . وينظر : نظرية الشعر عند نازك الملائكة ، ص ١٤٤ .
(٦٢) ـ م . الاداب ، ع ٤ ، ١٩٥٦ ، ص ١٧ .
(٦٣) ـ ينظر : نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين ، ص ٢٣١ .
(٦٤) ـ الخطابة ، ص ٢٠٢ ، وينظر الشعر عند الفلاسفة المسلمين ، ص ٢٣٢ .
(٦٥) ـ الصومعة والشرفة الحمراء ، ص ٥٥ .
(٦٦) ـ المكان نفسه .
(٦٧) ـ ص ١٠٩٣ ، وينظر : ادونيس والتراث النقدي ، عبد الرحيم مراشدة ، ص ١٤٧ .
(٦٨) ـ قضايا الشعر المعاصر ، ص ٢٢٢ .
(٦٩) ـ المصدر نفسه ، ص ٢١٨ ، ٢١٩ .
(٦٩ ب) ـ ينظر : المصدر نفسه ، ص ٢٢١ .
(٧٠) ـ منهاج البلغاء ، ص ٢٦٦ .
(٧١) ـ جوامع علم الموسيقى ، ص ٧٥ ، وينظر : مفهوم الشعر ، د . جابر عصفور ، ص ٢٥٩ .
(٧٢) ـ منهاج البلغاء ، ص ٢٦٩ .
(٧٣) ـ سايكولوجية الشعر ومقالات اخرى ، ص ١٧٦ .
(٧٤) ـ ينظر : مفهوم الشعر ، ص ٢٥٧ وما بعدها .
(٧٥) ـ منهاج البلغاء ، ص ٢٦٩ .
(٧٦) ـ المكان نفسه .
(٧٧) ـ الصومعة والشرفة الحمراء ، ص ١٦٩ .
(٧٨) ـ منهاج البلغاء ، ٢٦٨ .
(٧٩) ـ الصومعة والشرفة الحمراء ، ص ١٩٧ .
(٨٠) ـ منهاج البلغاء ، ص ٢٥٩ .
(٨١) ـ قرأت العدد الماضي من الاداب ، نازك الملائكة ، م . الاداب ، ع ٣ ، ١٩٥٣ .
(٨٢) ـ منهاج البلغاء ، ص ٢٥٩ .
(٨٣) ـ الصومعة والشرفة الحمراء ، ص ١٢٨ .
(٨٤) ـ منهاج البلغاء ، ص ٢٥٩ .
(٨٥) ـ الصومعة والشرفة الحمراء ، ص ٢٧١ .
(٨٦) ـ ينظر : مفهوم الشعر ، ص ٢٥٥ ـ ٢٥٩ .
(٨٧) ـ المصدر نفسه ، ص ٢٦٤ .
(٨٨) ـ المصدر نفسه ، ص ٢٦٥ .
(٨٩) ـ الضرورة الشعرية ، دراسة اسلوبية ، السيد ابراهيم محمد ، ص ٦٨ .
(٩٠) ـ قضايا الشعر المعاصر ، ص ٢٢٦ .
(٩١) ـ نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين ، ص ١٦٥ ، وينظر : مصدره .
(٩٢) ـ سايكولوجية الشعر ومقالات اخرى ، ص ٣٢ .
(٩٣) ـ ينظر : المصدر نفسه ، ص ١٢٤ .
(٩٤) ـ المثل السائر ٣ / ٧ .
(٩٥) ـ المصدر نفسه ، ٤ / ٣٠٥ ، وينظر : سايكولوجية الشعر ... ، ص ٣٢ .
(٩٦) ـ اسرار البلاغة ، ص ١٢٦ ، ١٢٧ .
(٩٧) ـ المصدر نفسه ، ص ١٢٨ .
(٩٨) ـ سايكولوجية الشعر ومقالات اخرى ، ص ٣٢ .
(٩٩) ـ المكان نفسه .
(١٠٠) ـ المكان نفسه ، وينظر : نظرية الشعر عند نازك الملائكة ، د . عبد الكريم راضي جعفر ، ص ١٣٢ .
(١٠١) ـ ينظر : رماد الشعر ، د . عبد الكريم راضي جعفر ، ص ٢٩٠ .
(١٠٢) ـ مفهوم الشعر ، ص ١٩١ .
(١٠٣) ـ الديوان في النقد والادب ، ١ / ٢١ .
(١٠٤) ـ المثل في الشعر بين التشبيه والاستعارة والرمز ، ايليا حاوي ، م . الاداب ، ع ١٢ ، كانون ١ ، ١٩٦٢ ، ص ١٩ .
(١٠٥) ـ اسرار البلاغة ، ص ١١٦ .
(١٠٦) ـ الصومعة والشرفة الحمراء ، ص ٣٠٠ .
(١٠٧) ـ المكان نفسه .
(١٠٧ ب) ـ المصدر نفسه ، ص ٣٠١ .
(١٠٨) ـ المكان نفسه .
(١٠٩) ـ اسرار البلاغة ، ص ١١٦ .
(١١٠) ـ آراء واحاديث في التاريخ والاجتماع ، ساطع الحصري ، ص ١٦ ، ١٧ .
(١١١) ـ المصدر نفسه ، ص ١٧ .
(١١٢) ـ النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الادب واللغة ، د . محمد مندور ، دار نهضة مصر للطبع والنشر (د . ت) ، ص ٤٠٢ .

أوراق من عيون التواريخ

لابن شاكر ٦٨٦ هـ ـ ٧٦٤ هـ

تحقيق
عبدالعزيز ابراهيم

(أ) المؤرخ وكتابه

محمد بن شاكر بن أحمد بن عبدالرحمن[١] بن شاكر بن هارون بن شاكر الكتبي الداراني الدمشقي[٢] الملقب بـ (صلاح الدين)[٣] . وينفرد ابن كثير[٤] فيذكر « صلاح الدين محمد بن شاكر الليثي » قضى حياته (فقيراً ثم تعانى التجارة من الكتب فرزق منها مالاً طائلاً) كما يقول ابن حجر العسقلاني في الدرر[*] . وهذا يعني أن الرجل عندما امتهن هذه الحرفة أنقذ حياته من الاملاق ، ثمّ دفعت به الى ما نصطلح عليه حديثاً بـ (التثقيف الذاتي) ، فصيرته باحثاً ثم مؤرخاً . وكان هذا التحول قربه من علماء عصره ، أمثال عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هـ صاحب كتاب (البداية والنهاية) الذي ربطته به صداقة متينة ظهر أثرها في تاليف كتابيهما (البداية والنهاية) و (عيون التواريخ)بل ان ابن كثير يصفه في ترجمته لابن شاكر بـ (الشيخ صلاح الدين محمد بن شاكر)[٦] . والمؤرخ ابو الفداء عماد الدين اسماعيل بن علي المتوفى سنة ٧٣٢ هـ صاحب كتاب « المختصر في أخبار البشر » . والمؤرخ الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ وغيرهم .

وقد مثلت معرفته بالكتاب والعلماء في عصره مصدراً أولياً من مصادر ثقافته وان لم تكن بالمستوى الذي بلغه غيره وهذا ما دفع بالدكتور احسان عباس الى القول[٧] : لم ينل من عمق الثقافة ودقة الحكم ما ناله مشهورو الوراقين أمثال أبي حيان التوحيدي وياقوت الحموي) ويدلل على ذلك بقوله : ويبدو أن الرجل كان لا يكترث كثيراً بمراعاة الاصول النحوية واللغوية ويعلل السبب بقوله : وربما كانت معرفته بالنحو واللغة بسيطة . توفي سنة ٧٦٤ هـ كما تجمع المصادر التي ترجمت له[٨] .

ويشكل شيوخه مصدراً آخر من مصادر ثقافته عن طريق السماع من الشيخ ، وفي هذا يقول ابن حجر العسقلاني انه (سمع من ابن الشحنة والمزّي وغيرهما) .

اما ابن الشحنة[٩] فهو ابو العباس احمد بن أبي طالب ابن الشحنة الحجار المتوفى سنة ٧٣٠ هـ والمزي[١٠] هو الفقيه يوسف بن عبدالرحمن بن يوسف المزّي المتوفى سنة ٧٤٢ هـ وقد أثرت ثقافته في مؤلفاته فكانت :ـ

١ ـ عيون التواريخ : ذكره ابن كثير[١١] وقال عنه : (تفرد في صناعته وجمع تاريخاً مفيداً في عشر مجلدات) . وحددها حاجي خليفة بست مجلدات وقال[١٢] : عيون التواريخ في ست مجلدات لفخر الدين محمد بن شاكر المتوفى سنة ٧٦٤ هـ انتهى فيه الى آخر سنة ٧٦٠ هـ ، وإن حاول أن يجعل من تاريخه تبعاً لابن كثير في (البداية والنهاية) فيقول : وهو في الغالب تتبع ابن كثير لاسيما في الحوادث وكثيراً ما ينقل منه صفحة فاكثر بحروفه ، وأيّده الزركلي وطاش كبري زاده[١٣] فذكرا أن (عيون التواريخ ست مجلدات) . وتجاوز هؤلاء صاحب هدية العارفين[١٤] فقال « عيون التواريخ في ثمان وعشرين مجلداً » ويعلل الدكتور احسان عباس هذا الاختلاف فيقول[١٥] : « ولعل الإختلاف في عدد اجزاء الكتاب راجع الى تفاوت في طبيعة النسخة التي اطلع عليها كلّ واحدٍ منهم » .

٢ ـ فوات الوفيات ذكره صاحب كشف الظنون[١٦] وصاحب هدية العارفين[١٧] وقال الثاني انها (ذيل علي وفيات الاعيان لابن خلكان في مجلدين) .

٣ ـ روضة الأزهار في حديقة الاشعار . ذكره صاحب هدية العارفين(١٨) .

أما منهجه في كتابه (عيون التواريخ) فإنه بناه على نهج شاع بعد القرن السادس الهجري وفيه يجمع المؤرخ (بين الحوادث والوفيات مرتباً ذلك على السنوات : فإذا انتهى المؤلف من أهم حوادث سنة ما ، أفرد عنواناً عن « مَنْ توفي في هذه السنة من الاعيان »(١٩) وعلى هذا النهج سار ابن شاكر وعنه يقول الاستاذ ميخائيل عواد(٢٠) (هو من أحسن التواريخ رتبه على السنين ، ووفق في انتقاء الاخبار والتراجم . ابتدأه بالنبي (ﷺ) ثم سير الخلفاء الراشدين وجمهور الصحابة والتابعين ، وتراجم رجال الحديث النبوي . وتراجم الصالحين والزهاد والعباد والاعيان والشجعان والكرماء والادباء والشعراء والمغنين ، وقسمه الى حوادث ووفيات . انتهى فيه الى سنة ٧٦٠ هـ . أي قبل وفاته باربع سنوات » .

أما مصادره فإنها متنوعة جمعت كتب التاريخ والادب والسير والتراجم ودواوين الشعراء وفيه ينقل ابن شاكر عن سابقيه ـ وهو طريقة القدماء ـ دون تدقيق او تحقيق في المنقول وبلغت النقول كثرة وهذا ما دعا المؤرخين الى أن يطلقوا على القرن الثامن الهجري عصر الموسوعات . وقد حصر محققا (عيون التواريخ) في جزء واحد(٢١) اكثر من عشرين مؤلفاً منهم عماد الدين الاصبهاني صاحب (خريدة القصر وجريدة العصر) وابن عساكر صاحب (تاريخ دمشق) . وابن خلكان صاحب (وفيات الاعيان) والذهبي صاحب (العبر) .

أما في مخطوطتنا هذه فقد ظهرت نقوله عن يتيمة الدهر للثعالبي ووفيات الاعيان لابن خلكان ومعجم الادباء لياقوت الحموي . وتاريخ أبي الفداء (المختصر في اخبار البشر) فضلاً عن ديوان المتنبي وغيره من شعراء القرن الرابع الهجري .

ويلاحظ على نقول ابن شاكر من المصادر السابقة عليه أنه ياخذ منها دون أن يشير اليها وقد ينقل من بعضها ويتحول الى آخر ثمّ يعود اليها وكانه يريد اخفاء كثرة نقوله التي تتضح من خلال نصوص أسهب فيها سابقوه ولم ينتبه على الزيادة التي لا تخدم غرضه وهو يستشهد بها في كتابه !

ولكون الكتاب في مجلدات متفرقة المكان(٢٢) فقد توزعت مخطوطاته في المكتبة الظاهرية بدمشق . ودار الكتب المصرية بالقاهرة والمكتبة التيمورية فيها . وكوبريلي وفيض الله وطوب قبو سراي باستنبول ، وفي المتحف البريطاني واخرى في باريس ومجلد في الفاتيكان بروما . وان كانت المكتبة الظاهرية أوفر حظاً بما تحتويه من أجزاء الكتاب .

وهناك مصورات عن هذه المخطوطات في مكتبة المجمع العلمي العراقي وفي مدينة النجف الاشرف(٢٣) أما ما نشر من الكتاب فإنه يجمع أربعة أجزاء ضمت السنوات التي تتعلق بالقرنين السادس والسابع الهجريين بتحقيق الدكتور فيصل السامر والاستاذة نبيلة عبدالمنعم داود . وان أشار الاستاذ ميخائيل عواد في كتابه (مخطوطات المجمع العلمي العراقي)(٢٤) الى نشر الجزء الاول بتحقيق د. حسام الدين القدسي بالقاهرة .

(ب) ـ مخطوطة عيون التواريخ لسنة ٣٥٦ هـ

لما كانت سنة ٣٥٦ هـ ضمن السنوات (٣١٠ هـ ـ ٣٩٠ هـ) في الجزء الثاني عشر من مخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق . وأثناء سنة (٣١٠ هـ ـ ٣٥٩ هـ) في الجزء الحادي عشر من مخطوطات دار الكتب المصرية ـ ومَردُّ هذا الاختلاف يعود الى أن الاجزاء (متداخلة وغير متفقة ولا تنسجم مع حقيقة محتوى الاجزاء) كما أشار محققا العيون(٢٥) ـ فإن مصورة المخطوطة التي حققت عليها هذه السنة لم أسبق اليها وكان اعتمادي على مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم (٤٨) تاريخ ، وعدد أوراقها (٢٦٤) ورقة بقياس ٢١ × ١٦ ، عدد الاسطر في الصفحة الواحدة (٢١) . أما أوراق هذه السنة فكانت عشر أوراق من الرقم ١٢٦ لغاية ١٣٥ رمزت للورقة الواحدة بـ (أ / ب) خطها قريب من خط المؤلف في القرن الثامن الهجري وقد يكون خطه . لا يخلو من الاخطاء أو تغير رسم المفردة فضلاً عن ركة الاسلوب في بعض الاحيان اذا تجاوز نقول الاخرين .

وكان الدافع لنشر هذه الاوراق هو أنها تسجل لحقبة زمنية من القرن الرابع الهجري الغنية بتراثها الادبي ، وقد وثّق ابن شاكر احداثها بتراجم لامراء هذه الحقبة كسيف الدولة الحمداني وكافور الاخشيدي ومعز الدولة البويهي وما دار حولهم من الشعراء كابي فراس والمتنبي والخالديين فإذا تركت هؤلاء فإن أبا الفرج الاصبهاني وصديقه الوزير المهلبي يرسمان صورة لادب مجالس تلك العصر . ناهيك عن الشعر الذي ذكره لابي الفرج الاصبهاني في رثاء الديك أو شكواه من الفار يمثل شاهداًعلى ما قاله الشعراء بحق الحيوان ، والمؤلف بهذا الاستشهاد ينقل من مصادر تراثية وهو يترجم لاعيان هذه الحقبة ويتعرض لموسوعة أبي الفرج الاصبهاني ، أقصد كتاب الاغاني أو لمؤلفاته .

(جـ) منهج التحقيق

إنّ الغرض من نشر النصّ محققاً هو تقديمه الى القارىء (المتلقي) صحيحاً موثقاً كما كتبه مؤلفه . والصحة هي سلامة النص من الناحية اللغوية . أما التوثيق فهو الحواشي الراجعة الى احالات تستند الى المصادر التراثية وما يتبع ذلك من شروح وتعليقات يحتاج اليها المتن .

وهذه الوريقات على الرغم من قلتها ـ إذا قيست بمجلدات الكتاب ـ فإن ابن شاكر لا يختلف في كتابتها عن اجزاء العيون الاخرى أو أوراقه ، سواء ما تمثل في عدم الاشارة الى انتهاء الجملة بالنقطة أو الفارزة إن كانت متعلقة أو الوقوع في الاغلاط اللغوية أو الاملائية . ناهيك عن رسم المفردة بما تختلف عنه حديثاً وأمثلة ذلك :ـ

١ ـ عدم كتابة الهمزة بعد الالف الممدودة : مثل / ابن العلا / الشعرا / العلما / ازا .

٢ ـ عدم كتابة الهمزة على الالف وسط الكلمة : مثل : الفار / سالته / الهية / راي .

٣ ـ كتابة الهمزة ياء : مثل : الايمة / فوايد / ندمايه / مايه .

٤ ـ كتابة الالف الممدودة ألفاً مقصورة / العلى .

٥ ـ كتابة الالف المقصورة ألفاً ممدودة / تجنا .

٦ ـ كتابة الالف المقصورة ياء / الصغري / اوصي / إلي / تولي .

٧ ـ عدم كتابة الالف الوسطى / القسم / الحرث / ثلثه .

ولهذا عملت على الآتي :ـ

أولاً : تصحيح ما يكتب على وفق طريقتنا في الكتابة المعاصرة .

ثانياً : اعادة صياغه بعض الجمل إنْ تطلب السياق ذلك مع الاشارة في الهامش .

ثالثاً : اضافة ما يقتضيه السياق وقد حصرته بين عضادتين .

رابعاً : حذفت بعض الالفاظ الدالة على البذاءة أو التي لا تنفع القارىء بشيء مشيراً الى (ينظر الاصل في المخطوطة) .

خامساً : أشرت الى المصادر التي نقل منها ابن شاكر أحداثه أو تراجمه أو نصوصه الشعرية مع التنبيه على الاختلاف إنْ وجد في حالة تصحيح النص .

سادساً : استأنست بما جاء من تصدير لجنة تحقيق الاغاني في ترجمتها لابي الفرج الاصبهاني عندما اعتمدت مخطوطة عيون التواريخ لهذه السنة الموجودة بدار الكتب المصرية .

سابعاً : اختصرت الهوامش والتعليقات حتى لا تثقل النصّ . وترجمت لمن يحتاج الى ذلك .

ثامناً : خرّجت النصوص الشعرية من دواوين الشعراء المطبوعة لهم ، فإن لم أجد ديواناً لاحد الشعراء اعتمدت في التخريج على المظان التراثية التي ورد النص بها . وفي الختام أتوسل بقوله تعالى « رَبّنا لا تؤاخِذنا إنْ نَسِينا أو أخطانا » البقرة/ ٢٨٦ راجياً أن اكون بهذا الصنيع خدمت تراث امتي العربية .

هوامش المقدمة

(١) في هدية العارفين ٢ / ١٦٢ يذكر (ابن عبدالرحمن بن محمد الداراني الكتبي الدمشقي) .
(٢) الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة ٤ / ٧١ ونقله ابن الحنبلي في شذرات الذهب ٦ / ٢٠٣ .
(٣) يلقبه حاجي خليفة في كشف الظنون ٢ / ١١٨٥ بـ (فخر الدين) .
(٤) البداية والنهاية (ط. السعادة) ١٤ / ٣٠٣ .
(٥) الدرر الكامنة ٤ / ٧٢ .
(٦) البداية والنهاية ١٤ / ٣٠٢ .
(٧) فوات الوفيات ١ / ٣ .
(٨) الدرر الكامنة ٤ / ٧٢ ، البداية والنهاية ١٤ / ٣٠٣ ، شذرات الذهب ٦ / ٢٠٣ .
(٩) شذرات الذهب ٦ / ٩٣ .
(١٠) الدرر الكامنة ٥ / ٢٣٣ وشذرات الذهب ٦ / ١٣٦ .
(١١) البداية والنهاية ١٤ / ٣٠٣ .
(١٢) كشف الظنون ٢ / ١١٨٥ .
(١٣) الاعلام ٧ / ٢٦ وينظر مفتاح السعادة لطاش كبري زادة ١ / ٢٦٨ .
(١٤) هدية العارفين ٢ / ١٦٣ .
(١٥) فوات الوفيات ١ / ٤ .
(١٦) كشف الظنون ٢ / ١١٨٥ .
(١٧) هدية العارفين ٢ / ١٦٣ .
(١٨) المصدر نفسه ٢ / ١٦٣ .
(١٩) عيون التواريخ ١٢ / المقدمة ـ هـ .
(٢٠) مخطوطات المجمع العلمي العراقي ١ / ٢٧١ .
(٢١) عيون التواريخ ١٢ / المقدمة ـ ط .
(٢٢) ينظر مخطوطات المجمع العلمي ١ / ٢٧١ وعيون التواريخ / المقدمة (و ـ ح) .
(٢٣) مخطوطات المجمع العلمي ١ / ٢٧١ (الهامش) .
(٢٤) المصدر نفسه .
(٢٥) عيون التواريخ ١٢ / المقدمة ـ ح .



(١) مصورة مخطوطة (عيون التواريخ) لابن شاكر الكتبي - «بداية أحداث سنة ٣٥٦ هـ» - المكتبة الظاهرية بدمشق



(٢) مصورة مخطوطة (عيون التواريخ) لابن شاكر الكتبي نسخة «الكتبة الظاهرية بدمشق».

أوراق من «عيون التواريخ» لابن شاكر

السنة السادسة والخمسون والثلاثمائة

(١٢٦ / ب) النصّ

استهلت هذه السنة والخليفة المطيع لله والسلطان معز الدولة بن بويه الديلمي وعُمل[١] في يوم عاشوراء عزاء الحسين (رض)[٢]. وفي[٣] ثالث عشر ربيع الأول توفي معز الدولة ابو (الحسين)[٤] أحمد بن بويه الديلميّ بعلة



(٣) مصورة مخطوطة (عيون التواريخ) لابن شاكر الكتبي «نهاية أحداث سنة ٣٥٦ هـ» - المكتبة الظاهرية بدمشق

(الذَرب)(٥) وصار لا يثبت في معدته شيء بالكلّية ولما أحسّ بالموت أظهر التوبة وأناب الى الله عز وجل وردّ كثيراً من المظالم وتَصدَّق بكثير من أموال واعتق خلقاً كثيراً من مماليكه وعهد الى ولده عزّ الدولة بَختيار . وقد إجتمع ببعض العلماء وكلّمه في السُنة وأخبره أنّ علياً (كرم الله وجهه)(٦) زوّج ابنته أم كلثوم من عمر بن الخطاب (رض)(٧) فقال له والله ما سمعت بهذا قطّ(٨) ورجع الى السُنة ومتابعتها . ولما ظهر وقت الصلاة خرج ذلك الرجل الى الصلاة فقال له : أما تُصلي ها هنا ؟ قال : لا . قال : ولِمَ ؟ قال لأنّ دارك مغصوبة فاستحسن ذلك منه . وكان مُعز الدولة حليماً كريماً عاقلاً ,كانت احدى يديه (١٢٧ / أ) مقطوعة وهو أول مَنْ احدث السعاة بين يدي الملوك ليبعث الى أخيه ركن الدولة الى شيراز سريعاً . وحظي عنده أهل هذه الصنعة وتعلم أهل بغداد ذلك حتى كان بعضهم يجري في اليوم الواحد نيفاً واربعين فرسخاً .. وكان في البلد ساعيان ماهران وهما فضل وبرغوش يتعصب لهذا عوامُ أهل بغداد نصفهم ولذاك عوام النصف الاخر(٩) وجرت لهما مناصف ومواقف . ولما مات معزّ الدولة دفن بباب التبن بمقابر قريش . وجلس ابنه للعزاء ثلاثة أيام وأصاب الناس مطر ثلاثة أيام متواليات . وكان عُمرُ مُعزّ الدولة يوم توفي ثلاث وخمسين سنة ومدة ولايته احدى وعشرين(١٠) سنة وأحد عشر شهراً ويومين وكان قد نادى في ولايته بأن تُردّ المواريث الى ذوي الارحام (من)(١١) قبل بيت المال . وقد سمع بعض الناس ليلة توفي مُعزّ الدولة هاتفاً يقول :(١٢)

لمّـــا بلَغْتَ أبـــا الحسيْـ
ـنِ مُـــراد نفســك في الطلبْ
وأمِنْتَ من حـــدَثِ الليـــا
لي واحتَجبْتَ عن النُـــوبْ
مُـــدّتْ إليـــكَ يـــدُ الـــردَى
وأخِـــذْتَ من بيت الـــذهبْ

ذِكر مَنْ توفي في هذه السنة من الاعيان .

(و) فيها توفي علي بن الحسين بن محمد بن أحمد ابن الهيثم بن عبدالرحمن بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبدشمس ، ابو الفرج الاصفهاني صاحب كتاب الاغاني الكاتب الاخباري العلامة . ولد سنة أربع وثمانين ومائتين . وسمع ابو الفرج من جماعة لا يُحصون وروى عنه الدار قطني(١٣) وغيره . استوطن بغداد وكان من أعيان ادبائها وأفراد مصنفيها . وكان اخبارياً نسابة(١٤) . قال ابو علي التنوخي(١٥) .

« كان يحفظ أبو الفرج من الشعر والاغاني والاخبار والمسندات والانساب ما لم أرَ قطُّ من يحفظ مثله . ويحفظ من سوى ذلك من علوم أخر منها اللغة والنحو والمغازي والسِيَر . وصنّف لبني أميّة أقاربه ملوك الاندلس تصانيفه وسَيَّرها اليهم . وجاءه الانعام على ذلك. قال الشيخ شمس الدين الذهبي(١٦) : رأيت شيخنا تقي الدين ابن تيمية يُضعِفه ويتهمه في نقله ويَستهول ما ياتي به . وما علمت فيه جرحاً إلا قول ابن أبي الفوارس(١٧) : خلطَ قبل أن يموت » . وقد أثنى على كتابه الاغاني جماعة من جلّة الادباء (انتهى) قال ابن غرس(١٨) الموصلي كتب إليّ أبو تغلب بن ناصر الدولة يامرني بابتياع كتاب الاغاني فابتعته بعشرة آلاف درهم (١٢٧ / ب) فلما حملته اليه ووقف عليه قال ظلم وراقه المسكين وإنّه ليساوي عشرة آلاف دينار وأمر أن يُكتبَ (منه)(١٩) نسخة أخرى و (بيعت)(٢٠) مُسوَّدات الاغاني وأكثرها في ظهور بخط التعليق فاشتريتُ لأبي أحمد محمد بن حفص باربعة آلاف درهم و (أهدى)(٢١) ابو الفرج (منه)(٢٢) نسخة لسيف الدولة بن حمدان ، فاعطاه الف دينار وبلغ ذلك الصاحب بن عبّاد ، فقال : لقد قصّر سيف الدولة وإنّه يستاهل أضعافها وأطنب في وصفه . ثمّ قال : ولقد اشتملت خزانتي على مائتي الف مجلد وسبعة عشر الف مجلد ما منها ما هو سميري غيره ولا راقني منها سواه(٢٣) » . ولم يكن كتاب الاغاني يفارق عَضد الدولة في سَفرٍ ولا حضر . قال ابو الفرج جمعته في خمسين سنة وكتبت (منه) نسخة واحدةً ، وهي التي أهديت لسيف الدولة . قال ياقوت كتبت منه نسخة بخطي في عشرة(٢٤) مجلدات وجمعت تراجمه ونبهت على فوائده وذكرت السبب الذي من أجله وضع » .

كان ابو الفرج من أصحاب الوزير المهلبي الخصيصين به(٢٥) . كان أبو الفرج وسخاً في نفسه ثمّ في ثوبه قذراً . لم يكن يغسل دراعة يلبسها ، ولا تزال عليه الى أن تُبلى . وكان له قطّ أسمه يقّق مرض ذلك القِطّ بقولنج فحقنه(٢٦) بيده . فخرج الغائط على(٢٧) يديه وطرق الباب عليه بعض أصحابه الرؤساء فخرج اليهم وهو بتلك الحال لم يغسل يديه ، واعتذر اليهم بشغله عنهم بامر القطّ . وكان أكولاً نهماً ، فإذا ثقل الطعام على معدته تناول خمسة دراهم فلفلاً مطحوناً (فلا) يؤذيه ، ولا تدمع منه عيناه وكان لا يقدر (أن)(٢٨) ياكل حمصة واحدة ولا ياكل طعاماً فيه حمص . فإذا أكل شيئاً يسيراً منه شُري بدنه كله ، وبعد ساعة أو ساعتين يفصد . وربما فصد بذلك دفعتين . قال ولَم ادع طبيباً حاذقاً إلا سألت عن ذلك ولا يخبرني عن السبب ولا يخبرني عن

الدواء . فلما كان قبل فالجه ذهبت عنه العادة في الحمص ، فصار ياكله ولا يضره ، وبقيت عليه عادة الفلفل . وكان يوماً هو والوزير المهلبي في مجلس شراب ، فسكر الوزير ولم يبق أحد من الندماء غير أبي الفرج ، فقال : يا أبا الفرج أنا اعْلم أنك تهجوني سراً فاهجني الساعة جهراً . فقال أيها الوزير إنْ كنت مللتني أنقطعت . وإنْ كنت تؤثر قتلي فالسيف . فقال : لابدَّ من ذلك فقال : ألف (...)[29] بلولب . فقال الوزير : في (...)[30] أمّ المهلب . فقال (قل)[31] مصراعاً آخر . (١٢٨ / أ) فقال الطلاق يلزم الاصبهاني إنْ زادَ على هذا . وكان أبو القاسم الجهني على فضله فاحش الكذب . كان بعض الايام في مجلس فيه أبو الفرج فجرى النُمنع[32] والى أي حدٍّ يطول فقال الجهنيّ في البلد الفلاني نعنع يتشجر حتى يعمل من خشبه السلالم . فاغتاظ ابو الفرج من ذاك . وقال : نعم عجائب الدنيا كثيرة ، ولا يدفع هذا ولا يستبعد ، وعندي ما هو أعجب وأغرب وهو زوج حمام راعبي يبيض في كل نيف وعشرين يوماً بيضتين فانتزعهما[33] من تحته واضع مكانهما[34] صنجة[35] مائة وصنجة خمسين فإذا انتهت من الحضان فقست الصنجتان عن طست وابريق وسطل وكرنيب[36] . فعم أهل المجلس الضحك وفطن الجهنيّ وانقبض عن كثير مما كان يحكيه .

ومن تصانيف أبي الفرج الاصبهاني كتاب الاغاني الكبير ، وكتاب مجرد الاغاني ، وكتاب التعديل والانتصاف في اخبار القبائل وانسابها ، وكتاب مقاتل الطالبيين ، وكتاب أخبار القيان ، وكتاب الاماء الشواعر ، وكتاب المماليك الشعراء ، وكتاب أدب الغرباء ، وكتاب الديّارات ، وكتاب تفضيل ذي الحجة ، وكتاب الأخبار والنوادر ، وكتاب أدب السماع ، وكتاب اخبار الطفيليين ، وكتاب مجموع الاخبار والاثار ، وكتاب الخمارين والخمارات ، وكتاب الفرق والمعيار في الأوغاد والاحرار وهو رسالة عملها في هارون المنجم ، وكتاب دعوة التجار ، وكتاب أخبار جحظة (البرمكي)[37] ، وكتاب جمهرة النسب ، وكتاب نسب بني عبدشمس ، وكتاب نسب بني شيبان ، وكتاب نسب المهالبة ، وكتاب نسب بني تغلب ، وكتاب الغلمان (المغنين)[38] ، وكتاب مناجيب الخصيان عمله للوزير المهلبي في خصيين كانا له مغنيين ، وكتاب الحانات[39] .

ومن شعره ما كتبه الى الوزير المهلبي يشكو[40] الفار ويصف الهرّ .

يـالَحُـدبِ الظهـور قُضـع الـرقـاب
لـدِقـاقِ الانيـاب والاذنـابِ
خُلِقْتَ للفسـاد مـذ خُلق الخلـ
ـقُ وللعَيْث والاذى والخـراب
نـاقبـات في الارض والسقفِ والحيـ
ـطان نقبـاً أعيـا على النقّـابِ
آكـلات كـلّ المـآكـل لاتـا
مَنْهـا شـاربـات كـلُ الشـرابِ
آلفـات قـرضَ الثيـاب وقـد يعـ
ـيِل قـرضَ القلـوب قـرضُ الثيـابِ
(١٢٨ / ب) زَالَ هَميّ منهن أزرقُ تركـ
ـيُ السَّبـالين أنمـرُ الجلبـابِ
ليثُ غـابٍ خَلْقـاً وخُلْقـاً فمن لا
ح لعينيـه خـالَـه ليثَ غـابِ
نـاصب طـرفَـه إزاءَ الـزوايـا
وإزاء السقـوف والابـوابِ
ينتضي الظفـر حين يطفُـر للصيـ
ـد وإلا فظفـره في قِـرابِ
لا تـرى أخبثيـه عينٌ ولا يعـ
ـلم مـا جنّتـاه غيـر التـرابِ
قـرّطـوه وشنّفـوه وخلّـو
ه أخيـراً وأوّلا بـالخضـابِ
فهـو طـوراً يمشي بحَلى عـروسِ
وهـو طـوراً يخطـو على عنـابِ
حبـذا ذاك صاحبـاً هـو في الصحـ
ـبـة أوفَى من أكثـرِ الاصحـابِ

وقال يرثي ديكاً وهو من جيد ما قيل في مراثي الحيوان . ومن مختارات الشعر . وقد كتبتُ القصيدة باسرها لجودة وصفها واحكام رصفها . فإنها عذبة الالفاظ بديعة المعاني مطردة الاجزاء مُتسقة القوافي وهي هذه[41] .

خطب طـرقت بـه أمـرٌ طـروقِ
فَظُّ الحلـولِ عليّ غيـر شفيقِ
فكـأنمـا نُـوَبُ الـزمـانِ محيطـةٌ
بي راصـداتٌ لي بكـلِّ طـريقِ
حتى متى تُنحي على صـروُفهـا
وتغصّني فَجعـاتُهـا بـالـريقِ
نهبت بكـل مصـاحبٍ ومنـاسبٍ
ومُـوافق ومُـرافق وصـديقِ

حتى بـــديـــكِ كنت آلفُ قـــربـــه
حسنٍ التّي من الـــديـــوك رشيقِ
القى عليـــه الـــدهـــر منـــه كلكـــلاً
يفني الـــورى ويشت كـــل فـــريقِ
ورمـــاه منـــه بحـــد سهم شبـــاكـــه
لـــذخـــائـــر المستظهـــرين علـــوقِ
غلبت صـــروف الـــدهـــر فيـــه محالتي
إنّي لـــريب الـــدهـــر غيـــر مُطيقِ
حـــزني عليـــه دائم مـــا غـــردت
وُرْقُ الحمـــام ضحى بـــذروه نيقِ
أربيبُ منـــزلنـــا ونشـــو حجـــورنـــا
وغـــذي أيـــديـــنـــا نـــداء مشـــوقِ
لهفي عليـــك أبـــا النـــذيـــر لـــو أنّـــه
دفـــع المنـــايـــا عنـــك لهف شفيقِ
وعلى شمـــائلـــك اللـــواتي مـــا نمت
حتى نوت من بعـــد حسن سمـــوقِ
(١٢٩ / آ) لما يفعت وصرت عِلقَ مَضِنَّةٍ
ونشـــات نشء المقبـــل المـــومـــوقِ
وتكـــاملت جُمَـــلُ الجمـــال بـــاسـرهـــا
لـــك من جليـــلٍ واضـــح ودقيقِ
وكُمِيتَ كـــالطـــاووس ريشـــا لامعـــاً
متـــلالئـــاً ذا رونقٍ وبـــريقِ
من حمـــرة في صفـــرة في خضـــرة
تخييلُهـــا يُغني عن التحقيقِ
عَـــرَضٌ يَجِـــل عن القيـــاس وجُـــوهـــرٌ
لَطُفت معـــانيـــه عن التـــدقيقِ
وخطـــرت مُلتحفـــاً ببـــردٍ حَبَّـــرت
منـــه بَـــديـــع الـــوشي كفُ انيقِ
كـــالجُلنـــارة أو صفـــاء عقيقـــةٍ
أو لمـــع نـــارٍ أو وميض بُـــروقِ
أو قهـــوةٍ تختـــال في بلّـــورة
بتـــالق التـــرويق والتصفيقِ
وكـــأنّ ســـالفتيـــك تبـــر ســـائـــل
وعلى المفـــارق منـــك تـــاج عقيقِ
وكـــأنّ مجرى الصـــوتِ منـــك إذا نبت
وجفت عن الاسمـــاع بُـــحُ حلـــوقِ
نـــايٌ دقيق نـــاعمٌ قـــرنت بـــه
نغمٌ مـــؤلفـــة من المـــوسيقى
يـــزقـــو ويصفق بـــالجنـــاح كمنتشٍ
وصلت يـــداه النقـــر بـــالتصفيقِ
ويمس ممتطيـــاً لسبـــع دجـــائـــج
مثـــل المهـــاري أحـــدقت بفنيقِ
فيميـــرنـــا منهن بيضـــاً دائمـــا
رزقـــاً هنيئـــاً[٤٢] ليس بـــالممحـــوقِ
فيـــه بـــدائـــع صنعـــةٍ ولطـــائف
اتقن بـــالتهـــذيب والتـــدقيقِ
خلقـــان مـــائيـــان مـــا اختلطـــا علي
سيـــل ومـــوتلف المـــزاج رقيقِ
صنـــع يـــدل على حقيقـــة صـــانـــع
للخلق طُـــرا ليس بـــالمخلـــوقِ
فبيـــاضهـــا ورقٌ وتبـــر مُحهـــا
في حقّ عـــاجٍ بطنت بـــدبيقي
يغـــدو علينـــا من طهـــاه بعجـــةٍ
ويـــروح بـــالمشـــوي والمسلـــوقِ[٤٣]
نعم لعمـــرك لـــو تـــدوم هنيئـــة
هـــل دام رزق لامـــرىء مـــرزوقِ ؟
أبكي إذا ابصـــرتُ زَنقَـــك متـــوحشـــاً
بتحنّن وتـــاسفٍ وشهيقِ
ويـــزيـــدني جـــزعـــاً لفقـــدكَ صـــادح
في منـــزلٍ دانٍ التيّ لصيقِ
فـــزعَ الفـــؤاد وقـــد زقـــا فكـــانـــه
نـــادى ببَيْنٍ أو نعيُ شقيقِ
فتـــاسفي أبـــداً عليـــك مُـــواصَـــلٌ
بســـوادِ ليـــلٍ أو بيـــاض شـــروقِ
(١٢٩ / ب) وإذا أفاق ذوو المصائب سَلْوةً
وتَصبّـــروا أمسيتُ غيـــر مفيقِ
صبـــراً لفقدك لا قلى لـــك بـــل كمـــا
صبـــر الاسيـــر لشـــدة ومَضيقِ
لا تبعـــدن وإن نـــات بـــكَ نِيّـــة
في منـــزل نـــاء المحـــل سحيقِ
ومن شعره ايضاً :[٤٤]
حَضـــرتكمُ نَفـــراً وَفي الكُمّ تُحْفَـــةٌ
فمـــا أذَنَ البَـــوّابُ لي بلقـــائكم

إذا كـان هـذا حـالكُم يَـوْمَ أخـذِكُم

فما حـالكُم بـالله يـوم عطـائكُم

ومنه في المهلبي :(٤٥)

ولمّـا انتجعْنـا لائـذين بظلّـه

أعـانَ ومـا عنّى ومَـانَ ومـا مَنّـا

وَرَدْنـا عليـه مُقتـرينَ فـراشنـا

وَرُدْنـا نـداه مُجـدبين فـأخصبنـا

وله فيه من قصيدة يهنئه بمولود من سُرّيّة روميّة :(٤٦)

أسعِـدْ بمَـولُـود أتـاكَ مُبـاركـاً

كـالبَـدرِ أشرقَ جُنْحَ ليلٍ مُقمـرِ

سَعـدٌ لـوقتٍ سَعـادةٍ جـاءتْ بـه

أمُّ حَصَـانٌ مِنْ بَنَـاتِ الاصْفـرِ

مُتبخبـخٌ في ثروتي شـرفِ العُـلا

بَيْنَ المهلّبِ مُنْتمـاه وقَيْصَـر

شَمْسُ الضُّحى قُرِنَتْ الى بَدرِ الدّجى

حَتّى إذا اجتمَعَـا أتت بـالمُشتـري

وشعره كثير ومحاسنه شهيرة . وكانت وفاته رابع عشر ذي الحجة من هذه السنة . وكان قد خلط قبل أن يموت رحمه الله تعالى .

وفيها توفي اسماعيل بن القاسم بن عَيْذُوْن بالعين المهملة والياء المثناة من تحتها والدال المعجمة ابن هارون بن عيسى ابن سليمان القالي أبو علي البغدادي . ولد بمنازكرد في ديار بكر . ودخل بغداد سنة ثلاث وثلاثمائة . وأقام بها الى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ثمّ انتقل الى الغرب وتوفي بقرطبة في هذه السنة . ومولده سنة ثمانين ومائتين . سمع من أبي القاسم عبدالله بن محمد البغوي وأبي يعلى الموصلي(٤٧) وغيرهما . وأخذ اللغة والغريب عن ابن دريد(٤٨) وأبي بكر بن الانباري(٤٩) وابن درستويه(٥٠) ولمّا دخل الغرب قصد صاحبُ الأندلس الناصر لدين الله عبدالرحمن فاكرمه وصَنّف له ولولده الحكم تصانيف فبث علومه هناك . وكان قد (قرأ)(٥١) كتاب سيبويه على ابن درستويه (١٣٠ / أ) ودقق النظر وانتصر للبصريين ، وأملى أشياءً من حفظه كالنوادر والامالي ، والمقصور والممدود ، والإبل ، والخيل والبارع في اللغة نحو خمسة آلاف ورقة لم يُصنف مثله في الاحاطة والجمع ولم يتم . ورتّب كتاب المقصور والممدود على التفعيل ومخارج الحروف من الحلق مستقصى في بابه لا يشذّ منه . وكتاب فعلت وأفعلت وكتاب مقاتل الفرسان ، وشرح السبع الطوال . قال الحميدي(٥٢) : وممن روى عن القالي ابو بكر محمد بن الحسين الزُّبيدي النحوي صاحب كتاب مُختصر العين ، وأخبار النحاة وكان اماماً في الادب ، ولكن عرف فضل أبي علي فمال اليه ، واختص به واستفاد منه ويقال إنّ الناصر الاموي هو الذي استدعاه من بغداد(٥٣) . قال الزُّبيدي سألته : لِمَ قيل له القالي ؟ فقال : لما انحدرنا الى بغداد ، كنا في رفقة كان فيها أهل قالي قلا ، وهي قرية من قرى منازكرد ، وكانوا يُكرمُون لمكانهم من الثغر(٥٤) . فلما دخلتُ بغداد نسبت اليهم لكوني كنت معهم . قال أبو الحكم مُنذر بن سعيد البلوطي قال : كتبت الى أبي على البغدادي أستعير منه كتاباً من الغرب وقلت :(٥٥)

بحقِّ رِئمٍ مُهَفهفْ

وَصُـدْغِـه المُتَعطّفْ

ابعث إلي بجـزء

مِنَ الغـريب المُصنفْ

قال : فقضى حاجتي وأجاب بقوله :

وحقِّ دُرٍّ تـألف

بفيـكَ أيَّ تـألُّف

لأبعثنّ بمـا قـد

حـوى الغـريب المصنف

ولـو بَعَثْتُ بنفسي

إليـك مـا كنت أسـرف

ومدحه يوسف بن هارون الرّمادي بقصيدته المشهورة التي أولها :(٥٦)

من حَـاكم بيني وبين عـذولي

الشجـو شجـوي والغليـل غليلي

في أي جـارحـة أصـون مُعـذّبي

سلمت من التعـذيب والتنكيـل

إنْ قلتُ في عيني فثمّ مـدامعي

أو قلت من قلبي فثم غليلي

لكني جعلت لـه المسـامع مسكنـاً

وحجبتـه عن عـذل كـل عـذول

(١٣٠ / ب) وثلاث شيباتٍ نزلن بمفرقي

فعلمتُ أن نـزولهن رحيلي

فعـزلنني عن صَبـوتي فلئن نزلـ

ـت لقـد سمعت بـذلـة المعـزول

ثمّ خرج من ذلك الى مدح أبي علي القالي فقال :-

رَوضٌ تعـاهـده السحـاب كـأنـه

متعـاهـدٌ من عهـد اسمـاعيـل

قِســــه الى الاعـــراب تعلم أنـــــه
أولى من الاعـــراب بـــالتفصيــلِ
حـــازت قبـــائلهم لغـــات فـــرقت
فيهم وحـــاز لغـــات كـــلُ قبيـــلِ
فـــالشـــرق خـــالٍ بعـده فكـــانمـا[٥٧]
نـــزل الخـــرابُ بـــريعـــه المـــاهـولِ
فكـــانّـــه شمس بـــدت في غـــربنـا
وتغيبت عن شـــرقهم بـــافـــولِ
يـــاسيـــدي هـــذا ثنـــائي لم أقـــل
زوراً ولا عـــــرّضتُ بـــالتـــويـــلِ
من كـــان يـــامـــل نـــائـــلًا فـــانـــا امرؤ
لم أرجُ غيـــر القَـــرب في تـــاميلي

وفيها توفي سيف الدولة علي بن عبدالله بن حمدان ابن الحارث بن لقمان بن راشد ، أبو الحسن بن أبي الهيجاء التغلبي ممدوح المتنبي وغيره . أصله من الجزيرة ونشا ببغداد ، ونقّبه الامام المتقي لله ، سيف الدولة ، كان فارساً بطلًا فقيها ، شاعراً أديباً بليغاً . ملك ديار مضر وديار بكر ودمشق وحلب . وكانت حلب دار ملكه ومقرّ عزّه . وله مع الروم أربعون وقعة له وعليه . وله مع غيرهم ما لايحصى . قال سنان بن ثابت احصي ما وَفَد عليه من الاجناد وأصحاب السلطان والكتّاب ، وعرف البرّية وأصناف الناس وذلك في يوم عيد أضحى ، فكانوا أثني عشر الفاً ومائتين ، مائوّن لكل واحد من الاضحية على قدر من مائة شاة الى شاة . وزرفته في فداء الاسرى سنة خمس وخمسين وثلاثمائة ، ستمائة الف دينار . وكل ذلك خاتمة عمله لانه مات بعد ذلك بقليل . وقال ابو منصور الثعالبي في كتاب اليتيمة[٥٨] (كان بنو حمدان ملوكاً أوجههم للصباحة ، وألسنتهم للفصاحة وايديهم للسماحة وعقولهم للرجاحة . وسيف الدولة مشهور (١٣١ / أ) بسيادتهم وواسطة قلادتهم وحضرته مقصد الوفود ومطلع الجود وقبلة الامال ومحط الرجال وموسم الادباء وحَلْبة الشعراء . ويقال انه لم يجتمع في باب احد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ونجوم الدهر . وانما السلطان سوق يجلب اليها ما ينفق لديها) . واتفق له أشياء غريبة منها أن خطيبه كان مصنف الخطب النباتية[٥٩] أحد الفصحاء البلغاء وشاعره المتنبي ، ومطربه ابو نصر الفارابي ، وكان شديد الاهتزاز لجيد الشعر مُثيباً عليه باسنى الجوائز . وقد ذكرنا في ترجمة المتنبي ما وصل اليه من سيف الدولة مدة مقامه عنده . وكان مولد سيف الدولة ببغداد سنة اثنتين وثلاثمائة . وتوفي في هذه السنة بعلة الفالج . وقيل بعسر البول بحلب . وحُمِل الى ميافارقين[٦٠] ، ودفن عند أمه . وكان قد جمع من نفض الغبار الذي يجتمع عليه ايام الحروب ما جاء منه لبنة بقدر الكفّ . وأوصى ان يوضع خده عليها في قبره . ففعل به ذلك . ولما مات سيف الدولة تولى أمره القاضي ابو الهيثم بن أبي الحصين وغسّله عبدالحميد بن سهل المالكي قاضي الكوفة سبع مرات أولا بالماء والسِّدر ثمّ بالصندل ثمّ بالذَّريرة ثمّ بالعنبر ثمّ بالكافور ثمّ بماء الورد ثم بالمسك ثم بماء تراح ونشف بثوب دبيقيّ[٦١] ثمنه خمسون ديناراً وكفن في سبعة أثواب تساوي الفي دينار بعد أن طهر بمائتي مثقال غالية ومَنّين كافور وصلى عليه ابو عبدالله الاقداسي العلوي الكوفي وكبّر عليه خمساً . وحُمِل في تابوت الى ميافارقين ومَلَك بعده ابنه سعد الدولة . ويقال إنّ في أيامه لقي جندي جندياً من أصحاب سيف الدولة . فقال له : كيف أنتم ؟ فقال كيف نحن ؟ قد بُلينا بشاعر كذّاب وسلطان خفيف الركاب . يعني بذلك المتنبّي وسيف الدولة . وكان سيف الدولة قد استولى على واسط ونواحيها . وتنقلت به الاحوال ، فانتزع حلب سنة ثلاث وثلاثين (وثلاثمائة) من أحمد ابن سعيد الكلابي نائب الاخشيد وكان[٦٢] كثير الافضال على الطالبين وأشياعهم ومنتحلي مذهبهم (١٣١ / ب) وكان ناصر الدولة أخوه يحبُّ سيف الدولة وهو اكبر منه . قال : أنفقت من المال مائة الف دينار حتى (تلقبتُ)[٦٣] سيف الدولة وكان سيف الدولة يعظم اخاه ناصر الدولة . وله فيه أشعار تاتي عند ذكر ناصر الدولة في سنة ثمان وخمسين ان شاء الله تعالى ، قيل عاد سيف الدولة من بعض غزواته وجلس للتهنئة والشعراء ينشدونه ، فدخل رجل من أهل الشام طويل الرقبة ، كبير الذقن ، فانشده أبياتاً[٦٤] مرذولة الى أن قال منها :

فكـــانوا كفـــار وَسْوسَـــوًا خَلْفَ حـــائطٍ
وكُنتَ كِسنْـــــــوْرٍ عَلَيْهم تَسَلقـــــــا

فامر به سيف الدولة فوجيء في حلقه حتى انقضى المجلس . فسال[٦٥] هل بالباب احد ؟ فقيل ذلك الشاعر جالس في الدهليز يبكي ويتالم . فامر باحضاره . وقال له : ما حملك على ما قلته ؟ فقال : أيها الامير ما أنصفتني لاني آتيتك بكل جهدي لطلب بعض ما عندك فنالني منك ما نالني . فقال من يكون هذا نثره ، يكون ذاك نظمه ، كم كنت أمّلتَ بهذه القصيدة ؟ قال : خمسمائة درهم . قال : أضعفوها له .

وقدم عليه اعرابي رث الهيأة فانشده :-

أنتَ عليّ[٦٦] وهــــــــــــذه حَلَبُ

قَــدْ نَفَــذَ الــزّادُ وانتهى الطلبُ
بهــذهِ تفخــرُ البــلادُ وبــالـ
أميــر تُــزْهى على الــورى العــربُ
وعَبْــدُكَ الــدهرُ قــد أضــرَّ بنــا
إليــك من جَــوْرِ عبــدك الهــربُ

فامر له بمائتي دينار من دنانير الصلات ، كل دينار عشرة دنانير عليه اسمه وصورته . وطلب رسول سيف الدولة لما قدم الحضرة ببغداد من ابراهيم(٦٧) بن هلال الصابي شيئاً من شعره . فكتب معه الى سيف الدولة :(٦٨)

إنْ كُنتُ خُنتكَ في الامانــة ســاعةً
فــذ ممتُ سَيْفَ الــدولــةِ المَحْمُــودا
وَزَعَمْتُ أنّ لَــهُ شَــريكــاً في العُــلا
وجَحَــدتُــهُ في فَضْلــهِ التّــوحيــدَا
قَسمَــاً لــو أنّي حَــالِفٌ بِغَمُــوسهَــا
لغَــريمِ دينٍ مَــا أرادَ مَــزيــدَا

فبعث اليه بثلاث آلاف دينار لكل بيت الف دينار . وقال الببغاء ما حفظنا له جُرماً إلا في يوم واحد فإنه كان في مجلس خلوة ونحن قيام بين يديه ، فدخل أبو فراس(٦٩) وكان بديعاً في الحسن فقَبَّل يده (١٣٢ / أ) فقال فمن أحقُّ بها من يدي ، والناسُ يُسمّون عصره وزمانه الطراز المذهب ، لان الفضلاء الذين كانوا عنده والشعراء الذين مدحوه لم يأت بعدهم مثلهم(٧٠) (و) قد ذكرنا أن خطيبه كان ابن نباته ومعلمه ابن خالويه(٧١) وطباخه كشاجم(٧٢) ، وخزان كتبه الخالديين(٧٣) . والمتنبي والسلامي(٧٤) والوأواء(٧٥) والببغاء(٧٦) والنامي(٧٧) وابن نباته السعديّ(٧٨) وغيرهم شعراؤه .

ومن شعره في أخيه ناصر الدولة صاحب الموصل(٧٩) .

رضيتُ لــك العَليــا وقــد كُنتَ أهلهَــا
وقلتُ لهم بيني وبين أخي فــــرقُ
ومــا كــان لي عنهــا نكــولٌ وإنّمــا
تجــاوزت عن حقي فتمّ لــكَ الحقُّ
أمــا كنت تــرضى أن أكــونَ مُصليــاً
إذا كنت ارضى أن يكــونَ لــك السبقُ

ومن محاسن شعر سيف الدولة ما قاله في وصف قوس قزح . وقد ابدع فيه كلّ الابداع . وقيل إنّها لغيره ، لكن الثعالبي ذكرها في اليتيمة له(٨٠) :

وســاقٍ صبيــح للصَّبُــوح دَعــوتُــهُ
فقــام وفي أجفــانــه وسنَــةُ الغُمْضِ
يطــوف بكــاســاتِ العُقــار كــانجم
فَمِنْ بينِ منقضٍّ علينــــا ومنفضِ
وقــد نَشَرت أيــدي الجنوب مَطــارفاً
على الجوّ دُكناً والحــواشي على الارضِ
يُطــرّزهــا قــوس السحــابِ بــاصفــرٍ
على أحمــرٍ في أخضــرٍ فــوق مُبيضِ
كــاذيــال خَــوْدٍ أقبلت في غــلائــل
مُصَبّغــةٍ والبعض أقصــرُ من بعضِ

وهذا من التشبيهات الملوكية التي لا تحضر مثلها للسوقة . والبيت الاخير أخذ معناه من قول أبي علي الفرج بن محمد ابن الاخوة ، المؤدب البغدادي ، فإنّه قال في فرس أدهم مُحَجّل :

لَبس الصُّبــحَ والــدُّجُنّــة بُــردَيـ
ـن فــارخَى بُــرداً وقَلّص بُــردا

وقيل هذا البيت لعبدالصمد بن المعذل(٨١) وكان لسيف الدولة جارية من بنات ملوك الروم في غاية الجمال ، فحسدها بقية الحظايا لقربها منه ، ومحلها من قلبه ، وعَزَمن على ايقاع مكروه بها من سُم أو غيره ، فبلغه الخبر فخاف عليها : فنقلها الى بعض الحصون احتياطاً وقال(٨٢) :

راقبتني العيــونُ فيــكِ فــأشفقْـ
ـتُ ولم أخْــلُ قطُّ من اشفــاقِ
ورايتُ العــدوّ يَحسُــدني فيـ
ـكِ مجّــداً يــا أنفس الأعــلاقِ
(١٣٢ / ب) فتمنيتُ أن تكوني بعيداً
والــذي بيننــا من الــودِّ بــاقِ(٨٣)
رُبَّ هجــر يكــون من خــوف هجــر
وفــراقٍ يكــون خَــوْفَ فــراقِ

ومن شعر سيف الدولة(٨٤) :

أقبّلــــه على جَــــزَعِ
كشُــربِ الطــائــر الفَــزِعِ
رأى مــــاءً فــــاطمعــه
وخــــاف عــــواقب الطمــــعِ

وصـــائف خلســـة فـــدنـــا
ولم يلتـــذ بـــالجُـــزع

ويحكى أنّ ابن عمه أبا فراس كان يوماً بين يديه في نفر من ندمائه فقال سيف الدولة :

أيكم يُجيز قولي ، وليس له إلا سيدي ، ويعني أبا فراس وأنشدَ :

لـــــــكَ جسمي تُعِلُـــــه
فـــــدمي لم تُطِلـــــهُ

فارتجل ابو فراس وقال :(٨٥)

قـــال إنْ كنت مـــالكـــاً
فليَ الأمـــــر كُلـــــهُ
لـــــك من قلبي المكـــا
ن فلم لا تَحلّــهُ

فاستحسنه واعطاه ضيعة بمنْبج ، تُغِلُ في السنة الفي دينار .

ومن شعر سيف الدولة :(٨٦)

تجنّى عليّ الــذنبَ والــذنبُ ذنبه
وعــاتبني ظلمــاً وفي نعلــه العتبُ
إذا بَـرِمَ المـولى بخـدمـة عبـده
تجنّى لــه ذنبــاً وإنْ لم يكن ذنبُ
وأعــرضَ لمــا صــار قلبي بكفـه
فهــلّا جفــاني حين كــان لي القلبُ

وللشيخ أيدمر الصوفي دوبيت في معنى البيت الأخير وهو قوله :(٨٧)

قـــوم نقضـوا عهــودنـا بـالشُغبِ
من غيـــر جنـــايـــة ولا عن ذنبِ
صـــدوا وتعتبـــوا وقـــد همتُ بهم
هـــلّا هجـــروا وكـــان قلبي قلبي

قال أبو القاسم عثمان بن محمد العراقي قاضي عين زَرْبَة(٨٨) حضرت مجلس سيف الدولة بحلب ، وقد وافاه القاضي أبو نصر محمد بن محمد النيسابوري ، فطرح من كمه كيساً فارغاً ودرجاً فيه شعر ، فاستأذن في الانشاد ، فأذن له ، فانشد قصيدة أولها :ـ

جبـــاك معتـــادٌ وأمـرك نـــافــذ
وعَبْـــدُك محتـــاج الى الف درهم

فلما فرغ (من)(٨٩) إنشاده ضحك سيف الدولة ضحكاً شديداً ، وأمرَ لهُ بألفِ درهم ، فجعلت في الكيس الفارغ الذي كان معه .

وكان ابو بكر محمد وأبو عثمان سعيد ابنا هاشم المعروفان بالخالديين (الشاعران المشهوران) وأبو بكر اكبرهما ، قد وصلا الى حضرة سيف الدولة ومدحاه ، فانزلهما وقام بواجب حقهما . (١٣٣ / أ) وبعث لهما مرة وصيفة ووصيفاً . ومع كل واحد منها بدرة وتحتها ثياب من عمل مصر ، فقال احدهما من قصيدة :(٩٠)

لم يَغـدُ شكرك في الخـلائق مطلقـاً
إلّا ومــالُــكَ في النــوال حبيسُ
خـوّلتنــا شمســاً وبـدراً أشـرقت
بهمــا لــدينــا الظلمـة الحنـديسُ
رشــأ أتــانــا وهـو حسنـاً يوسفٌ
وغــزالـــةٌ هي بهجـــةً بلقيسُ
هــذا ولم تقنــع بـذاك وهــذه
حتى بعثت المــالَ وهـــو نفيسُ
أتت الــوصيفـة وهي تحمـل بـدرة
وأتى على ظهــر الــوصيف الكيسُ
وحَبَـوْتنـا ممـا أجـادت حـوكـه
مصـــرُ وزادت حسنـــه تنيسُ
فغــدا لنـا من جـودك المـاكـول والـ
ـمشـــروب والمنكـــوح والملبـــوسُ

فقال سيف الدولة إلا في لفظة المنكوح ، فليست مما يخاطبُ الملوك بها .

ومن شعر سيف الدولة يصف مخدة :(٩١)

ومـــرقّـــة منهـــا استغنـــا
د الـــزهـــرُ أصنـــافُ الملـــح
تلمـــحُ منهـــا العينُ من
ريشِ الطـــواويسِ لمـــح
كـــانمـــا داز على
شمـــائـهـــا قـــوس قـــزح

ومن شعره :(٩٢)

وقـــد جـــرى في دمعـــه دمـــه
فـــالي كم أنت تظلمُـــه ؟

رُدّ عنه الطرف منك فقد
جرحته منك أسهمُهُ
كيف يستطيع التجلّد مَنْ
خطرات الوهم تؤلمُهُ

ومن شعره (٩٣):

كأنما النار والرماد معاً
وضوءها في ظلامةٍ يحجبُ
وجنةُ عذراء مسّها خجلٌ
فاستترت تحت غبير أشهبُ

ومحاسن سيف الدولة واخباره مع الشعراء كثيرة رحمه الله تعالى :

وفيها توفي كافور أبو المسك الخادم الاسود الحبشيّ الاخشيدي، الاستاذ السلطان، اشتراه ابو بكر محمد بن طغج الاخشيد(٩٤) من بعض رؤوساء المصريين بثمانية عشر ديناراً. وكان أسود بصاصاً. وتقدم عند الاخشيد لعقله ورأيه وسعده الى (أن صار)(٩٥) من كبار القواد. وجهزه في جيش لحرب سيف الدولة، ثم لما مات استاذه صار أتابك ولده انوجور، وكان صبياً(٩٦) (١٣٣ / ب) فغلب كافور على الامور. قال وكيله: خدمت كافور وراتبه كل يوم ثلاث عشرة جراية وتوفي وقد بلغت ثلاثة عشر الف جراية، وكان أنوجور ملك مصر والشام إلا اليسير، ثمّ مات انوجور سنة تسع واربعين وثلاثمائة واقيم مكانه أخوه ابو الحسن علي، ومات في أوائل سنة خمس وخمسين وثلاثمائة. فاستقل كافور في الامر وركب في الدست بخلع أظهر أنها جاءته من الخليفة وتقليد(٩٧)، وتمّ له الامر. ولم يبلغ أحد من الخدم ما بلغه. وكان ذكياً له نظر في العربية والادب والعلم. وممن كان في خدمته ابراهيم البحيري صاحب الزّجاجي النحوي. وكانت أيامه سديدة جميلة. ودعي له على المنابر بالحجاز ومصر والشام والثغور طرسوس والمصيصة واستقل بملك مصر بمفرده من غير مشارك سنتين وأربعة أشهر. وتوفي في جمادي الاولى من هذه السنة. وعاش بضعاً وستين سنة، ودفن بالقرافة الصغرى وكان وزيره جعفر بن الفرات.

وكان كافور يُحبّ الخير وكان يأخذ نفسه برئاسة كبيرة. يقال انه كان يوماً ماراً في الكافورين بالقاهرة، فصاحت امرأة يا كافور وهو غافل، فالتفت اليها، ورأى أنّ ذلك نقص منه وهفوة. فكان كلما مَرّ هناك التفت ولم تزل عادته الى أن مات. ويقال أيضاً أنه مَرّ يوماً بباب اللوق وأناس من الحرافيش السودان يضربون بالطبيلة ويرقصون فنسي روحه طرباً. فلم يزل بعد ذلك يهزّها كل قليل الى أن مات. ومدحه ابو الطيب المتنبي بقصائده الطنانة. فمن ذلك قصيدته التي منها(٩٨):

وخيلاً سَنَدْنا بين آذانها القنا
فبتنَ خِفافاً يَتّبعْنَ العَوالِيا
تجانبُ منها في الصباح أعنة
كأنّ على الاعناقِ منها أفاعيا
قواصد كافور توارك غيره
ومَنْ قصَدَ البحر استقل السواقيا
فجاءتْ بنا إنسانَ عَيْنِ زَمانِه
وخلّت بياضاً خلفها ومآقيا

ومنها:

ويحتقر الدُّنيا احتقار مُجَرّبِ
يَرى كُلَّ ما فيها وحاشاه فانيا

وله في قصيدته التي أولها(٩٩):

(١٣٤ / أ) أغالبُ فيكَ الشّوقَ والشّوقُ أغلب
وأعجَبُ من ذا الهَجْرِ والوَصْلُ أعْجَبُ

ويقول فيها:

واخلاقُ كافُور إذا شِئْتُ مَدْحَهُ
وإنْ لم أشأ تُملي عليّ وأكْتُبُ
إذا تركَ الانسانُ أهلاً وراءهُ
ويَمّمَ كافوراً فما يتغربُ

ويقال إنّه لما فرغ منها، قال يعزّ على أن تكون هذه في غير سيف الدولة. وحكي عنه أنه قال كنت إذا دخلت على كافور أنشده يضحك إليّ ويَبِشّ في وجهي الى أن أنشدته يوماً قصيدتي التي منها(١٠٠):

ولمّا صار وُدّ النّاسِ خبّاً
جَزَيْتُ على ابتسامٍ بابتسامِ
وصِرتُ أشكّ فيمَنْ أصطفيه
لعلمي أنّه بعضُ الانامِ

قال: فما ضحك بعدها في وجهي الى أن تفرقنا، فعجبت من فطنته ونكائه ولأبي الطيب فيه الاهاجي المؤلمة مثل قوله(١٠١):

ما كُنْتُ أحسَبُني أحيا الى زمنٍ
يُسيءُ بي فيه كَلْبٌ وهو محمُودُ

وأنّ ذا الاسْودَ المثقوبَ مِشفرُهُ
تطيعُهُ ذِي العَزاريط الرّعاديد
أكلما اغتالَ عَبْدُ السُّوءِ سَيّده
أوضامهُ فَلَهُ في مِصْر تمْهيدُ
صَار الخَصيُّ إمامَ الابقينَ بها
فالحرُّ مُسْتَعبدٌ والعَبْدُ مَعْبودُ
نَامَتْ نَواطيرُ مِصرٍ عَنْ ثَعالبِها
وقَد بَشِمْنَ وما تَفْنَى العناقيدُ
العَبْدُ ليس لحُرٍ صَالحٍ بأخٍ
لو أنّه في ثيابِ الحُرِّ مَوْلودُ
لا تَشترِ العَبْدَ إلّا والعصا مَعَهُ
إنّ العَبيدَ لانجاسٌ مناكيدُ
مَنْ عَلّم الاسودَ المخصيَّ مَكرُمَةً
أقومُهُ البيضُ أم آباؤه الصِّيدُ
أَمْ أذنُهُ في يَدي النّخّاس داميةً
أم قَدْرهُ وهو بالفلسَين مَرْدودُ
مِن كُلِّ رخوٍ وكاءِ البطنِ منفتقٍ
لا في الرِّجال ولا النِّسْوانِ مَعْدُودُ
إنّ امرأً أمَهُ حُبلَى تُسَبِّرُهُ
لمُسْتَضَامٌ سَخِينُ العينِ مفئودُ[102]
وَيْلُمّها[103] خُطّةً وَيْلُمُّ قَابِلِها
لِمثلِها خُلِقَ المَهْرِيَّةُ القُودُ
وعِندها لَذَّ طعم المَوتِ شارِبُهُ
إنّ المنيّةَ عِنْد الذُّل قِنْديدُ
أوْلى اللِّئام كُوَيفيرٌ بمَعْذِرةٍ
في كُلِّ لؤمٍ وبعض العُذر تَفْنيدُ
وذاكَ أنّ الفُحُولَ البيضَ عاجزةٌ
عن الجَميلِ فكيفَ الخِصيةُ السُّودُ
(١٣٤ / ب) وقال فيه أيضاً يهجوه[104]:
أريكَ الرِّضى لو أخْفَتِ النفس خَافيا
وما أنا عَنْ نَفْسي ولا عنكَ رَاضيا
أميناً وإخلافاً وغَدراً وخِسّةً
وجُبناً أشخصاً لحتَ لي أم مَخَازيا
تظنُّ ابتساماتي رَجاءً وَغِبطةً
وما أنا إلا ضَاحِكٌ من رجائيا
وتعجُبني رِجْلاكَ في النَّعْلِ انّني
رأيتكَ ذا نَعْلٍ إذا كنْتَ حَافيا
وإنّكَ لا تَدري ألونُكَ أسْودٌ
مِنَ الجهلِ أم قد صَارَ ابْيَضَ صَافيا
ويُذكِرني تَخْييطَ كعْبِكَ شَقُّهُ
ومَشْيَكَ في ثوبٍ من الزَّيتِ عاديا
ولولا فضولُ النّاسِ جئتكَ مادحاً
بما كنتُ في سِرّي به لك هَاجيا
فأصبحتَ مَسروراً، بما أنا مُنْشِدٌ
وإن كانَ بالانشادِ هَجْوك غاليا
فإن كنتَ لا خيراً أفدتَ فإنّني
أفَدْتُ بلَحْظِي مِشفَريك الملَاهيا
ومِثلُكَ يُؤتَى من بلادٍ بَعيدةٍ
ليضْحِكَ رباتِ الحدادِ البَوَاكيا
وقال فيه أيضاً[105]:
مِنْ أيّةِ الطُّرقِ يأتي مثلكَ الكَرَمُ
أينَ المَحَاجِم يا كَافُورُ والجَلَمُ
لا شيءَ أقبحُ من فَحلٍ له ذَكَرٌ
تقودُهُ أمةٌ ليست لها رَحِمُ
سَاداتُ كُلِّ أُناسٍ من نُفُوسِهم
وسادةُ المسْلمينَ الاعبدُ القَزَمُ
أغايَةُ الدِّين أنْ تُحفُوا شَوارِبكم
يا أمةً ضَحكتْ من جَهْلها الامَمُ
ولمّا غزا كافور دنقلة وأكثر جيشه سودان قال شاعر:
ولمّا غزا كافورُ دُنقلةً غدا
بجَيشٍ كطوْلِ الارضِ في مثله عرضُ[106]
غزا الاسودُ السودانَ في رَونقِ الضُّحى
فلما التقى الجمعان اظلمتْ الارضُ
وأخبار كافور كثيرة. وكانت وفاته في جمادي الأولى من هذه السنة. وقيل من التي بعدها، وهو قول القضاعي[107] والله اعلم.

قال الشيخ شمس الدين: وفيها توفي ابو محمّد المَعْقِلي[108] احمد بن عبدالله بن محمد المزوني الهرويّ، أحد الائمة. قال الحاكم: كان امام أهل خراسان بلا مدافعة (١٣٥ / أ) سمع أحمد بن نجدة وابراهيم بن أبي طالب ومطيناً وطبقتهم. وكان فوق الوزراء، وكانوا يصدرون عن رأيه.

وفيها توفي الرّفاء[109] أبو علي حامد بن محمد الهرويّ الواعظ المحدث بهراة في رمضان روى عن عثمان الدارميّ والكديميّ وطبقتهما. وكان ثقة صاحب حديث.

وفيها توفي الرافقي[110] ابو الفضل العباس بن محمد

أبن نصر بن السري ، روى عن هلال بن العلاء وجماعة ، وتوفي بمصر . قال يحيى بن علي القطان(١١١) تكلموا فيه .

وفيها توفي عبدالخالق بن الحسن بن علي ، ابو محمد السّقطي(١١٢) المُعدل ببغداد روى عن محمد بن غالب تمتام وجماعة .

وفيها توفي ابو الفتح عمر بن جعفر بن محمد بن سليم الخُتّلي(١١٣) الرجل الصالح ببغداد وله خمس وثمانون سنة . روى عن الكديمي وطبقته .

هوامش النصّ

١ ـ يُنظر الاصل في المخطوطة .

٢ ـ ما بين عضادتين اضافة يقتضيها السياق .

٣ ـ يُنظر الاصل في المخطوطة / وفي الاصل (ففي) .

٤ ـ في الاصل (ابو الحسن) والتصحيح من وفيات الاعيان ١ / ١٧٤ .

٥ ـ في الاصل (الدرب) والتصحيح من المختصر في اخبار البشر ٢ / ١٠٦ ، ومعنى الذَّرب . « الداء الذي يَعرض للمعدة فلا تهضم الطَّعام ، ويفسد فيها ولا تمسكه » يُنظر لسان العرب (ذرب) .

٦ ـ ما بين عضادتين اضافة يقتضيها السياق .

٧ ـ ما بين عضادتين اضافة يقتضيها السياق .

٨ ـ ورد النص ببعض الاختلاف في تكملة تاريخ الطبري . يُنظر ذيول تاريخ الطبري ٤٠٧ .

٩ ـ ينظر الاصل في المخطوطة .

١٠ ـ في الاصل (وكان عمر معز الدولة يوم توفي ثلث وخمسون سنة) .

١١ ـ ما بين عضادتين اضافة يقتضيها السياق .

١٢ ـ الابيات في تكملة تاريخ الطبري / ٤٠٧ ، ووفيات الأعيان ١ / ١٧٦ .

١٣ ـ الدارقطني هو الامام الحافظ ابو الحسن علي بن عمر بن أحمد البغدادي المقرىء المحدث ، من أهل دار القطن ببغداد (ت / ٣٨٥ هـ) من مؤلفاته : المؤتلف والمختلف ، تنظر ترجمته في شذرات الذهب ٣ / ١١٦ .

١٤ ـ ينظر الاصل في المخطوطة .

١٥ ـ ذكر النص الخطيب البغدادي في تاريخه ببعض الاختلاف . يُنظر تاريخ بغداد ١١ / ٣٩٨ .

١٦ ـ الذهبي ، هو ابو عبدالله محمد بن احمد بن عثمان / ت ٧٤٨ هـ ومن مؤلفات الحافظ : ميزان الاعتدال في نقد الرجال / والعبر في خبر مَنْ غبر ، ينظر كتاب شذرات الذهب ٦ / ١٥٣ .

١٧ ـ ابن أبي الفوارس ، هو محمد بن احمد ، المتوفى سنة ٤١٢ هـ . تنظر ترجمته في شذرات الذهب ٣ / ١٩٦ ، وتاريخ بغداد ١١ / ٤٠٠ .

١٨ ـ ورد النص في معجم الادباء ١٣ / ١٢٥ .

١٩ ـ في الاصل (به) .

٢٠ ـ في الاصل (ابيمث) .

٢١ ـ في الاصل (اهدي) .

٢٢ ـ في الاصل (به) وقد كرر ذلك لاحقاً .

٢٣ ـ في الاصل (مايتي الف ـ) وفي الاغاني (مائة الف) وفي معجم الادباء (مالتين وستة آلاف) ١٣ / ٩٧ .

٢٤ ـ ينظر النص في معجم الادباء ١٣ / ٩٨ . اما العدد (عشرة) يكون مؤنثاً لان المفرد مذكر وهو المجلد .

٢٥ ـ ما بين عضادتين اضافة يقتضيها السياق .

٢٦ ـ في الاصل : فحنقه . وتنظر الحكاية في معجم الادباء ١٣ / ١٠٥ .

٢٧ ـ في الاصل : فخرج ذلك الغائط) ولا أجد فائدة في ذكر (ذلك) في السياق .

٢٨ ـ ما بين عضادتين اضافة يقتضيها النص لغةً في (أنْ) . وتكبير حرف العطف (ولا يؤذيه) .

٢٩ ـ لفظة بلديَّة آثرت حذفها .

٣٠ ـ لفظة اخرى آثرت حذفها للسبب ذاته .

٣١ ـ ما بين عضادتين اضافة يقتضيها السياق .

٣٢ ـ النُّعنع مقصور من النَّعناع : بقله . ينظر الصحاح (نعع) .

٣٣ ـ في الاصل : فانتزعها .

٣٤ ـ في الاصل : مكانها .

٣٥ ـ الصَّنجة : يقال صنجة الميزان أي كفته . مُعرّب . ينظر لسان العرب (صنج) .

٣٦ ـ الكرنبيب : التمر باللبَن . ينظر لسان العرب (كرنب) .

٣٧ ـ ما بين عضادتين اضافة يقتضيها السياق .

٣٨ ـ الاضافة من الاغاني (التصدير) عن مخطوطة دار الكتب المصرية .

٣٩ ـ لم يكن (واو العطف) في الاصل عند تعداد كتب أبي الفرج الاصبهاني .

٤٠ ـ في الاصل (يشكوا) . والنص في الاغاني ١ / ٢٣ .

٤١ ـ القصيدة في الاغاني ١ / ٢٦ ذكر منها (٢٣) بيتاً . ومخطوطة تاريخ دول الاعيان (احداث سنة ٣٨١ هـ منسوبة لابن زريق البغدادي .

٤٢ ـ في الاصل : (هديا) .

٤٣ ـ في الاصل : يغدوا . وكذا : المصلوق .

٤٤ ـ البيتان في معجم الادباء ١٣ / ١١١ وجاء في الاصل (بلقاكم) (عطاكم) .

٤٥ ـ البيتان في اليتيمة ٣ / ١٢٨ ومعجم الادباء ١٣ / ١٣٠ ووفيات الاعيان ٣ / ٣٠٨ باختلاف .

٤٦ ـ الابيات في اليتيمة ٣ / ١٢٨ ومعجم الادباء ١٣ / ١٣٠ والوفيات ٣ / ٣٠٨ .

٤٧ ـ البغوي : محدث صنّف المعجم الكبير للصحابة/ ت ٣١٧ هـ . ينظر أمالي القالي / المقدمة . وأبو يعلى الموصلي . محدث سمع منه القالي أثناء اقامته بالموصل قبل سنة ٣٠٣ هـ .

٤٨ ـ ابن دريد : من علماء اللغة والادب والانساب . تُوفي ٣٢١ هـ . ترجمته في بغية الوعاة ١ / ٧٦ .

٤٩ ـ ابن الانباري : ابو بكر محمد بن القاسم بن بشار ، عالم في اللغة والنحو . توفي ٣٢٨هـ . ترجمته في بغية الوعاة ١ / ٢١٢ .

٥٠ ـ ابن دُرستويه : ابو محمد عبدالله بن جعفر . من النحاة المشهورين . توفي ٣٤٧ هـ . تنظر البغية ٢ / ٣٦ .

٥ - كلمة غير واضحة . واستبدلتها من معجم الادباء ٧ / ٢٧ . بما يلائم السياق .

٥٢ - الحُمَيدي : أبو عبدالله محمد بن أبي نصر ، أندلسي روى عن ابن حزم الظاهري ، أصله من قرطبة رحل الى الشرق واستوطن بغداد . توفي ٤٨٨ هـ . تنظر ترجمته في وفيات ابن خلكان ٤ / ٢٨٢ .

٥٢ - في الاصل : بغداذ . والنسبة البغداذي في المخطوطة .

٥٤ - في الاصل : الشعر .

٥٥ - الابيات في معجم الادباء ٧ / ٣٢ .

٥٦ - الابيات في اليتيمة ٢ / ١١٤ - ١١٦ والوفيات ٧ / ٢٢٦ ، وفي الاصل (العليل) / البيت الاول .

٥٧ - في الاصل : وكانما والتصحيح من وفيات الاعيان ٧ / ٢٢٦ واليتيمة ٢ / ١١٤ .

٥٨ - اليتيمة ١ / ٣٧ والنص في المخطوطة مجتزأ . وينظر وفيات الاعيان ٣ / ٤٠١ .

٥٩ - النباتية : نسبة الى ابن نباتة (عبدالرحيم بن محمد) ت / ٣٧٤ هـ . ولي ديوان الخطب . ترجمته في الشذرات ٣ / ٨٣ .

٦٠ - ميّافارقين : أشهر مدينة بديار بكر . ينظر معجم البلدان ٥ / ٢٣٥ .

٦١ - دبيقي : نسبة الى دبيق . بليدة في مصر تنسب اليها الثياب الدبيقية . معجم البلدان ٢ / ٤٣٨ .

٦٢ - ينظر الاصل في المخطوطة .

٦٣ - ما بين عضادتين تصحيح يقتضيه السياق .

٦٤ - في الاصل : أبيات . وكذا كرر (إن شاء الله تعالى) فحذفت الاولى لمقتضيات السياق .

٦٥ - في الاصل : سال .

٦٦ - في الاصل : علياً . والتصحيح من يتيمة الدهر ١ / ٤٢ ، ووفيات الاعيان ٣ / ٤٠٤ .

٦٧ - في الاصل : ابرهم . والتصحيح من اليتيمة ١ / ٤٥ .

٦٨ - ينظر النص في اليتيمة ١ / ٤٥ ومعجم الادباء ٢ / ٣٣ : ببعض الاختلاف .

٦٩ - ابو فراس : هو (الحارث بن سعيد بن حمدان) ابن عم سيف الدولة شاعر وأمير توفي ٣٥٧ هـ تنظر ترجمته في اليتيمة ١ / ٥٧ .

٧٠ - لم تكن الواو في الاصل ووجودها يقتضيه السياق .

٧١ - ابن خالويه : هو ابو عبدالله الحسين بن احمد . من علماء النحو . ت / ٣٧٠ هـ . ترجمته في اليتيمة ١ / ١٣٦ .

٧٢ - كشاجم : ابو الفتح محمود بن الحسين بن شاهق . له ديوان شعر . توفي ٣٥٠ هـ . ترجمته في الفهرست / ١٥٤ .

٧٣ - الخالديان : هما ابو بكر محمد المتوفى ٣٨٠ هـ وابو عثمان سعيد ٣٩١ هـ ابنا هاشم . ترجم لهما الثعالبي في اليتيمة ٢ / ٢١٤ .

٧٤ - السلاميّ : ابو الحسن محمد بن عبدالله . لقب بالسلامي نسبة الى دار السلام . توفي ٣٩٣ هـ . اليتيمة ١ / ٤٤٦ .

٧٥ - الوأواء : ابو الفرج محمد بن احمد الغساني الملقب بالوأواء الدمشقي توفي ٣٩٠ هـ . اليتيمة ١ / ٣١٤ .

٧٦ - الببغاء : ابو الفرج عبدالواحد بن نصر المخزومي . توفي ٣٩٨ هـ . ترجمته في اليتيمة ١ / ٢٩٣ .

٧٧ - النامي : ابو العباس احمد بن محمد الدارمي . توفي ٣٩٩ هـ . اليتيمة ١ / ٢٧٩ .

٧٨ - ابن نباته السعدي : ابو نصر عبدالعزيز بن محمد . توفي ٤٠٥ هـ اليتيمة ١ / ٤٤٧ .

٧٩ - الابيات في اليتيمة ١ / ٥٦ والمختصر في اخبار البشر ، ٢ / ١٠٧ ومعجم الادباء ٢ / ١١٦ .

٨٠ - يتيمة الدهر ١ / ٥٣ وتنظر مع ترجمته في وفيات الاعيان ٣ / ٤٠٢ ببعض الاختلاف .

٨١ - لم أجد البيت في شعره المجموع . (شعر عبدالصمد بن المعذل) .

٨٢ - تنظر الابيات في اليتيمة ١ / ٥٤ - ٥٥ ، الوفيات ٣ / ٤٠٢ ببعض الاختلافات .

٨٣ - في الاصل : باقي . والتصحيح عن اليتيمة والوفيات .

٨٤ - الابيات في الوفيات ٣ / ٤٠٣ وفي العمدة ١ / ١٣ ذكر ابن رشيق بيتين باختلاف دون نسبة .

٨٥ - الابيات في اليتيمة ١ / ٤٣ والوفيات ٣ / ٤٠٣ ولم ترد في ديوان أبي فراس الحمداني .

٨٦ - الابيات في الوفيات ٣ / ٤٠٣ ، واليتيمة ١ / ٥٥ قدّم الثعالبي الثالث على الثاني .

٨٧ - البيتان في الوفيات ٣ / ٤٠٤ .

٨٨ - عين زَرْبَى : كما ذكرها ياقوت في معجم البلدان ٤ / ١٧٧ تقع في الشمال الغربي من الشام .

٨٩ - ما بين عضادتين اضافة يقتضيها السياق .

٩٠ - الابيات في اليتيمة ١ / ٤٤ والوفيات ٣ / ٤٠٥ وديوان الخالديين (القسم الثاني) / ١٦٢ .

٩١ - لم أعثر على مصدر لتخريج الابيات .

٩٢ - الابيات في اليتيمة ١ / ٥٥ .

٩٣ - الابيات في اليتيمة ١ / ٥٦ .

٩٤ - في الاصل : الاخشيد وكذا الاخشيذي .

٩٥ - في الاصل : الى كان .

٩٦ - تكررت لفظة (وكان صبياً) في نهاية الورقة ١٣٣ / آ وبداية الورقة ١٣٤ / ب .

٩٧ - يقصد أمراً من الخليفة العباسي . ينظر الوفيات ٤ / ١٠٠ ترجمة كافور الاخشيدي .

٩٨ - القصيدة في ديوانه ٤ / ٤٢١ ببعض الاختلاف . وفي الاصل (ما أتيا) البيت الرابع .

٩٩ - القصيدة في ديوانه ١ / ٣٠١ وفي الاصل (كافور) البيت الثالث .

١٠٠ - القصيدة في ديوانه ٤ / ٢٧٤ .

١٠١ - القصيدة في ديوانه ٢ / ١٣٩ باختلاف في ترتيب الابيات والرواية .

١٠٢ - في الاصل : مفتود والتصحيح من الديوان ٢ / ١٤٧ .

١٠٣ - في الاصل : ويل أمها . وقد أخذت برواية الديوان . والكلمة (تقال عند التعجب وأصلها : وي لامها ، ثم حذفت الهمزة ، واللام تكسر على الاصل وتضم على حذف حركتها وإلقاء حركة الهمزة عليها) ينظر هامش ديوان المتنبي ٢ / ١٤٧ .

١٠٤ - في الاصل : تخطيط . والتصحيح من الديوان ٤ / ٤٣٢ .

١٠٥ ـ الابيات في ديوانه ٤ / ٢٨٠ .

١٠٦ ـ دنقلة : هي دنقلة كما يراها ياقوت في معجم البلدان ٢ / ٤٧٨ تقع في بلاد النوبة شمال السودان . وتنظر الموسوعة العربية الميسرة ١ / ٨٠٥ .

١٠٧ ـ ينظر وفيات الاعيان ٤ / ١٠٥ .

١٠٨ ـ ذكره الحافظ الذهبي في (العبر في خبر مَنْ غبر ٢ / ٣٠٤) .

١٠٩ ـ ذكره الحافظ الذهبي في العبر ٢ / ٣٠٤ .

١١٠ ـ الرافقي : نسبة الى الرافقة وهي بلدة على الفرات ، كان يقال لها أيضاً الرقة . ذكره الذهبي في تراجمه . العبر ٢ / ٣٠٤ . وينظر معجم البلدان ٣ / ١٥ .

١١١ ـ ذكره ابن العماد الحنبلي في الشذرات ٣ / ١٩ (يحيى بن علي الطحان) .

١١٢ ـ ذكره الحافظ الذهبي في العبر ٢ / ٣٠٥ .

١١٣ ـ في شذرات الذهب ٣ / ٢٢ (ابن مسلم الجبلي) .

مصادر التحقيق

(أ) المخطوطة : تاريخ دول الاعيان لابن أبي عذبة (ت / ٨٥٦ هـ) دار صدام للمخطوطات برقم ١٢٤٧٨ تاريخ / بغداد .

(ب) المطبوعة .

١ ـ الاعلام / للزركلي ط . الثالثة بيروت .

٢ ـ الاغاني / لابي الفرج الاصبهاني / تحقيق لجنة بدار الكتب المصرية (نسخة مصورة عنها) مؤسسة جمال بيروت . الجزء الاول .

٣ ـ أمالي القالي / لابي علي القالي . دار الفكر ـ بيروت .

٤ ـ البداية والنهاية في التاريخ / لعماد الدين أبيْ الفداء اسماعيل بن كثير . مطبعة السعادة ـ القاهرة .

٥ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . لعبدالرحمن السيوطي . تحقيق . محمد ابو الفضل ابراهيم ط ـ الاولى ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة .

٦ ـ تاريخ بغداد أو مدينة السلام . لابي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي . دار الكتاب العربي ـ بيروت .

٧ ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة / لشهاب الدين احمد بن حجر العسقلاني : تحقيق / محمد سيد جاد الحق . دار الكتب الحديثة ـ القاهرة .

٨ ـ ديوان أبي فراس (برواية ابن خالويه) دار صادر / بيروت د . ت .

٩ ـ ديوان الخالديين / تحقـ : د . سامي الدهان مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦٩ م .

١٠ ـ ديوان تاريخ الطبري / تكملة تاريخ الطبري : محمد بن عبدالملك الهمذاني تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم . ط ـ الثانية . دار المعارف ـ القاهرة / ١٩٨٢ .

١١ ـ شذرات الذهب في اخبار من ذهب . لابي الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي . دار الكتب العلمية ـ بيروت .

١٢ ـ شرح ديوان المتنبي . وضعه عبدالرحمن البرقوقي . دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م .

١٣ ـ شعر عبدالصمد بن المعذل . حققه وقدم له زهير غازي زاهد . توزيع مكتبة الاندلس بغداد ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م .

١٤ ـ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية / لاسماعيل بن حمّاد الجوهري . تحقيق احمد عبدالغفور . عطّار . دار العلم للملايين ـ بيروت ط . الثانية ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م .

١٥ ـ العبر في خبر من غبر / للحافظ الذهبي تحقـ . فؤاد سيد . الكويت / ١٩٦١ م .

١٦ ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده . لابن رشيق القيرواني . تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد دار الجيل ـ بيروت . ط / الرابعة ١٩٧٢ م .

١٧ ـ عيون التواريخ / لمحمد بن شاكر الكتبي . تحقيق . د . فيصل السامر ـ نبيلة عبدالمنعم داود الجزء الثاني عشر . وزارة الاعلام ـ بغداد ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م .

١٨ ـ الفهرست لابن النديم أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب . تحقيق رضا ـ تجدد . طهران ١٩٧١ م .

١٩ ـ فوات الوفيات والذيل عليها . لمحمد بن شاكر الكتبي . تحقيق د . احسان عباس . دار صادر ـ بيروت ، وط ـ دار الثقافة بيروت ١٩٧٣ م .

٢٠ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون / لحاجي خليفة (مصطفى ابن عبدالله) . نشر محمد شرف الدين التقايا ـ رفعت بيلكه الكلسي . منشورات مكتبة المثنى ـ بغداد .

٢١ ـ لسان العرب المحيط / لابن منظور . اعداد يوسف خياط . دار لسان العرب ـ بيروت .

٢٢ ـ المختصر في اخبار البشر / لعماد الدين اسماعيل ابو الفداء . (نسخة بالاوفسيت) . مكتبة المثنى بغداد .

٢٣ ـ مخطوطات المجمع العلمي العراقي دراسة وفهرسة . ميخائيل عواد . مطبوعات المجمع العلمي العراقي . بغداد ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م .

٢٤ ـ معجم الادباء ـ لياقوت الحموي . دار احياء التراث العربي بيروت (نسخة عن طبعة دار المامون بالقاهرة / ١٩٣٦ م) .

٢٥ ـ معجم البلدان . لياقوت الحموي . دار احياء التراث العربي ـ بيروت .

٢٦ ـ مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم / طاش كبرى زاده (احمد بن مصطفى) . مراجعة وتحقيق كامل بكري وعبدالوهاب ، ابو النور . دار الكتب الحديثة ـ القاهرة .

٢٧ ـ الموسوعة العربية الميسرة . لجنة باشراف محمد شفيق غربال . دار نهضة لبنان / ١٩٨٠ .

٢٨ ـ هدية العارفين وأسماء المؤلفين والمصنفين . لاسماعيل باشا البغدادي . طبع وكالة المعارف باستانبول . (١٩٥١ ـ ١٩٥٥ م) نسخة بالاوفسيت طهران ١٩٦٧ م .

٢٩ ـ وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان . لاحمد بن محمد بن خلكان . تحقيق د . احسان عباس دار صادر بيروت .

٣٠ ـ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر . لابي منصور عبدالملك الثعالبي ، شرح وتحقيق د . مفيد محمد قميحة . دار الكتب العلمية ـ بيروت ط . الاولى ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م .

شعر ملـوك الاندلـــس وأمرائهـا

في القرن الخـامس الهجـري

صنعة د . انقاذ عطا الله محسن العاني
كلية التربية - جامعة الانبار

توطئة

هذه محاولة لجمع وتحقيق شعر الملوك والأمراء الأندلسيين خلال القرن الخامس الهجري وقـد استثنت دراستنا هذه الملكين الشاعرين المعتضد بن عباد والمعتمد بن عباد .لان لكل منهم ديوانا قد جمـع وحقـق لاكثر من مرة بل ان شعر المعتمد حظي بدراسة جامعية تقصت جوانب البناء الفني لديه (١) ولا ادعي انني استوفيت كل شعر اولئك الملوك والامراء ولكن حسبي اني تقصيت كل ما هو موجود في المصادر الموجوده بين ايدينا اليوم ويبقى المجال مفتوحا للاضافة والاستزادة .والله من وراء القصد .

الخصائص الفنية

لايمكن فصل شعر الملوك والامراء في الاندلس عن عموم حركة الشعر الاندلسي اناك وعلينا ان لانغفـل ذكر حقيقة مهمة وهي ان معظم اولئك لم يكونوا من الشعراء المحترفين بل هم من ناظمي الشعـر الـهواة الذين كانت تحدو بهم رغباتهم ليدلوا بدلائهم مع كبار شعراء عصرهم ممن يؤمونهم وينتجعـون بلاطاتـهم وقد ترتب على ذلك ان حاول الامراء تقليد اولئك الشعراء او مجاراتهم فجاءت اشعارهم متضمنه الخصائص الفنية الدقيقة لشعراء العصر المحيطين بهم.

فالخصائص الفنية اذن لشعر الملوك الطوائف والامراء هـي نفسها الخصائص التي تميزت بها عموم حركة الشعر ايـام ملوك الطوائف وقد اسهبت دراسات كثيرة في تحديد وابـراز تلك الخصائص ودراستها [٢] على اننا لانعدم وجود بعـض اللمحات الخاصة بطبيعة حياة وتوجـهات وقـدرات اولئـك الامراء. وقد تبدو تلك اللمحات في التأكيد علـى اغـراض معينة دون غيرها مثلا. او في طبيعة تكوين ورسـم بعـض الصور المستمدة من حياة وبيئة تلك الطبقة المترفة،او فـي شيوع غرض ما بينهم لانه جاء استجابة ومتنفسا لمشـاعر واحاسيس تفرزها طبيعة حياتهم . ففي الوقت الذي نجد فيـه اولئك الامراء قد نظموا فـي اغلـب موضوعـات الشـعر المعروفة الا ان تأكيدهم على موضوع الغزل يؤيد حقيقـة ان الشعر عندهم لم يكن الا وسيلة للتعبير عن حياة الترف التي تختص بها هذه الطبقة ايام سعودها فمـن بيـن (١٢٦) قصيدة ومقطوعة احتجنتها هذه الدراسة نجد ان عدد وحدات الغزل تجاوزت (٣٦) وحدة شعرية مابين قصيدة ومقطوعـة

وامام هذا الرقم الكبير للغزل نجد رقما كبيرا اخر يأتي بعده مباشرة ولكنه في غرض مناقض كلية الا هو الحسرة والاسى والاعتذار ويقع في (١٨) وحدة شعرية .ومعلوم ان لجوء الامير الى مثل هذه المعاني لايكون الا في وقت دالت فيه دولته او انه قد تعرض لمتغيرات كبرى غيرت بنية دولته وكيانه واكثر ما حدث هذا لملوك وامراء الطوائف الذين انتهوا نهاية مأساوية مفجعة على يد المرابطين فحياتهم اذن دارت بين قطبين كبيرين مدة الحكم والرئاسة والعز والترف والجاه ومدة الاسر والتشريد والقتل ومابين هذين القطبين جاء الغزل بترفه وجاءت معاني الاسى والحسرة والتفجع ، ولعل الاخوانيات كانت ثالث الاغراض التي اهتم بها اولئك فقد جاءت في (١٨) وحدة شعرية.وقد يكون لهذا الغرض ارتباط وثيق بأغراض الاسى والتفجع ايضا الا ان قسما كبيرا منه قيل ايام سعود اولئك الملوك.وكثيرا ما دار في اطار أدب الدعوة الى مجالس الانس والطرب والشراب او التهنئة والاعتذار عن تاخير الى ما غير ذلك.وقد استتبع ذلك ولع غريب من لدن اولئك بموضوع الوصف وقد ورد في (١٦) وحدة شعرية صورت اوصافا مستمدة من طبيعة المرحلتين الحياتيتين المتناقضتين اللتين عاش فيها ملوك وأمراء الطوائف.ولعلنا نتساءل عن موضوع الفخر الذي نتصوره لازمة من لوازم مشاعر اولئك الحكام.والحقيقة اننا لا نجد الفخر سوى في (١٠) وحدات شعرية ويبدو ان قلة غرض الفخر لديهم راجع الى ان طبيعة حياة قسم كبير منهم لم تكن تسمح لهم بالتفاخر لاسباب موضوعية كثيرة تتعلق بالبنية السياسية والعسكرية لعصر الطوائف. هذه هي الموضوعات التي اكثر فيها شعراؤنا القول (الغزل، التحسر، والتفجع، الاخوانيات، الفخر). اما سائر اغراض الشعر الاخرى فنسب النظم فيها تكاد تتقارب فللمدح (٤) وحدات وللاغراض الشخصية (٦) وحدات وللرثاء (٤) وحدات وللخمريات (٢) وحدتان وللهجاء(٢) وحدتان.ان الحقيقة التي بدأنا بها بحثنا تتأكد لدينا الان فأن تقليد شعرائنا لكبار عصرهم ومحاولتهم المجاراة والمسايرة استدعت احيانا مبالغات في المعاني والصور قد لانجدها عند الشعراء الكبار ويتجلى ذلك واضحا في فخريات ابن رزين (٣) وفي اعتذاريات الراضي [٤] وفي سائر غزل الاخرين. ويبدو ان تعمدهم المبالغة يأتي محاولة للتستر على بعض نواحي الضعف الفنية الاخرى لديهم. كل ذلك كان يأتي ضمن اطار لغوي سلس جدا يجنح نحو السهولة الساذجة احيانا واحيانا يرتقي اولئك بلغتهم فتأتي جزلة فخمة جميلة ولعل ابن رزين واحد ممن تميزوا بقوة المفردة الشعرية وينطبق هذا الوصف على لغة رفيع الدولة بن صمادح وعلى لغة ابيه المعتصم ونجده ايضا في سائر اشعار الراضي بن المعتمد [٥] الا ان ما يحسب لشعرائنا هو اهتمامهم بالتصوير ، وهي ناحية جميلة طبعت سائر شعر العصر. ولو نظرنا في تكوين بناء صورهم الشعرية وجدناها مستمدة من البيئة التي يعيشون فيها سواء أ كان ذلك في أيام سعودهم او في مدة تنكر الدنيا لهم وهذا واضح في صور اسماعيل بن عباد وعز الدولة بن صمادح وعند المعتصم بن صمادح [٦] وصورهم في غالبيتها . تعتمد على البلاغة وفنونها فكانت الاستعارة بتفرعاتها والتشبيه والكناية وحسن التعليل كلها مسائل اسهمت في رسم صورهم واظهارها. ولعل من خصوصيات الشعر الاميري ايضا ميله الى المقطوعة بوصفها بنية تلبي حاجة الشاعر الآنية وتختزل كل ما يعتمل في ضميره. فمن بين (١٢٦) وحدة شعرية نجد ان عدد المقطوعات هو(١٠٩) وحدات وهو رقم كبير جدا قياسا بعدد القصائد الذي وقف عند حدود(١٦) قصيدة و(٣) ابيات مفردة. وهم حتى على مستوى القصائد لم يكونوا ممن يطيلون النفس ذلك ان اغلب هذه الـ (١٦) قصيدة لم يكن ليتجاوز طولها الابيات السبعة ولعل قائلا يقول ان انتشار المقطوعات هو من مظاهر العصر الفنية وهذا الكلام صحيح تماما ولكن الملفت للنظر هو هذا الولع والتمسك الكبير بالنظم على وفق هذا النمط عند شعرائنا وربما اكد هذا الامر

الراي الذي بدأنا به كلامنا حول حقيقة حرفية الملوك والامراء في الشعر.

ولو نظرنا في موسيقاهم الشعرية لتأكد لنا امر مجاراتهم للشعراء الكبار. فالظن قد ينصرف اول الامر الى ان طبيعة العصر والظروف الحياتية لشعرائنا قد تدفعهم بأتجاه النظم على البحور السريعة الطروب او على مجزوءات البحور ، الا ان عملية حسابية بسيطة تظهر عكس ذلك تماما فمن بين (١٢٦) وحدة شعرية نجد ان (٤٠) وحدة منها جاءت على البحر الطويل و(٢٠) على البسيط و(٢٠) على الكامل.مما يغنينا عن تتبع بقية البحور التي نظموا عليها ويرسخ لدينا حقيقة ان شعراءنا انما كانوا يسعون الى التقليد وان ابرز مقومات هذا التقليد هو التمسك بالبحور الرصينة، يؤيد ذلك اننا لم نجد من مجزوءات البحور عندهم سوى(٦) وحدات في مجزوء الكامل و(٣) من مخلع البسيط و(١) واحدة من مجزوء الوافر في حين واجهتنا محاولة واحدة للنظم على شواذ عروضية تنطبق على الرمل او المديد [٧] ولقد حاول شعراؤنا اللجوء الى التنويع اللحني الذي توفره بعض فنون البلاغة اسهاما منهم في خلق ترديدات نغمية يكون لها اثرها الجميل في الايقاع الشعري .فمن ذلك (الجناس) و(رد الاعجاز على الصدور) و (تجنيس القافية) وغيرها (٨) .

ان حقيقة كون شعر الملوك والامراء ايام الطوائف رافدا من الروافد التي تنصب في المجرى العام للشعر الاندلسي ، ان هذه الحقيقة لا تلغي حقيقةُ مهمة ايضا الا وهي كونه يمثل ظاهرة حضارية جميلة ومهمة جديرة بأن يتوسع في دراستها وتتبع انجازاتها.

تحقيق الشعر ــ بنو الافطس

أبو محمد عمر بن المظفر (المتوكل) ۞

(١)

ارسل اليه الشاعر ابن عبدون هدية ومعها (رجز) ابيات شعر. فراجعه المتوكل :

١) قد وصلت تلك التي زففتها ... بكرا وقد شابت لها ذوائب

٢) فهب حتى نسترد ذاهبا ... من انسنا ان استرد ذاهب

(٢)

وله وقد ارتقب قدوم احد اخوته اليه يوم الجمعة. فوفد عليه يوم السبت (وافر)

١) تخيرت اليهود السبت عيدا ... وقلنا في العروبة يوم عيد

٢) فلما ان طلعت السبت فينا ... اطلت لسان محتج اليهود

(٣)

وقال مراجعا ابن عبدون حول دعوة لحضور مجلس انس: (متقارب)

١) بعثت إليك جناحا قطر ... على خفيه من عيون البشر

٢) على ذلل من نتاج البروق ... وفي ظلل من نسيج البشر

٣) فحسبي ممن نأى من دنا ... فمن غاب كان فدا من حضر

(٤)

قال متذكرا ولده القتيل(الفضل): (كامل)

١) يا سعد ساعدني ولست بخيلا ... وامنن بها خمرا تفيض همولا

٢) واحبس عليَّ دموع عينك ساعة ... وابرد بها مما ألم غليلا

٣) إن يصبح الفضل القتيل فريئا ... أصبحت من وجدي به مقتولا

٤) كم قد وقيتكم الحمام بمهجتي ... وحميت شول علاكم معقولا

(٥)

كتب يعاتب أخاه وكان ذكره بسوء في مجالسه : (طويل)

١) فما بالهم لا انعم الله بالهم ... ينوطون بي ذاما وقد علموا فضلي

٢) يسيئون فن القول جهلا وضلة ... واني لأرجو أن يسوءهم فعلي

٣) طغام لئام أم كرام برغمهم ... سواسية ما اشبه الحول بالقبل

٤) فأن كان حقا ما أذاعوا فلا مشت ... إلى غاية العلياء من بعدها رجلي

٥) ولم الق اضيافي بوجه طلاقة
ولـم امنح العافين في الزمن المحل

٦) وكيف وراحي درس كل غريبة
وورد التقى شمسي وحرب العدا نقلي

٧) ولي خلق في السخط كالشري طعمه
وعند الرضى احلى جنى من جنى النحل

٨) وإني وان كنت الاخير زمانه
لآت بمـا اعيـى الصناديـد من قبلي

٩) وما أنا إلا البدر تنبح نوره
كـلاب عدى تأوي اضطرارا إلى ظلي

١٠) فيا ايها الساقي أخاه على النوى
كـؤوس القلـى مهـلا رويدك بالعل

١١) لتطفئ نارا أضرمت في نفوسنا
فمثلـي لا يقلـى ومثـلـك لايقلـي

١٢) الست الذي اصفاك قدما وداده
والقـي اليـك الامـر في الكثر والقل

١٣) وصيرك الذخر الغبيط لدهره
ومن لي ذخرا غيرك اليوم ؟ لامن لي

١٤) وقد كنت تشكيني اذا جئت شاكيا
فقل لي : لمن أشكو صنيعك بي قل لي

١٥) فبادر إلى الأولى والا فأنني
سـأشكوك يـوم الحشر للحكم العدل

(٦)

قال يستدعي الوزير أبا طالب بن غانم : (مخلع بسيط)

١) اقبل أبا طالب الينا — وقـع وقوع الندى علينا

٢) فنحن عقد بدون وسطى — ما لم تكن حاضرا الدنيا

بنو رزين ۞

ذو الرياستين ابو مروان عبد الملك بن رزين ت ٤٩٦

(٧)

قال يخاطب ابا العلاء بن زهر: (كامل)

١) عاد اللئيم فأنت من أعدائه — ودع الحسود بغله وبدائه

٢) لا كان إلا من غـدت — مشغولة افواهم بجفائهاعداؤه

٤) فخر العلاء فكنت من آبائه — ونأى السناء فكنت من أبنائه

٥) كن كيف شئت مشاهداو غائبا — لاكـان قـلب ولست في سودائه

٦) وليك كلس من ودود ممحض — ممـــلوءة مـن وده ,وصفائه،

(٨) (مديد)

١) أنا ملك تجمعت في خمس — كلهـا للأنام محيي مميت

٢) هي : ذهن وحكمه وقضاء — وكلام في وقته وسكوت

(٩) (طويل)

١) وروض كساه الطل وشيا مجددا
فأضحى مقيما للنفوس ومقعدا

٢) اذا صافحته الريح خلت غصونه
رواقص في خضر من العصف ميدا

٣) اذا ما انسكاب الماء عاينت خلته
وقـد كسـرته راحة الريح مبردا

٤) وان سكنت عنه حسبت صفاءه
حسـاما صقيلا صافي اللون جردا

٥) وغنت به ورق الحمائم حولنا
غنـاء ينسيـك الغريض ومعبدا

٦) فلا تجفون الدهر ما دام مسعدا
ومـد الـى مـا قد حباك به يدا

٧) وخذها مداما من غزال كأنه
اذا مـا سعـى بدر تحمل فرقدا

(١٠) (سريع)

١) من كثر الجند راى سعده — يصعد حتى ينتهي حـده

٢) ومن أذل المال عزت به — أيامه وانصرفت جنـده

٣) فأهدم بناء البخل وارفض به — من هدم البخل بنى مجده

٤) لا عاش الأ جائعا نائعا — من عاش في أمواله وحده

(١١) (مجزوء الكامل)

١) أقسمت بالورد الجني — ورنتـي ناي وعود

٢) لاواصلنك بالرضى — أو تأنفن من الصدود

٣) ولاشربنك بالمنى — ولالثمنـك من بعيد

٤) ولأرضينك ان سخطت بذله الدنف العميد

٥) ولأعطفنك بالخضوع وبالقنوع وبالسجود
٦) فبحق ما في فيك من لعس ومن ثغر برود
٧) أدمي يضيع شاهدا خديك في عقد الشهود

(١٢) (طويل)

١) اذا زهدتني في الهوى خيفة الردى
جلت لي عن وجد يزهد في الزهد
٢) فلا دمع مالم يجر في اثره دم
ولا وجد مالم يغن عن صفة الوجد

(١٣) (مجزوء الكامل)

قال ابن بسام: ومن غريب شعر ابن رزين قوله:
١) اخسس بمجلس معشر مافيه إلا الطنز بر
٢) جلساؤه قوم ثقال كلهم خبث وشـــر
٣) مــا فيهم الا دني او غبي أو مضــــر
٤) أسـد على ثلث الكرام وان وزنتهم فذر
٥) هذا يغوث بل اضل وذا يعوق وذاك نسر
٦) هذا المحل كواد عوف ليس تلقى فيه حر

(١٤)

قال مراجعا أحد اصدقائه وقد مدحه بأبيات : (طويل)

١) اليك فلولا أنت لم ينظم الدر
ولا النام في مدح نظام ولا نثر
٢) إذا قلت لم ينطق فصيح مدرب
ولا ساغ في سمع غناء ولا زمر
٣) لك السبق كم روضت من عاطل الربا
وحللت من سكّر وقد حرم السحر
٤) ولما ملكت القول قسرا وعنوة
أطـاعك جيش النظم وانتمر النثر
٥) فلا نقل الا ما تقول بديهة
ولا خمر ما لم تأت من فمك الخمر

(١٥)

وقال وقد سقط عن حصانه يوما (بسيط)

١) اني سقطت ولاجبن ولاخور
وليــس يــدفع ما قد شاءه القدر
٢) لا يشمتن حسودي ان سقطت فقد
يكبو الجواد وينبــو الصارم الذكر

٣) هذا الكسوف يرى تأثيره ابدا
ولا يعاب به شمس ولا قمر

(١٦) (طويل)

١) رغبتم وارغبناكم وهي الخمر
فــمن لم يكن سكّران فليكن السكر
٢) اليكم فأني في الوغى والندى فتى
هو البحر ان أعطى وان صال فالدهر

(١٧) (كامل)

اشممت نشرك أم شممت العنبرا
ومصصت ريقك أم مصصت السكرا

(١٨) (مجزوء كامل)

١) يامقلة الظبي الغرير ووجنة القمر المنير
٢) ومصيـب حبـات القلـوب بزاعبيات الفتور
٣) تا الله ان لم تترك عن ذا الجفاء وذا النفور
٤) لأسرحنّ لو حظى فــي ذلك الورد النضير
٥) ولأكلك بالمنى ولأشــربنـك بالضمير

(١٩) (طويل)

١) أدرها مداما كالغزالة مزة
تبين لرائيها وتأبى على اللمس
٢) وتبدو الى الابصار دون تجسم
على انها تخفى على الذهن والحس
٣) أذا شعشعت في الكأس خلت حبابها
لألي قد رفعن في لبة الشمس
٤) موكلة بالهم تهزم جيشه
بجيش الاماني والمســرة والانس
٥) فأن شئت قل فيها ارق من الهوى
وأن شئت قل فيها أرق من النفس

(٢٠) (خفيف)

١) برح السقم بي فليس صحيحا
من رأت عينه عيونا مراضا
٢) ان للأعين المراض سهاما
صيرت أنفس الورى اغراضا

٣)جوهرالحسن منذاعرض للقلب ثنى الجسم كله اعراضا

(٢١) (طويل)

١) دع الدمع يغني الجفن ليلة ودعوا
أذا أنقلبوا بالقلب لاكان مدمع

٢) سروا كإقتداء الطير لا الصبر بعدهم
جميـــل ولا طول الندامة ينفع

٣) أضيق بحمل الفادحات من النوى
وصدري من الارض البسيطة اوسع

٤) وان كنت خلاع العذار فأنني
لبســـت مـــن العلياء ما ليس يخلع

٥) اذا سلت الالحاظ سيفا خشيته
وفي الحرب لا أخشى ولا اتوقع

(٢٢) (بسيط)

١) يا رب ليل أطال الهجر لذته
فايأس العمر عن ادراك منتصفه

٢) ليل تطاول حتى قد تبين لي
عند التأمل أن الدهر من سدفه

(٢٣) (كامل)

١) اترى الزمان يسرنا بتلاقي ويضم مشتاقا الى مشتاق
٢) وتعض تفاح الخدود شفاهنا وتراني الاحداق بلا حداق
٣) ونعيد انفسنا الى اجسامنا فلطالما شردت على الافاق

(٢٤)

قال معرضا بأبن عمار: (طويل)

١) تحقق أبا بكر وداوي وحقق
وصدق ظنوني في وفائك وأصدق

٢) أيجمل بيعي في كساد وبهرج
وقـــد كـــان ظني ضد ذا بل تحقق

٣) ثنائي على مر الزمان محلق
عليـــك وأن أبديت بعض التخلق

٤) وما كنت ممن يدخل العشق قلبه
ولكـــنَّ من يبصر جفونك يعشق

(٢٥) (كامل)

١) نفس الذليل تعز بالجريال فيقـــاتل الاقران دون قتال
٢) كم من جبان ذي افتخار باطل بالخمر تحسبه من الابطال
٣) كبش الندى تخمطا وعرافة واذا تشب الحرب شاة نزال

(٢٦) (بسيط)

١) شأوت أهل رزين غير محتفل
وهـــم على ما علمتم أفضل الامم

٢) قوم اذا سئلوا أغنوا وان حربوا
أفنوا وأن سبقوا جازوا مدى الكرم

٣) جادوا فما يتعاطى جود أنملهم
مــــد البحـــار ولا هـــطالة الديم

٤) فمن يرم جاهدا ادراك منزلتي
فليحكني في الندى والسيف والقلم

(٢٧) (الكامل)

١) انحى على جسمي النحول فلم يدع
متوهما في رسمه المعلوم

٢) عبثت به ايدي الضنا فكأنه
سر خفي في ضمير كتوم

(٢٨) (مديد)

١) قد خرجنا من ازدحام القتال
كشموس خرجن تحت الغمام

٢) وحصلنا في نزهتين وفي حسنين بين المياه والأكام

٣) بين روض مرنح وغصون
تثنى كشاربات المدام

٤) غردت فوقنا البلابل والورق فأرقتي وهجن غرامي

٥) ذاك طير أطار قلبي شوقا
وحمام مغرد بحمام

(٢٩) (الكامل)

١) أيطيق تأديبا وعقد امامة
في مسجدين وجامع انسان

٢) اثبت على أحدى المراتب لا تزد
فمن الزيادة يتقى النقصان

(٣٠) (الطويل)

قال مخاطبا ابن عمار:

١) ضمان على الأيام ان ابلغ المنى
اذا كنت في ودي مسرا ومعلنا

٢) فلو تسأل الأيام من هو مفرد
بود ابن عمار لقلت لها: أنا

٣) فأن حالت الأيام بيني وبينه
فكيف يطيب العيش أو يحسن الهنا

(٣١) (مجزوء الرمل)

قال يصف شمعة:

١) رب صفراء تردت   برداء العاشقينا
٢) مثل فعل النار فيها   تفعل الأجال فينا

(٣٢) (بسيط)

١) هبوا لنا حظكم من آل لبون
كم تبـــــخلون علينا بالرياحين

٢) لا تعذلونا فحق أن ننافسكم
فـــي أكرم الناس للدنيا وللدين

٣) ذاك الكريم الذي نيطت تمائمه
عند الفطام على حلم ابن سيرين

٤) اخترنا فتخيرناه صاحبنا
وكلنــــــا في أخيه غير مغبون

٥) ان كان أنشر ذكرى في بلادكم
لانشـــرن له يحيى بن ذي النون

٦) وكل من حوله حاظ بخطوته
يعشي الحسود بتوقيع وتمكين

٧) حتى تقول الليالي وهي صادقة
هذا السموأل في هذي السلاطين

(٣٣) (طويل)

١) تزهدني في الزهد عين مريضة
يمرضى من لحظها ما أعلني

٢) ولم تبق نفسي غير عطفة شادن
عســــاني افديه بها ولعلني

٣) شكوت الى فيه الذي بي من الظما
فأنهلني عذب الرضاب وعلني

(٣٤) (بنو صمادح)

أبو جعفر احمد بن المعتصم ✿ (وافـــر)

١) اتى بالبدر من فوق القضيب   فطارت نحوه طير القلوب
٢) وأشرق ما بأفقي من ظلام   لنور منه في أفق الجنوب
٣) وولى بعد تأنيس وبرٌ   كمثل الشمس ولت للمغيب

(٣٥) (بسيط)

١) كتبت وقلبي نواشتياق ووحشة   ولو انه يستطيع مر يسلم
٢) جعلت سود لعين فيه سـوده   وابيضه طرسا وأقبلت ألثم
٣) فخيل لي في قبل موضـعا   يصافحه ذاك البنان المسلم

(٣٦)

أبو مروان عبيد الله (عز الدولة) ✿ (رمل)

١) صاغت الجوزاء قرطين على   مسمعيها والثريا دملجا
٢) وأستجادت من سماها حللا   فكساها قزح ما نسجا

(٣٧) (بسيط)

١) ان يسلم الناس من هم ومن نكد
فأنني قد جمعت الهم والكمدا

٢) لم ابق منه لغيري ما يحاذره
فليس يقصد دوني في الورى احدا

(٣٨) (متقارب)

١) ابعد السنا والمعاني خمول   وبعد ركوب المذاكي كبول
٢) ومن بعد ما كنت حرا عزيزا   أنــا عبــد أسير ذليل
٣) حللتُ رسولا بغر ناطـــة   فحل بها في خطب جليل
٤) وثقت اذ جئتها مرسلا   وقبلي كان يُعزُّ الرسول
٥) فقدت المرية أكرم بها   فما للوصول اليها سبيل

(٣٩) (الكامل)

قال يخاطب يحيى بن ابي بكر المرابطي وكان قد سقط أحد الويته من يد حامله وانكسر فتطير يحيى من ذلك الامر:

١) لم ينكسر عود اللواء لطيرة   يخشى عليك بها وأن تتأولا
٢) لكن تحقق أنه يندق في   نحر العدا ولدى الوغى فتعجلا

(٤٠) (الكامل)

١) لك الحمد بعد الملك اصبح خاملا
بأرض اغتراب لا أمر ولا أحلي

٢) وقد أصدأت فيها الهوادة منصلي
كما نسيت ركض الجياد بها رجلي

٣) ولا مسمعي يصغي لنغمة شاعر
وكفـــى لاتمتـد يوما الى بذل

٤) طريداً شريدا لا أُؤمّلُ رجعة
الى موطن بوعدت عنه ولا أهل

٥) وقد كنت متبوعا فأمسيت تابعا
لدى معشر ليسوا بجنسي ولا شكلي

٦) يخوضون فيما لاأرى فيه خائضا
وقبلهــــم قد اقصدت مقتل النبل

٧) وقولي مسموع وفعلي محكم
وهـا أنا لا قولي يجوز ولا فعلي

٨) وقد كنت غرا بالزمان وصرفه
فقد بان قدر العز عندي والذل

٩) عزاء فكم ليثٍ يصاد بغيله
ويصبح من بعد النشاط لفي خبل

(٤١)

قال مخاطبا الشاعر ابن اللبانه (البسيط)

١) المجد يخجل من نفديك في زمن
ثناه عن واجب البر الذي ثلما

٢) فدونك المجد من مصف مودته
حتى يوفيك أيام المنى سلما

(٤٢) (مجتث)

١) أهوى قضيب لجين — قد أطلع البدر فيه
٢) ان كان موتي بلحظ — منـه فعيش يليه
٣) يا رب كم أتمنى — لقيـاه كم اشتهيه
٤) ولا أرى منه شيئا — سوى جفاء وتيه
٥) طوبى لدار حوته — وأمــــه ،ابيه

٦) بل الف طوبى لعبد — في موضع يلتقيه

(٤٣)

أبو يحيى بن صمادح(رفيع الدولة) (طويل)

١) سل الركب عن نجد فأن تحية
لســاكن نجد قد تحملها الركب

٢) والا فما بال المطي على الوجا
خفاقا وما للريح حرجفها رطب

(٤٤) (طويل)

١) وأهيف لا يلوى على عتب عاتب
ويقضي علينا بالظنون الكواذب

٢) يحكم فينا أمره فنطيعه -
ونحسب منه الحكم ضربة لازب

(٤٥) (طويل)

١) اخذت أبا عمرو وان كان جانبا
علـــى ذنوبا لا تعدد بالعتب

٢) فما كان ذاك الود الا كَبارق
اضاء لعيني ثم أظلم في قلبي

(٤٦) (وافر)

١) اذا ماالأمر اخفق فيه سعي — وضاق مرامه من كل باب
٢) فلا تقنط فأن الله يأتي — بفتح لم يكن لك في حساب

(٤٧) (طويل)

١) أفدى أبا عمرو وأن كان جانبا — علي ذنوبا لا تعدد بالبهت
٢) فما كان ذلك لــود الا كـــبارق — اضاء لعيني ثم اظلم في لوقت

(٤٨) (بسيط)

١) قالوا حبيبك في إنسان مقلته
مثل الحبابة اذ تطفو على الراح

٢) فقلت بينهما في ذلكم شبه
كلتاهما تبعثان السكر للصـــاح

(٤٩) (بسيط)

١) تزهى إذا علقت أسيافه علقا — كأنه في خدود البيض توريد
٢) يهتز عطفك في يوم لوغى طربا — كـــأن وقع سيوف لهند تغريد
٣) تغنى بذكراك أزمان والسنة — كأن ذكرك ايمان وتوحيد

(٥٠)

قال يمدح الأمير المرابطي سير بن علي بن يوسف بن تاشفين (الكامل)

١) يا ابن الملوك الاكرمين مناسبا
ولي عهد المسلمين الاوحدا

٢) مهدتم بالسيف دين محمد
وشددتم بالعدل أركان الهدى

٣) تزهى المنابر اذ تقام بذكركم
وتذل عند سماع بأسكم العدا

٤) فبقيت للإسلام تنصر حزبه
وأطيل فيما تبتغيه لك المدى

(٥١)

قال يستدعي صديقا له (رمل)

١) يا أخي بل سيدي بل سندي في مهمات الزمان الأنكد
٢) لح بأفق غاب عنه بدره في اختفاء عن عيون الحسد
٣) وتعجل فحبيبي حاضر وفمي ساق وكأسي في يدي

(٥٢) (بسيط)

١) مالي وللبدر لم يسمح بزورته
لعله ترك الأجمال او هجرا

٢) ان كان ذاك لذنب ماشعرت به
فأكرم الناس من يعفو اذا قدرا

(٥٣)

قال يمدح الامير سيربن علي (الكامل)

١) بولي عهد المسلمين وعدله
آمن الانام من الزمان الجائر

٢) ملك له في المجد ابعد غاية
ورث السيادة كابرا عن كابر

٣) يهوى المكارم لا يمل من الندى
جم المواهب كالغمام الهامر

٤) وعليه من صنع الإله سكينة
ملء القلوب ونزهة للناظر

(٥٤)(الكامل)

١) ياعابد الرحمن كم ليلة أرقتني وجدا ولم تشعر

٢) اذ كنت كالغصن ثنته الصبا وصحن ذاك الخد لم يشعر

(٥٥) (سريع)

١) باكر الى القصف أبا عامر
فأنما نجح الفتى في البكر

٢) من قبل ان يمسح كف الصبا
دمع الغوادي من خدود الزهر

(٥٦) (طويل)

قال يهنئ الفتح بن خاقان بقدوم من سفر

١) قدمت أبا نصر على حال وحشة
فجاءت بك الامال واتصل الأنس

٢) وقرت بك العينان واتصل المنى
وفازت على يأس ببغيتها النفس

٣) فأهلا وسهلا بالوزارة كلها
ومن رأيه في كل مظلمة شمس

(٥٧) (الكامل)

١) وعلقته حلو الشمائل ماجنا
خنث الكلام مرنح الأعطاف

٢) مازلت انصفه وأوجب حقه
لكنه يأبى عن الأنصاف

(٥٨) (طويل)

١) الآهل اتت أسماء عني تحية
كما صاغ مسك في المفارق صائك

٢) وهل خبرتها الريح أني وامق
وأني لأبراد المدائح حائك

(٥٩)

واستأذن يوما على وجوه المرابطين ، فقال أحد الجلساء (تلك أمه قد خلت) استحقارا واستثقالا للأذن له.فبلغ رفيع الدولة ذلك فكتب إليه: (طويل)

١) خلت أمتي لكن ذاتي لم تخل
وفي الفرع ما يغني إذا ذهب الأصل

٢) وما ضركم لو قلتم قول ماجد
يكون له فيما يجيء به الفضل

٣) وكل أناء بالذي فيه راشح
وهل يمنع الزنبور مامجة النحل

٤) سأصرف وجهي عن خباء تحله

ولو لم تكن آلا إلى وجهك السبل

٥) فما موضع تحتله بمرفع

ولا يرتضــــى فيه مقال ولا فعل

٦) وقد كنت ذا عذل لعلك نزعوي

ولكــن بأرباب العلا يجمل العذل

(٦٠) (طويل)

١) لئن منعوا عني زيارة طيفهم

ولم ألف في تلك الطلول مقيلا

٢) فما منعوا ريح الصبا سوق

عرفهم وقد بكرت تندى علي بليلا

٣) ولامنعوني أن أكل بذكرهم

فؤادا بما يجني الصدود عليلا

(٦١) (وافر)

١) سطا ظبي الخميلة يا لقومي

على أسد العرينة واستطالا

٢) فأوتر قوس حاجبه أختيالا

وفـــوق من لواحظه نبالا

(٦٢) (الكامل)

١) هذي ديارهم التي اذكرتني

عهد الصبا وحديثه المعسولا

٢) ما كان اجمل عهدهم وفعالهم

لو كان فعلك يا زمان جميلا

(٦٣) (الطويل)

١) عجبت أبا نصر لعيشك آسيا

بفاس وما فيها مقام لفاضل

٢) وفي حمص الدنيا نعيم وجنه

وماء وظل وارف غير زائل

(٦٤) (بسيط)

قال مراجعا ابن اللبانة:

١) المجد يخجل من لقياك في زمن

ثناه عن واجب البر الذي علما

٢) فدونك النذر من مصف مودته

حتــى توفر أيام المنى السلما

(٦٥) (طويل)

١) إلا أيها الظبي الذي راق وجهه

ورقـــت حواشيه وناهيك من حسن

٢) يظن أناس أنني بك مغرم

لعمر الهوى ما أخطأ القوم في الظن

(٦٦) (طويل)

١) حبيب متى ينأى عن العين شخصه

يكاد فؤادي ان يطير من البين

٢) ويسكن ما بين الضلوع اذا ابدا

كان على قلبي تمائم من عيني

(٦٧) (طويل)

١) سلوت أبا نصر وما كنت سالبا

واظهرت عن قرب المزاد التنائيا

٢) فديتك قل:كيف اجترأت على النوى

وخلفــت من تهواه بالجزع ثاويا

٣) ظننت بأن يسليك نأي محله

وهيهـــات مـــا تزداد إلا تماديا

(٦٨) (بسيط)

١) أبا العلاء كؤوس الراح مترعة

وللندامى سرور في تعاطيها

٢) وللغصون تثن فوقها طربا

وللحمائـــم سجع في اعاليها

٣) فأشرب على النهر من صهباء صافية

كأنمـــا عصرت من خد ساقيها

(٦٩)

أبو يحيى محمد بن معن صمادح التجيبي ت ٤٨٤ (المعتصم بالله) ✡ (بسيط)

١) الروض يشرب والانواء تنسكب

والشمس تظهر أحيانا وتحجب

٢) وللنهار على أفنانه زهر

كأنـــه فضة من فوقها ذهب

(٧٠)

قال يعاتب ابن عمار (طويل)

١) وزهدني بالناس معرفتي بهم

وطول اختياري صاحبا بعد صاحب

٢) فلم ترني الأيام خلا تسرني

مباديــــه الا ساءني في العواقب

٣) ولا قلت أرجوه لدفع ملمة

من الدهر الا كان إحدى المصائب

(٧١)

وارتجل في ماء تسلسل في قصره (بسيط)

١) انظر إلى حسن هذا الماء في صببه

كأنه أرقم قد جد في هربه

(٧٢)

وقال عند موته (طويل)

١) تمتعت بالنعماء حتى حللتها

وقد اضجرت عيني مما سئمتها

٢) فيا عجبا لما قضيت قضاءها

ومليتها عمـــري تصرم وقتها

(٧٣)

قال يراجع الشاعر ابن عمار (مجزوء كامل)

١) يا فاضلافي شكره أصل المساء إلى الصباح

٢) هلا رفعت بمهجتي عند التكلم في السـراح

٣) إن السماح ببعدكم والله ليس من الســـماح

(٧٤)

وقال يخاطب الشاعر النحلي وكان قد استمنحه ثيابا (طويل)

١) وردت وللليل البهيم مطارف

عليـك وعندي للصباح برود

٢) وأنت لدينا ما بقيت مقربا

وعيشك سلسال الجمام برود

(٧٥)

قال يصف بركة ماء في قصره بالصمادحية: (طويل)

١) كأن انسياب الماء في صفحاته

حسام صقيل المتن سل من الغمد

٢) تفور به فوارة مستديرة

لها مقلـة زرقاء موصولة السهد

٣) كأن بها كأسا كأن حبابها

حباب سقيط الطل في ورق الورد

٤) لها في غدير الماء لآلاء جمرة

حكت نار ابراهيم في اللون والبرد

(٧٦) (طويل)

١) وحملت ذات الطوق مني تحية

تكون على أفق المرية مجمرا

٢) تبلغ من ودي إليكم رسائلا

بأعبق من نشر العبير وأعطر

(٧٧) (رمل)

١) بأبي من زارني وهنا وقد طبـــق الأفق دجاه فأنارا

٢ وعلى يمنــاه كأس انبتت من سناه فوق يسراه احمرارا

٣) واكتسى .... فبدا منـــه ماء جامد يحمل نارا

(٧٨)

قال يراجع المعتمد: (البسيط)

١) شكري لبرك شكر الروض للمطر

ونفح بشري به أذكى من الزهر

٢) وجاءني مخبر عنه فقلت له

بالله قــــل وأعد يا طيب الخبر

٤) يا واحدا علما في كل منقبة

لقـــد حللت سواد القلب والبصر

(٧٩) (البسيط)

١) مؤلف في خلاف قلبه حجر

وجسمــــه نعمة تدميه أنفاسي

٢) وكلما أتمنى قربه جعلت

مطامعي فيه تهوي بي إلى يأس

(٨٠)

وقال المعتصم مراجعا ابنه عز الدولة بعد اعتقاله عند المرابطين: (متقارب)

١) عزيزي علي ونوحي ذليل على ما أقاسي ودمعي يسيل

٢) لقطعت البيض اغمادهــا وشقـت بنود وناحت طبول

٣) لئن كنت يعقوب في حسنه ويــوسف أنت فصبر جميل

(٨١) (متقارب)

١) وتحت الغلائل معنى غريب
شفاء الغليل وبرء العليل

٢) فهل لي من نيله نائل
ولابن السبيل عليه سبيل

٣) فمالي إلا الهوى متجر
فعز الغواني متاع قليل

٤) فيا ربة الحسن في غاية
وعصر الشباب وظل المقيل

٥) ذريني أعانق منك القضيب
وارشف من ثغرك السلسبيل

(٨٢) (سريع)

١) انظر إلى الأعلام خفاقة قد عبث فيها أكف الشمال
٢) كأنها وهي لنا زينة أفئدة الأعداء يوم القتال

(٨٣) وقال قبيل وفاته: (متقارب)

١) ترفق بدمعك لاتفنه فبين يديك بكاء طويل

(٨٤) (الطويل)

١) لعمرك أن القلب نحوك شيق
وأنت بما ألقى من الشوق أعلم

٢) فودك عن ودي إليك مبلغ
وقلبك عن قلبي لديك مترجم

(٨٥) (البسيط)

قال يرثي جارية كان يحبها:

١) لما غدا القلب مفجوعا بأسوده
وفض كل ختام من عزائمه

٢) ركبت ظهر جوادي كي اسليه
وقلت للسيف كن لي من تمائمه

(٨٦) (مخلع بسيط)

١) يا من بجسمي لبعده سقم
ما فيه غير الدنو يبريني

٢) بين جفوني والنوم معترك
صغر عنه حروب صفين

٣) ان كان صرف الزمان ابعدني
عنك فطيف الخيال يدنيني

(٨٧)

أم الكرام بنت المعتصم ✪

قالت في فتى كانت تعشقه يدعى (السمار): (سريع)

١) يا معشر الناس ألا فاعجبوا
مما جنته لوعة الحب

٢) لولاه لم ينزل ببدر الدجى
من أفقه العلوي للترب

٣) حسبي بمن أهواه لو أنه
فارقني تابعه قلبي

(٨٨)

ولها فيه: (طويل)

١) الا ليت شعري هل سبيل لخلوة
ينزه عنها سمع كل مراقب

٢) ويا عجبا اشتاق خلوة من غدا
ومثواه ما بين الحشا والترائب

(٨٩)

(بنو عباد) (وافر)

القاضي أبو القاسم محمد بن أسماعيل بن عباد ✪
(ت ٤٣٣هـ)

١) محب ما يساعده الحبيب
رأى وجه الانابة لو ينيب

٢) ويبكي للصبا إذ زال عنه
فيضحك في مفارقه المشيب

٣) وكم احيت حشاشته أمان
يباعد بينها الأجل القريب

(٩٠) وقال يصف النيلوفر: (بسيط)

١) يا ناظرين لذي النيلوفر البهج
ولطيب مخبره في الفوح والارج

(٩١)

وقال يصف (الظيان) وهو الياسمين البري: (طويل)

١) ترى ناضر الظيان في لون وجهه
إذا مر من ماء السحائب يغتذي

٢) وحفت به أوراقه في رياضة

وقد قُدَّ بعض مثل بعض وقد حذي

٣) كصفر من الياقوت يلمعن بالضحى

منضدة من فوق قضـــب الزمرد

(٩٢)

قال مفتخرا بنفسه: (طويل)

١) ولا بد يوما آن أسود على الورى

ولو رد عمرو للزمن وعامر

٢) فما المجد إلا في ضلوعي كامن

ولا الجـود إلا من يمني ثائر

٣) فجيش العلا ما بين جنبيَّ جائل

وبحر الندى ما بين كفيَّ زاخر

(٩٣)

وله يصف الياسمين: (سريع)

١) وياسمين حسن المنظر

يفوق في المرأى وفي المخبر

٢) كأنه من فوق أغصانه

دراهــــم في مطرف اخضر

(٩٤)

وله في الياسمين أيضا: (سريع)

١) يا حبذا الياسمين إذ يزهر

فوق غصـــون رطيبة نضر

٢) قد امتطى للجمال ذروتها

فوق بساط من سندس اخضر

٣) كأنه والعيون ترمقه

زمــــرد في خلاله جوهر

(٩٥)

وله يصف الظيان : (منسرح)

١) كأن لون الظيان حين بدا نــواره اصفرا على ورقه

٢) لون محب جفاه ذو ملل فأصفر من سقمه ومن أرقه

(٩٦)

الراضي بالله (أبو خالد يزيد بن يزيد بن محمد) ت ٤٨٤ ه

قال يذم الدنيا: (طويل)

١) يحل زمان المرء ما هو عاقد

ويسهر في إهلاكه وهو راقد

٢) ويغري بأهل الفضل حتى كأنهم

جنــاه ذنوب وهو للكل حاقد

٣) سينهد مبنيٌّ ويقفر عامر

ويصفــرّ مملوء ويخمد واقد

٤) ويفترق الآلاف من بعد صحبة

وكم شهدت مما ذكرت الفراقد

(٩٧) (كامل)

١) مالي أرى ذا السيف عندك عاطلا

وهو المصمم ان هواك تبلدا

٢) مالي حرمت رضاك لي وهو الذي

قد كنت أرهب من زمان أنكدا

٣) أني وحقك واجد بين الحشا

من اجل سخطك مثل حز بالمدى

٤) أن كان لي ذنب فعفوك واسع

أو أن يكـن بغض فقد بان الردى

٥) قد كان من حقي لعمرك-أن أرى

مـــن بين أبناء الملوك محسدا

٦) فأنا الجواد متى أجيئ بحلبة

فأنت عيون الناظرين لي المدى

٧) لا تنحلوا شعري سواي تشككا

فالسقط قد يغشي العيون إذا بدا

(٩٨) (بسيط)

١) مروا بنا أُصُلاً من غير ميعاد

فأوقــدوا نــار شوقي أي إيقاد

٢) وأذكروني أياما لهوت بهم

فيها ففــازوا بأيثاري واحمادي

٣) لاغرو أن زاد في وجدي مرورهم

فرؤية الماء تذكي غلة الصادي

(٩٩) (طويل)

١) أتاني من بابي لمجدك عثرة

فدب له من كل جارحة شكر

٢) لئن كان لي فضل فمنك استفدته
ولولا ضياء الشمس ما بهر البدر

٣) أتشرب من ودي المدامة سيدي
وينســـاغ لي في تركها ابدا عذر

٤) سأشربها لما ظللت موليا
وفي مثل ذاك الود يستسهل الوزر

(١٠٠)

قال يعتذر لأبيه (المعتمد) بعد خسارته في المعركة التي سقطت فيها مدينة (لورقة)
(بسيط)

١) لا يكرثنك خطب الحادث الجاري
فما عليك بذاك الخطب من عار

٢) ماذا على ضيغم أمضى عزيمته
أن خانــــــه حد أنياب وأظفار

٣) من يوقد الحرب لا ينكر حوادثها
قد تحرق الحرب يوما موقد النار

٤) لئن أتوك فعن جبن وعن خور
قد ينهض العير نحو الضيغم الضاري

٥) عليك للناس أن تبقى لنصرتهم
ومــــا عليــــك لهم إسعاد أقدار

٦) لو يعلم الناس ما في أن تدوم لهم
بكــــوا لانك من ثوب الصبا عار

٧) ولو أطاقوا انتقاصا من حياتهم
لـــم يتحفوك بشيء غير أعمار

(١٠١)

وعندما قرأ المعتمد الابيات اعلاه غضب غضبا شديدا. وكتب للراضي قصيدة هازلة مطلعها:

١) الملك في طي الدفاتر
فتخل عن قود العساكر

حاول فيها أن يحط من قدر ابنه معيرا إياه بأنه فضل الاهتمام بالكتب والعلوم على الحرب والجهاد فحصل له ما حصل.

فأجابه الراضي معارضا ومحاولا الاعتذار: (مجزوء الكامل)

١) مولاي قد أصبحت كافر
بجميع ما تحوي الدفاتر

٢) وفللت سكين الدواة
وظلت للأقلام كاســـر

٣) وعلمت إن الملك مابين
الأســــنة والبواتــــر

٤) والمجد والعلياء في
ضرب العساكر بالعساكر

٥) لاضرب أقوال بأقوال ضعيفات المكاسـر

٦) قد كنت أحسب من سفا
وأنها أصــــــل المفاخر

٧) فأذا بها فرع لها
والجهل للإنســـــان عاذر

٨) لايدرك الشرف الفتى
إلا بعســــــال وباتـــر

٩) وهجرت من سميتهم
ووجدت أنهــم أكابـــر

١٠) مولاي إن تسخر فلا
عار بنا أن كنت ســاخر

١١) لو كنت تهوى ميتتي
لوجدتني للعيش هاجـــر

١٢) ضحك الموالي بالعبيد اذا تؤمل غيرضائر

١٣) ان كان في فضل فمنك
وهل لذاك النور ســـاتر

١٤) أن كان في نقص فمني
غير أن الفضل غافــــر

١٥) ذكرت عبدك ساعة
يبقى لها مـــــا عاش ذاكر

١٦) يا ليته قد غيبته عندها إحـدى المقابـــر

١٧) أتريد مني أن أكون
كمن غدا في الـــدهر نادر

١٨) هيهات ذلك مطمع
يعيي الأوائــل والأواخر

١٩) لا تنس يا مولاي قولة
صـــاغر لا قـــول فاخر

٢٠) ضبط الجزيرة عندما
نزلت بعقوتها العساكــر
٢١) أيام ظلت بها فريداً ليس غير الله ناصــر
٢٢) إذ كان يعشي ناظري
لمع الأســـنة والبواتر
٢٣) ويصم أسماعي بها
قــرع الحجارة بالحوافر
٢٤) وهي الحضيض سهولة
لكن ثبت بها مخاطــــر
٢٥) هبني أسأت' كما أسأت'
أمـــا لهذا العتب أخــــر
٢٦) هب زلتي لبنوتي
وأغفـــر فأن الله غافر

(١٠٢) (منسرح)

١) غصن من التبر فوقه ورق
كأنه الصبح تحته شفق
٢) يا أبدع الناس في محاسنه
رق على من أذابه الأرق
٣) مددت كفي رجاء رأفتكم
لا تتركوني ينالني الغرق
٤) بحر دموعي مغرق جسدي
تداركوا مهجتي وبي رمق

(١٠٣) (سريع)

١) يا قمراً اصبح لي مالكاً
لاتـــتركني هكذا هالكا
٢) رق على قلب العميد الذي
يود لو يجري على بالكا
٣) حسنت في خلق وخلق فلمْ
رضيــت بالقبح لافعالكا

(١٠٤)

قال يعاتب أباه المعتمد ويعتذر اليه (وافر)

١) اعيذك ان يكون بنا خمول
ويطلع غيرنا ولنا افول
٢) حنانك أن يكن جرمي قبيحاً
فأن الصفح عن جرمي جميل'
٣) وإن عثرت بنا قدم سفاها
فانـــــي من عثاري مستقيل
٤) وأحسن ما سمعت به عزيز
يناديــــه فيـــــرحمه ذليل
٥) وها أنا ذا أناديكم فهل لي
إلـــى قرب من الرحمى سبيل'
٦) وأنت الملك تعفو عن كثير
فمـــا لك ظلت يغضبك القليل
٧) ألست بفرعك الزاكي وماذا
يرجـــى الفرع خانته الاصول'
٨) بعثت برفقتي هذي رسولاً
صغيـــر السن ليس له حويل
٩) لترحمه وأفراخاً اذا ما
عتبت علــــيّ عاد لهم عويل
١٠) بقيت لهم على عتب وعتبى
فـــأن حياتـــك الظل الظليل

(١٠٥)

وقـــال يســتعطف أبـــاه المعتمـــد ويعتـــذر اليــــه: (طويل)

١) سجية ذي الدنيا عداوة ذي الفضل
ورومك نقل الطبع من أعظم الجهل
٢) فصبراً على ضيقاتها فلعلها
تفــــرج يـــوماً والعقود الى حلّ
٣) ولا تضمرنّ الثكل إن كنت ذا حجىً
فليـــــس لبيباً من يبات على ثكل
٤) سأشكو إلى مشكي فؤادي بعتبه
ومن عجب شكوى الجريح إلى النصل
٥) أمعتمد الافلاك دعوة أمل
رضاك فلا ضاقت إلى غيره سبلي
٦) ولست'-وأن أضحى بعيداً-بيائس
فأن دموع المزن تهوي إلى سفل
٧) لك الخير لم أعلم بأنك منكر
اذا الشمس آذتني فراري الى الظل

٨) فأن كنت' ذا ذنب فحسبي عفوكم
وقلبي مازال الرجال' ذوو الفضل
٩) وكم حقن ألاملاك قبلك من دم
وكـــان لديهم سفكه كجنى النحل
١٠) يؤرقني ظني بجدي ونقصه
ويرقدنـــي علمي بمالك من فضل
١١) لعمري لئن كنت الجدير بزلفة
اليك فهــذا الفرع من ذلك الاصل

(١٠٦)

قال يخاطب أباه: (متقارب)

١) الان تعود حياة الأمل
ويدنو شفاء فؤاد مُعَلّ
٢) ويورق للعز غصن ذوى
ويطلـــع للسهد نجم أفل
٣) فقد وعدتني سحاب الرضى
بوابلها حين جادت بطَل
٤) دعوت فطار بقلبي السرور اليك وأن كان فيك الوجل
٥) أيا ملكاً أمره نافذ
فمن شاء عزّ ومن شاء ذل
٦) كما يستطيرك حب الوغى
اليهـــا وفيها الظبي والأسل
٧) ولاغرو إن كان منك اغتفار
وإن كـــــان منا جميعا زلل
٨) وليس لأنك قاسي الفؤاد
ولكـــن لأن إجترامي جلل
٩) فمثلك وهو الذي لم يجد
يعـــــود بحلم على من جهل

(١٠٧)

قال يذم الدنيا ويصف غدرها بالرجال: (متقارب)

١) هي الدار غادرة بالرجال
وقاطعة لحبال الوصال
٢) وكل سرور بها نافذ
وكل مقيم بها بارتحال

٣) وموعدها ابداً كاذب
فأن أنجــزته فبعد المطال
٤) فمن رام فيها وفاءً يدوم
ومكنا لها رام عين المحال
٥) خلقنا نياماً وظلت خيالاً
وأوشك شيئ فراق الخيال
٦) نعذّب منها بغير اللذيذ
ونشرق منها بغير الزلال
٧) ونزداد-مع ذاك عشقاً لها
الا انما سعينا في ضلال
٨) كمعشوقة ودها لا يدوم
وعاشقها ابداً غير سال

(١٠٨)

الرشيد بن المعتمد (ابو الحسين عبيد الله بن محمد)

قال متغزلا : (كامل)

١) قالوا :غداً يوم الرحيل فأمطرت
عيناي دمعاً واكف العبرات
٢) لم لا ؟ وأناى عن أحبة مهجتي
كرها فقلبي دائم الحسرات
٣) لولا الرجاء بأن يعجلّ بيننا
وشك التلاقي لأشتهيت مماتي

(١٠٩) (الوافر)

١) أريد تفرجاً عند انرواح
ومد العين في خضر البطـــاح
٢) فقد صدئت من الاحزان نفسي
وليـس جلاؤها غيــر المراح
٣) فلا تتوانيا عني وهبا
الـــيّ هبـوب أنفاس الرياح
٤) أدير عليكما الأكواس تحوي
لذيـــذ الـــراح بالماء القراح
٥) على عود يرن كما أرنت
فصاح الورق في فلق الصباح

(١١٠)

عتب عليه المعتمد يوما عتبا شديداً . فكتب اليه الرشيد يستعطفه : (مديد)

١) يا حليف الندى ورب السماح
وحبيب النفوس والارواح

٢) من تمام النعمى عليّ التماحي
لمحة في جبينك الوضاح

٣) قد غنينا ببشره وسناه
عن ضياء الصباح والاصباح

٤) ذاك حظي من الزمان فأن جاد به لي بلغت كل اقتراح

(١١١)

وقال يخاطب أم ابنه (المعلى) عند ولادتها لابنه ذاك: (طويل)

١) أهنيك بل نفسي أهني فأنني
بلغت الذي كان اقتراحي على الدهر

٢) خلاصك من أيدي المنون وغرة
بـــــدت للمعلى مثل دائرة البدر

٣) كأني به عما قريب مملكاً
زمـــــام المعالي نافذ النهي والامر

٤) يقود الى الهيجاء كل غضنفر
ويضرب من ناواه بالبيض والسمر

٥) فقرت به عيني وعينك في العلا
ولازال اسمي في المحل من الغفر

(١١٢)

قال يصف قصر أبيه المسمى (سعد السعود): (الطويل)

١) سعد السعود يتيه فوق الزاهي
وكلاهما في حسنه متناهي

٢) ومن اغتدى وطناً لمثل محمد
قد جل في علياه عن اشباه

٣) لازال يخلد هاتنا ما شاءه
ودهت عداه من الخطوب دواه

(١١٣)

ذخر الدولة (ابو المكارم حكم بن محمد)
قال مجاوبا احد أصدقائه وقد مدحه بأبيات:

(من شواذ الرمل أو شواذ المديد)

١) مالمجد علم
والزمان حكم

٢) وقضاياه غدا
جورها يحتكم

٣) رائد الشؤم به
محبــر أو قلم

٤) ونبيه فطن
بيت شعر ننظم

٥) درس الفضل به
وتفانى الكـرم

٦) وغدا كل اخ
وده متهـــم

٧) غير خل ماجد
فضله منتظـــم

٨) سفرت عنه لنا
كلـــم بل حكم

٩) عظمت إذ نظمت
مجد قوم عدموا

١٠) صاح أنا عرب
ملكتهـا عجم

١١) كل فضل ونهى
عدم عندهــم

١٢) آه من دهر غدا
حــرّه يهتضم

١٣) آل عباد به
غـــائر نجمهم

١٤) لعب الدهر بهم
ومحا رسمهم

١٥) ليت شعري والمنى
خُلّبٌ أو حلم

١٦) هل الى أندلس
نظرة تُغتنمُ

شرف الدولة (أبو يحيى بن محمد) (١١٤)

قال متذمرا وهو في منفاه بمراكش يذكر قضية أجباره علــى الكتابه للمحتسب الذي كان أمياً (كامل)

١) عجباً لدهر كل مافيه عجب
فذم سما ونبيه قوم قد رسب

٢) لا تنفع الاداب فيه وأن غدت
تعزى الى ذي همة عالي النسب

٣) أو ليس من نكد الزمان بأن أرى
أدعى لاكتب صـاغراً للمحتسب

٤) خسف أسام به وتأبى همه
لخميــــة إلا الصيانة للحسب

(١١٥) (كامل)

بثينة بنت المعتمد

سبيت مع من سبى من أفراد عائلتها أثر سقوط دولة ابيـــها في اشبيليه، وغابت اخبارها عن والديها وكــان أحــد تجــار اشبيليه قد اشتراها على انها جارية ووهبها لابنه ، فلمــا أراد

الدخول عليها إمتنعت وأظهرت نسبها وقالت : لا أحل لـك الا بعقد النكاح ان رضي ابي بذلك واشارت عليه بتوجيـه كتـاب من قبلها لأبيها وأنتظرت جوابه فكانت رسالتها هذه القصيدة:

١) اسمع كلامي واستمع لمقالتي
فهي السلوك بدتْ من الاجياد
٢) لا تنكروا أني سبيت وأنني
بنـــت لملك من بني عباد
٣) ملك عظيم قد تولى عصره
وكـــذا الزمان يؤول للأفساد
٤) لما أراد الله فرقة شملنا
وأذاقنـــا طعم الاسى عن زاد
٥) قام النفاق على ابي في ملكه
فدنـــا الفراق ولم يكن بمراد
٦) فخرجت هاربة فحازني أمرؤ
لم يـــأت في اعجاله بمراد
٧) اذ باعني بيع العبيد فضمني
مـــن صانني الا من الانكاد
٨) وارادني لنكاح نجل طاهر
حسن الخلائق من بني الانجاد
٩) ومضى اليك يسوم رأيك في الرضى
ولأنت تـنظر في طريق رشاد
١٠) فعساك يا أبتي تعرفني به
إن كـــان ممن يرتجى لوداد
١١) وعسى رميكية الملوك بفضلها
تدعـــو لنا باليمن والاسعاد

(١١٦) (بنو هود)

(المقتدر) احمد بن سليمان بن هود (كامل)

١) ماذا ترى في يوم آمن طرزت
حلل السحاب به البروق المذهبه
٢) وأنا وكأسي لاجليس غيره
مـــلآن لا يخلو الى أن تشربه
٣) والأنس إن يسرته متيسر
ومتـــى تصعبه فياما اصعبه

(١١٧)

قل يصف قصري (السرور) و(مجلس الذهب) (كامل

١) قصر السرور ومجلس الذهب
بكا بلغت نهاية الطرب
٢) لو لم يحز ملكي خلافكما
كانت لدىّ كفاية الأرب

(١١٨) (مخلع بسيط)

١) لست لدى خالقي وجيها
هذا مدى دهري وأعتقادي
٢) لو كنت وجهاً لما براني
فـي عالم الكون والفساد

(١١٩) (مجتث)

١) ياظبي بالله قل لي   متى ترى في حبالي
٢) يمر عمري وحالي   في خيبتي من خالي

(١٢٠) (مجتث)

١) ياصارما أغمدته   عن ناظريَ الصوارم
٢) وزهرة غيبتهـا   عـــن الطيور كمائم
٣) ياكوكبا خرّمن انجمـي وأنفـي راغـم
٤) بكت عليّ وشقت   جيوبهـــن الغمائم
٥) قل للحمائم أني   أصبحت أحكي الحمائم
٦) وأنثر الدمع مهما   رأيت للزهر باسـم
٧) تالله لا لذ عيشي   نمتـــرف لك عادم

(١٢١)

الأمير أبو محمد عبد الله بن هود (مجتث)

سئل عما اكتسبه في ولايته فقال:

١) وسائل لي لما   صدرت عما وليت'
٢) ما نلتَ ؟ قلت : ثناءً   يبقى معي مابقيت'
٣) فأن أمته كان بعدي   مخلداً لا يموت'
٤) عفت الفضول لعلمي   أن ليس يعدم قوت
٥) وصنت قدري عنها   تحمـــلاً فغنيت'

(١٢٢)

وقال يمدح المتوكل ابن الافطس (بسيط)

١) ياخائف الدهر يمم أرض يا برة

تأمن وتكفى الذي تخشى من الحذر

٢) وواصف البحر في شتى عجائبه

حدّث بـلا حرج عنه وعن عمر

٣) وكم سمعنا قديما عن مكارمه

حتـى رأينا فأزرى الخُبر بالخبر

(١٢٣)

قال يصف سرقسطة ويتشوق إليها بعد أن طرده ابناء عمه منها: (مجزوء الكامل)

١) إن بنت' عن سرقسطة

فبرغم أنفي لا أختياري

٢) ماجال طرفي في السماء وقد نأت عنها دياري

٣) إلا دخلت قصورها

برياضها هذي الدراري

(١٢٤)

قال يخاطب ابناء عمه: (طويل)

١) ضللتم جميعا آل هود عن الهدى

وضيعتم الرأي الموفق اجمعا

٢) وشنتم يمين الملك بي فقطعتم

بأيديكم منها وبالغدر اصبعا

٣) وما أنا الا الشمس عند غياهب

دجت فأبت لي أن أنير واسطعا

٤) وأن طلعت تلك البدور أهلة

فلم يبق الا أن أغيب وأطلعـا

٥) فلا تقطعوا الاسباب بيني وبينكم

فأنقدم منكم وأن كان أجدعـا

(١٢٥)

وله هذه الابيات التي نقشت على قبضة سيف المتوكل:(بسيط)

١) لا تخشى ضيماً ولا تصبح أخا فرق

أذا رياسي في يمنى يديك بقي

٢) اصبحتَ امضى من الحين المتاح فصّل

على الكماة وبي عند الوغى فلق

٣) لولا فتور بالحاظ الظباء اذاً

لقلت إني أمضى من ظبى الحدق

(١٢٦)

قال عند احتراق بيته في أثناء مقامه بطليطله: (طويل)

١) تركت' محلّي جنة فوجدته

على حكم أيدي الحادثات جهنما

٢) لتصنع بي الايام ماشئن اخراً

فمـا صنعت بي أولاً كان أعظما

هوامش التوطئة والخصائص الفنية

١) جمع الاستاذان كامل كيلاني وعبد الرحمـن خليفـة شـعر المعتضد وشعر المعتمد ونشراه ملحقا بديوان ابن زيـدون وذلك في القاهرة سنة ١٩٣٢.

وفي عام ١٩٥١ نشر الاستاذان أحمد أحمد بـدوي وحامد عبد المجيد شعر المعتمد بن عباد ونشـر الدكتـور محمد مجيد السعيد ديوان المعتضد بن عبـاد فـي مجلـة المورد العراقية المجلد (٥) العدد (٢) لسنة ١٩٧٦.

ونشر الدكتور رضا السويسي ديوان المعتمد بن عباد محققا في تونس ١٩٨٥ وكتبت في كلية التربية بجامعة الانبار اطروحة ماجستير عنوانها (البناء الفني في شـعر المعتمد بن عباد) للباحثة نادية محمود جمعة ١٩٩٨.

٢) ينظر: تأريخ الأدب الاندلسي-عصر الطوائف والمرابطيـن للدكتور احسان عباس. وينظر الشعر في ظل بنـي عبـاد للدكتور محمد مجيد السعيد، وينظر اتجاهات الغـزل فـي عهد الطوائف :أنقاذ عطا الله

٣) ينظر مثلا :٢٦،٣٠

٤) ينظر مثلا :٩٧ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٤ .

٥) ينظر مثلا : ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٩ ، ٧٤ .

٦) ينظر مثلا : ٤١ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٤ ، ٩٥ .

٧) ينظر المقطوعة:١١٣،يجوز لـهذا الشـذوذ فـي الرمـل والمديد.فهو يكون مجزوء رمل وقُد حذفت منه عروض.وقد يكون مشطور مديد وقد يسمى (وافي المديد) ويستشـهدون بالبيت الشهير :

طاف يبغي نجوة من هلال فهلك

٨) ينظر المقطوعات ٣،٥،١٢،٣٣،٣٩،٤٨

هوامش التحقيق

بنو الافطس :

۞ المتوكل : أبو محمد عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد مسلمة بن الافطس واصلهم من مكناسة في المغرب الا إنهم ينتسبون الى قبيلة (تجيب) العربية. غير أن ابن حزم في جمهرته للانساب لم يذكر بني الافطس فيمن ذكرهم من التجيبين في الاندلس يقول ابن حيان (ومن النادر الغريب انتماؤهم في تجيب) الا أن الشعراء اشارت الى انتسابهم في تجيب ومدحتهم بذلك. فقد كان شاعرا مجيدا مطبوعا.وقد جمع حوله عدداً كبيرا من الشعراء الكبار. قتل المتوكل بعد استيلاء المرابطين على بطليوس حيث اعتقل أول الامر هو وابناه ثم قتلوا صبراً سنة ٨٤٧

ينظر في ترجمته : القلائد ١: ١٢٠،الحلة٢: ٩٦، رايات ٢٩، المغرب ٢: ٣٦٤،اعمال الاعلام ٢١٤

(١)

التخريج:القلائد ١: ١٤٠، الحلة ٢، ١٠٧، المطرب ٢٤، نفح الطيب ١: ٦٦٥

(٢)

التخريج:الحلة ٢، ١٠٥

(٣)

التخريج: انقلائد ١: ١٣٨،الحلة ٢: ١٠٦،النفح١: ٦٦٤

(٤)

التخريج:القلائد ١: ١٤١،والابيات في الحلة٢: ١٠٤ ، منسوبه لابن القبطرنه وبأختلاف

(٥)

التخريج :القصيدة في الحلة ٢: ١٠٤ ، الذخيرة ق٢ م١: ٦٤٨ عدا (٥) وهي في القلائد ١: ١٣٢ عدا (٣، ٨ ، ٩ ، ١٢ ، ١٣)

الحول والقبل (جمع احول وأقبل) وهي عيوب في العيون

(٦)

التخريج :القلائد ١: ١٤٤ ،الذخيرة ق٢ م١ ٦٥٢، الحلة ٢: ١٠٧، المطرب :٢٢ ، النفح ١: ٦٦٦

في الحلة والمغرب :انهض أبا غانم الينا- واسقط سقوط الندى علينا

٢) في الذخيرة والحلة (فنحن عقد بغير وسطى)

۞ابن رزين:هو ابو مروان عبد الملك بن هذيل ، ويعرف بذي الوزارتين وحسام الدولة، وأصله من البربر الذين حكموا منطقة (السهلة) وانفرد بالحكم فيها بعد وفاة أبيه سنة ٤٣١ هـ وهو لما يزل شابا ،اتسم حكمه بالاستبداد القاسي وكان معجبا بنفسه وشعره ، وكان يقابل الادباء الشعراء بفضاضة وربما بقسوة اشار اليها أغلب مؤرخي الاندلس. توفي سنة ٤٩٦ هـ ترجمته في :قلائد العقيان:١: ١٥٧، الذخيرة ق٣ م١ ١٠٩، الحلة ٢: ١٠٨ المطرب ٣٩، البيتان المغرب ٣: ٣٠٩ ، النفح ١: ٦٦٩

(٧)

التخريج: الذخيرة ق٢ م ١ ،والنفح عدا (٦) ٤٣٢:٣

(٨)

التخريج :الذخيرة ق٣ م١ :١١٦، الحلة ٢: ١١٠، البيتان المغرب ٣: ٣٠٩

(٩)

التخريج: القلائد ١: ١٦١، ١٦١، الذخيرة ق٣ م١ :١١٢، الحلة ٢ : ١١١ ، المغرب ٢ :٤٢٨،نفح:١ ٦٦٩

٢) في الحلة (من العصب ميدا) وفي المغرب (من القضب ميدا)

٣) في الذخيرة : فلا تحقرن الدهر مادمت مسعدا

(١٠)

التخريج : الذخيرة ق٣ م١ : ١١٩ ، الحلة ٢ : ١١١

١) في الحلة (يرى سعده)

٢) هكذا ورد البيت في الاصل وفيه أقواء ولعل الصواب(اذا نصرت جنده)

٣)النائع : اتباع للجائع يراد به التوكيد .

(١١)

التخريج : الذخيرة ق٣ م١ : ١١٧

(١٢)

التخريج : الذخيرة ق٣ م١ :

(١٣)

التخريج : الذخيرة ق٣ م١ : ١١٦

(١٤)

١١٨ التخريج : القلائد ١: ١٦١ ،الذخيرة ق٣م١: ١٢٢

٢) الذخيرة (فصيح مذرب)

٣)الذخيرة (وقد عدم السحر)

٤) الذخيرة (وما ملكت القول قهرا وعنوة)

(١٥)

التخريج : القلائد ١: ١٦٢ ٤

(١٦)

التخريج : الذخيرة ق٣ م١ : ١٢١ ، الحلة ٢: ١١٠

(١٧)

التخريج : البيت في الذخيرة ق٣ م١ : ٥٠

(١٨)

التخريج : الذخيرة ق٣ م١ :١١٨ ، والابيات عدا(١ ، ٢) في النفح ٣ : ٥٦٧

٣) النفح (بالله أن لم تزدجر يامشبه البدر المنير

(١٩)

التخريج : الذخيرة ق٣م١ : ١١٤، الحلة ٢ : ١١٣ البيان المغرب عدا (١ ،٢) ٣ : ٣٩

(٢٠)

التخريج : الذخيرة ق٣ م١: ١١٨، والبيتان (١ ،٢) في القلائد ١: ١٦٨ . والحلة ٢ : ١١٣

(٢١)

التخريج : القلائد ١: ١٦٦ ، الذخيرة ق٣ م١، ١٢٤ ،الحلة ٢ : ١١٢

(٢٢)

التخريج : الذخيرة ق٣ م١ : ١١٦ ، البيان المغرب ٢ : ٣٠٩

٢) في البيان (ليل تطاول حتى ما تبين لي)

(٢٣)

التخريج : الابيات في القلائد ١ : ١٦٧ ، الذخيرة ق٣ م١ : ١١٨ ، الخريدة ٣١١ ، المغرب٢: ٤٢٩

٢) في الذخيرة (وتحض تفاح النهود) والخريدة (ونرى سنا الاحداق بالاحداق)

٣) في الذخيرة (ويعيد انفسنا الى اجسادها فلطالما شردن في الافاق

(٢٤)

التخريج : القلائد ١ : ١٦٨

(٢٥)

التخريج : الابيات في القلائد ١ : ١٦٧ ، الذخيرة ق٣ م١ ١٨٨، الخريدة ٣١١

(٢٦)

التخريج: الذخيرة ق٣ م١ : ١١٩،الحلة٢: ١١١

٢) البيت في الحلة (قوم اذا حاربوا أفنوا وان سئلوا وأن سوبقوا حازوا مدى الكرم)

(٢٧)

التخريج :في الذخيرق٣م١: ١١٧،والحلة ٢ : ١١٢

٢) في الحلة (عبثت به ايدي الصبا)

(٢٨)

التخريج : الذخيرة ق٣ م١ : ١٢٠

(٢٩)

التخريج : الحلة ٢ : ١١٤

(٣٠)

التخريج : الابيات في القلائد ١ : ١٥٨ ، الذخيرة ق٣ م١ :

١٢١،المطرب : ٣٩ ، المغرب ٢ : ٤٢٨ ، نفح ١ : ٦٦٧
في الذخيرة : فكيف يطيب العيش او يحسن الغنا والنفح (يحسن المنى)

(٣١)

التخريج:البيتان في القلائد :٦٨ ، الذخيرة ق٣ م١ : ١٢٤ ، الحلة ٢ : ١١٣ ، الخريدة ٣١٢

(٣٢)

التخريج :الابيات في القلائد ١: ١٦٤ ، الذخيرة ق٣ م١ : ١٢٣

٢) في الذخيرة (في الدنيا وفي الدين)
وفي الذخيرة (ذاك الوفي الذي نيطت تمائمه)
وابن سيرين ٢ هـ الزاهد الفقيه المحدث الورع الذي ينسب اليه كتاب في تفسير الاحلام .ينظر في ترجمة حلية الاولياء ٢: ٢٦٣

٧) السموأل بن عادياء : الشخصية الجاهلية المشهورة بالوفاء حتى صار مضرب المثل فيه فقيل (أوفى من السموأل) ينظر الميداني ٢: ٣٧٤

(٣٣)

التخريج : الابيات في الذخيرة ق٣ م١ :١١٨ ، الحلة ٢:١١٢

بنو صمادح

❁ أبو جعفر أحمد بن المعتصم

ترجمته في :المطرب ٣٧، المغرب ٢: ٢٠٠ ، نفح الطيب ٢: ٢٥٢.

(٣٤)

التخريج : المغرب ٢: ٢٠٠

(٣٥)

التخريج : المطرب ٣٧،الخريدة:٨٩، النفح ٣: ٣٧١

٢) في المطرب (فيه مرادة)
٣) في الخريدة (البنان المكرم)

❁ أبو مروان عبيد الله بن معن بن صمادح (عز الدولة) بنو صمادح من العرب التجيبين الذين دخلوا الاندلس ،وكان اخر ملوكهم (المعتصم بن صمادح) قد حكم (المرية) أيام الطوائف. وعندما اسقط المرابطون ممالك الطوائف حاصرت جيوشهم المعتصم في المرية .فأرسل إبنه عز الدولة ليهادن أمير المرابطين . غير أن الاخير القى القبض على عز الدولة فجهد أبوه في الاحتيال حتى تمكن من تخليصه من السجن ،حكم المرية أثر وفاة أبيه غير أنه لم يقو على مقاومة جيوش المرابطين فهرب من المرية وسلمها للمرابطين ثم توجه الى المغرب وأقام في فاس تحت رعاية حاكمها الى أن توفي هناك . وقد ذكرت له المصادر شعراً يؤكد قدرته القوية على النظم . ينظر في ترجمته: المغرب ٢: ٢٠١ ، مطمح ٤٠٤ ، الحلة ٢ : ٨٨

(٣٦)

التخريج : الذخيرة ق٣ م١ : ٤٩١

(٣٧)

التخريج : المغرب ٢ : ٢٠٢

(٣٨)

التخريج : المطمح ٤٠٤، الحلة ٢: ٨٨

٤ – في الحلة (وقد كان يكرم قبلي الرسول)

(٣٩)

التخريج :مطمح ٤٠٥ ، الحلة ٢: ٩١

(٤٠)

التخريج : الابيات في المغرب ٢ :٢٠١ ، والنفح ٣: ٣٦٨ (عدا ٤،٥)

(٤١)

التخريج :مطمح ٤٠٦ ، الحلة ٢: ٩٢، النفح ٣: ٣٦٩

(٤٢)

التخريج : المغرب ٢: ٢٠٢

❁ أبو يحيى بن المعتصم (رفيع الدولة)

يلقبه ابن خاقان بأبي زكرياء ، ويصفه ابن الآبار بأنه أشعر بني صمادح ، ولكنه يستدرك ويقول بأن الخمول اخفى على محاسنه. التحق بتلمسان بعد سقوط دولة أبيه ، وعاش بكنف حاكمها ابي بكر مزدلي حتى وفاته سنة ٥٤٠ هـ. وقد ذكرت له المصادر شعرا كثيرا .

ترجمته في : مطمح : ٢٢٢ ، القلائد ٢: ٥٦٧ ، الذخيرة ق١ م١ :٧٣٧ ، الحلة ٢ : ٩٢ المغرب ٢: ٢٠٠، نفح ٣: ٣٦٩.

(٤٣)

التخريج:الحلة :٢: ٩٤

(٤٤)

التخريج : القلائد ١ : ٥٦٨ ، مطمح ٢٢٣ ، الذخيرة ق١ م١ ٧٣٧ ، الحلة ٢: ٩٣

(٤٥)

التخريج : الحلة ٢ : ٩٦ ، المغرب ٢ : ٢٠٠

٢) في الحلة (ثم اظلم عن قرب)

(٤٦)

التخريج : الحلة ٢: ٩٦

(٤٧)

التخريج : لعل لهذه المقطوعة علاقة بالمقطوعة رقم (٤٥) وقد تكونان مقطوعة واحدة ولكن اختلف في دراستها . وهي بهذه الرواية في : المطمح ٢٢٤ ، ١ : ٥٦٨

(٤٨)

التخريج : الحلة ٢: ٩٥

(٤٩)

التخريج : الحلة ٢ : ٩٦

(٥٠)

التخريج : القلائد ١ :٥٧٠

(٥١)

التخريج : الابيات في المغرب ٢: ٢٠٠ ،

النفح ٣: ٣٦٩

٣) في النفح (وفمي يشتاق كأسي في يدي)

(٥٢)

التخريج : مطمح ٢٢٣ ، قلائد : ٥٦٨ ، ذخيرة ق١ م٢ : ٧٣٧ ، الحلة ٢: ٩٣

(٥٣)

التخريج : ١: ٥٧٠

(٥٤)

التخريج : مطمح ٢٢٣، قلائد ١ :٥٦٨ ، ذخيرة ق١ م٢ ٧٣٧

(٥٥)

التخريج : الحلة ٢: ٩٥

(٥٦)

التخريج : مطمح ٢٢٥ ، ذخيرة ق١ م٢ ٧٣٨

(٥٧)

التخريج : مطمح ٢٢٤ ، قلائد ١: ٥٦٨ ذخيرة ق١ م٢ ٧٣٧ ، الحلة ٢: ٩٤

(٥٨)

التخريج : القلائد ١: ٥٧٠

(٥٩)

التخريج : نفح : ٣: ٣٧٠

(٦٠)

التخريج : الحلة ٢: ٩٣

(٦١)

التخريج الحلة ٢: ٩٣

(٦٢)

التخريج : الحلة ٢: ٩٤

(٦٣)

التخريج : الذخيرة ق١ م٢ :٧٣٩

(٦٤) .

نسب صاحب الحلة ٢: ٩١ ونفح ٣: ٣٦٩ هذين البيتين لاخيه غز الدولة وهي منسوبة له في الذخيرة ق١ م٢ ٧٣٨. وقد اخذنا بذلك لقرب مؤلف الذخيرة من عصر الشاعر

(٦٥)

التخريج : الحلة ٢: ٩٤

(٦٦)

التخريج : الابيات في المطمح ٢٢٤ ، القلائد ١: ٥٦٩ ، الذخيرة ق١ م٢ ٧٣٨ ، الحلة ٢: ٩٤

١) في القلائد (حبيبي ان ينأى)

وفي الحلة (حبيبي اذ ينأى)

٢) في الذخيرة (ويهدأ مابين الضلوع)

(٦٧)

التخريج : الذخيرة ق١ م٢ : ٧٣٨ (٦٨)

(٦٨)

التخريج: الحلة ٢: ٩٤

❁ أبو يحيى محمد بن معن بن صمادح (المعتصم بالله) عميد بن صمادح تولى حكم المرية عقب وفاة أبيه ، وكانت بينه وبين ملوك الطوائف فتن مبيرة . وكان المعتصم راجح العقل مأمون الجانب يعقد المجالس بقصره للمذاكرة. وكان يقصره كبار شعراء العصر كأبن الحداد وعبادة القزاز والاسعد بن بليطة ، داهمته جيوش المرابطين وهو مريض بقصره وتوفي في شهر ربيع الاخر سنة ٤٨٤ هـ. له شعر جميل ذكرت المصادر قسما منه ترجمته في : القلائد ١: ١٤٦ ، الذخيرة ق١ م٢ : ٧٢٩ ، الحلة ٢: ٨٤ البيتان في المغرب ٣: ١٦٧ ، وفيات الاعيان ٥: ٣٩ ، المعجب ١٦٩

(٦٩)

التخريج : المطرب ٣٦ الخريدة ٨٩

٢) في المطرب (وللبهار على أفنانه)

(٧٠)

التخريج : الابيات القلائد ١: ١٥٢ ، الذخيرة ق١ م٢ ٤٠٣ ، المطرب ١٧٣، الخريدة ٨٣ الحلة ٢: ٢٨٤ ، المغرب ٢: ١٩٧ ، الوفيات ٥: ٤٠

٢) في الوفيات : بواديه الاساعني)

٣) في الوفيات : (ولا صرت أرجوه لدفع ملمة)

وفي المطرب والخريدة (أحدى النوائب)

(٧١)

التخريج:البيت في القلائد ١ : ١٥١ ، الذخيرة ق١م٢ ٧٣٦ ، الحلة ٢ : ٨٥ ، المغرب ٢ : ١٩٧، الخريدة ٨٧ ، النفح ١ : ٦٦٦ .

(٧٢)

التخريج:الابيات في المغرب ٢ : ١٩٦

(٧٣)

التخريج:الابيات في القلائد ١: ١٥٥، الذخيرة ق٢م١ ٤٠٢ ، الخريدة ٨٧ ، المورد ٢ : ١٩٨!

١) في الخريدة : (اصل المساء مع الصباح)

٢) في الخريدة : (عند التكلم بالسراح)

(٧٤)

التخريج:الابيات في القلائد ١: ١٥٠ ،الذخيرة ق١م٢ ٧٣٦ ، المطرب ٣٧ ، المغرب ٢ : ١٩٧

١) في المطرب (عليك وهذي للصباح برود)

(٧٥)

التخريج المطرب ٣٦ ، الخريدة ٨٥ (٧٦)

التخريج:البيتان في الحلة ٢: ٨٤ والبيت الاول في القلائد ١: ١٥٦ ، والخريدة ٨٨

(٧٧)

التخريج:الابيات في الخريدة ٨٨

٣) النقاط فراغ في الاصل

(٧٨)

التخريج الحلة ٢: ٨٧

(٧٩)

التخريج الخريدة ٨٨

(٨٠)

التخريج:مطمح ٤٠٤ ، الحلة ٢: ٨٩

(٨١)

التخريج:الذخيرة ق١م٢ ٧٣٥

(٨٢)

التخريج:المغرب ٢: ١٩٦

(٨٣)

التخريج:القلائد ١: ١٤٧ ، المغرب ٢: ١٩٦ الخريدة ٨٦ ، وفيات الاعيان ٥: ٤٤

(٨٤)

التخريج : الخريدة : ٨٩

(٨٥)

التخريج : القلائد ١: ٩٥٠ الذخيرة ق١ م٢ ٧٣٦ ، الحلة ٢: ٨٤ ، الخريدة

(٨٧)

٢) في الذخيرة (كي اعزيه)

(٨٦)

التخريج : المطرب ٣٥، الخريدة :٨٨

١) في المطرب (سامنه غير الدنو)

۞أم الكرام بنت المعتصم

لم تزد مصادر ترجمتها عن القول بأنها كانت شاعرة مجيدة وانها تعشقت فتى يقال له (السمار) وانها عملت فيـــه الموشحات الا ان ذلك لم يرق لاهلها ينظر في ترجمتها:

المغرب ٢ : ٢٠٢ ، النفح ٢: ٥٣٨

(٨٧)

التخريج: المغرب ٢: ٢٠٢ ، نفح ٤: ١٧٠

(٨٨)

التخريج : المغرب ٢: ٢٠٣

۞ بنو عباد: القاضي أبو القاسم محمد بن اسماعيل بن عباد يرجع نسب بنى عباد الى قبيلة لخم العربية ويقال انهم من ولـد النعمان بن المنذر ابن ماء الســماء وبذلـك كـانوا يفخـرون ويمدحون وقد حكموا في اشبيلية تولى أبو القاسم الحكم بعد وفاة ابيه وكان رجلا حازما فذا قاسيا ساس الامور بحزم وتولى أمر من ناصبه العداء وقضى عليهم حتى غدا أقوى حاكم من بيـن الحكام الاندلسيين في وقته توفي سنة ٤٣٣ هـ له في المصادر شعر ينم عن مقدرة أدبية جميلة تنظر ترجمته في :

الذخيرة ق١ م٢ ١٤ ، الحلة ٢: ٣٨

(٨٩)

التخريج : البيتان في الحلة ٢: ٣٨

(٩٠)

التخريج : البيتان في المطمح ١٧٢، الحلة ٢: ٣٩

البيت في الحلة :

يا حسن منظر ذا النيلوفر الارج

وحسن مخبره من الفوح والارج

وهو مختل عروضيا

(٩١)

التخريج: الابيات في الحلة ٢: ٣٩

(٩٢)

التخريج : الابيات في الحلة ٢: ٣٨

(٩٣)

التخريج : الابيات في الحلة ٢: ٣٨

(٩٤)

التخريج : الابيات في الحلة ٢: ٣٩

(٩٥)

التخريج : الابيات في الحلة ٢: ٣٩

۞الراضي بالله (ابو خالد يزيد بن محمد المعتمد)

هو ابن المعتمد من زوجته اعتماد الرميكية ، كان شاعر بنـي عباد بعد أبيه وجده على أنه أقوى سبكا واسلوبا من جده على وجه التحديد كان الراضي عالي الهمة ولوعا بالعلوم الشرعية والطبيعية والتاريخية. وقد ولاه ابوه حكـم بعض الاطـراف التابعة لهم. كما سيره على رأس بعـض الجيـوش ، لكنـه تعرض لعدة اخفاقات عسكرية انتجت لنا مســاجلات شـعرية اعتذارية جرت بينه وبين أبيه. قتله المرابطون أثـر سـقوط دولة أبيه وذلك سنة ٤٨٤هـ . ينظر فـي ترجمتـه : قلائـد العقيان ١: ١١٠ ، الحلة ٢ : ٧١، الخريدة :٥: ٤٥ ، النفـح ٤: ٢٥٤

(٩٦)

التخريج : الابيات في الحلة ٢: ٧٤، البيتـان (١، ٢) فـي الخريدة ٤٧

(٩٧)

التخريج : المقطوعة في الحلة ٢: ٧٣

(٩٨)

التخريج : البيتان في القلائد ١: ١١٤ ، الحلة ٢: ٧١ المطرب : ٣٧ والابيات عدا (٢) في النفح ٣: ١٩٤ والخريدة : ٤٦

(٩٩)

التخريج : الابيات في الخريدة ٤٣

(١٠٠)

التخريج : الابيات في الحلة ٢: ٧٢ والابيات عدا(٣) في القلائد ١: ١١٥ ، والنفح ٤: ٢٥٣ والبيت (٤) فقط الخريدة : ٤٤

(١٠١)

التخريج : القصيدة في القلائد ١: ١١٦ وهي في النفح ٤: ٢٥٤ عدا(١٠) والابيات(١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢٥، ٢٦) في الحلة ٢: ٧٥ والابيات (١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٢٥) في الخريدة : ٤٥

١) في الحلة ((مولاي قد أصبحت هاجر

لجميع ماتحوي الدفاتر)

١٩) في الحلة ((قولة ضارع لاقول فاجر))

(١٠٢)

التخريج : المقطوعة في الخريدة : ٤٧

(١٠٣)

التخريج : الابيات في الخريدة :

(١٠٤)

التخريج : القصيدة في الحلة ٢: ٧٢ ، والابيات (١، ٢، ٧) في القلائد ١: ١١١ والنفح ٤: ٢٥٤ ،

(١٠٥)

التخريج : القصيدة في الحلة ٢: ٧٣، والابيات (١، ٧، ١١) في الخريدة ٤٦)

١١) في الخريدة ((لعمري لقد كنت الجدير بر أفة))

(١٠٦)

التخريج: القصيدة في النفح ١: ٦٦٢ عدا(٨) وكذلك في القلائد ١: ١١٣ ، وفي الخريدة : ٤٤ عدا (٥، ٧) مع تقديم وتأخير

٩) في النفح : فمثلك وهو الذي لم نجده

عاد بحلم على من جهل

(١٠٧)

التخريج : القصيدة عدا (٨) في الحلة ٢: ٧٤ ، والابيات (١، ٦، ٧) في الخريدة : ٤٣

٦) في الخريدة (نفجّع منها بغير اللذيذ)

٧) في الخريدة (ويزداد مع ذلك عشقا لها)

۞الرشيد : أبو الحسين عبد الله ابن محمد المعتمد

هو أكبر ابناء المعتمد، كان دمثا رقيق الطبع اهتم بدراسة العلوم الرياضية وأهتم بالشعر ومطالعته ونظمه ، وتبرك لنا شعرا ينم عن قدرة جيلة ولي ذبيه كما ولي القضاء (باشبيلية)، فكان الفقهاء والاعيان وأهل العلم يحضرون مجلسه. اسر مع أفراد عائلته بعد سقوط دولة ابيه وأسكن في احدى قلاع المغرب الى ان توفي اسيرا سنة ٥٣٠ هـ وهو في السبعين من عمره ينظر في ترجمته : الحلة ٢: ٦٨ ، الخريدة :٤٧ : النفح ٣ : ٦١٢

(١٠٨)

التخريج : المقطوعة في الحلة ٢: ٦٩

(١٠٩) ٤٧

التخريج : المقطوعة في الخريدة : ٤٧

(١١٠)

التخريج : المقطوعة في الحلة ٢: ٦٩

(١١١)

التخريج : المقطوعة في الحلة ٢ :٦٨

(١١٢)

التخريج : الابيات في الحلة ٢. ٦٩ والنفح ٣: ٦١٢

۞۞ فخر الدولة : ابو المكارم حكم بن المعتمد

بعد سقوط دولة ابيه ... فخر الدولة في قطر المغرب، واعتاش من كتابة الوثائق في مدينة فاس حيث استقر فيها الى ان توفي تشير المصادر الى انه نشأ خاملا ميالا

للهجاء فتحومي لسانه ترجمته في الحلة ٢: ٧٦

(١١٣)

التخريج : القصيدة في الحلة ٢: ٧٧

۞ شرف الدولة أبو بكر يحيى بن المعتمد

دفعه ابوه المعتمد ليأخذ العلم من فقيه الاندلس انذاك ابن وهيب الا انه نشأ خامل الذكاء واثر سقوط دولتهم ساح في بلدان المغرب واستقر بمراكش يكتب الوثائق الى ان توفي هناك

ترجمته في الحلة ٢: ٧٦

(١١٤)

التخريج :المقطوعة في الحلة ٢: ٧٦

۞ بثينة بنت المعتمد

سبيت مع من سبي من أفراد عائلتها اثر سقوط دولة ابيها وغابت اخبارها عن والديها ، وكان أحد تجار (اشبيلية) قد اشتراها على انها جارية ووهبها لابنه فلما أراد الدخول عليها امتنعت واظهر نسبها وقالت له:

لا أحل لك الا بعقد النكاح ان رضي ابي بذلك واشارت عليه بتوجيه رسالة من قبلها لابيها وانتظرت جوابه فكانت رسالتها عبارة عن قصيدة إطمأن لها ابوها واسرهما بالقبول تنظر ترجمتها النفح ٤: ٢٨٤

(١١٥)

التخريج القصيدة في النفح ٤: ٢٨٤

بنو هود

۞ المقتدر ((احمد بن سليمان بن هود))

حكم في سرقسطة بعد وفاة ابيه المستعين. وكان بلاطه من احكم ما شهدته أيام الطوائف . اهتم بالعلوم والاداب والفلسفة ، كان سخيا مع الشعراء فأمه عدد كبير منهم ويبدو من الشعر القليل الذي وصل الينا منه انه كان ذا شاعرية جميلة قال عنه إبن سعيد ((عميد بني هود وعظيمهم ورئيسهم وكريمهم ذو الغزوات المشهورة والوقائع المذكورة)) توفي سنة ٤٧٤ هـ

وترجمته في المغرب ٢: ٤٣٦ ، البيان المغرب ٣: ٢٨٠ ، نفح الطيب ٣: ٥٦٢

(١١٦)

التخريج : الابيات في النفح ٣: ٥٦٢

(١١٧)

التخريج : البيتان في المغرب ٢: ٤٣٥

(١١٨)

التخريج: البيتان في المغرب ٢: ٤٣٧

(١١٩)

التخريج : البتان في النفح ٣: ٥٦١

(١٢٠)

التخريج : القصيدة في النفح ٣: ٥٦٢

۞أبو محمد بن هود وهو من نجباء بني هو الذين تفرقوا في دول الطوائف بعد ان اضطربت العلاقة بينه وبين اهله . وقد اتصل بالمتوكل ابن الافطس حاكم بطليوس ومدحه. لم يصل الينا منه سوى شعر قليل.

ينظر في ترجمته : الذخيرة ق٢ م٢ : ٨٠٥ ، الحلة ٢: ١٦٥ ، المغرب ٢: ٤٣٥

(١٢١)

التخريج : الابيات في الذخيرة : ق٢ م١ ٨٠٣ والحلة ٢: ١٦٤ في الدلة (مجملا فغنيت)

(١٢٢)

التخريج : الابيات في الذخيرة ق٢ م٢ : ٨٠٥ ،

(١٢٣)

التخريج : الابيات في المغرب ٢ : ٤٣٥

(١٢٤)

التخريج. الابيات في الحلة ٢: ١٦٥ ، في المغرب عدا (٤) ٢: ٤٣٥

(١٢٥)

التخريج : الابيات في الذخير ق٢ م٢ :٨٠٤ ، الحلة ٢: ١٦٦

(١٢٦)

التخريج . البيتان في الذخيرة ق٢ م٢ ٨٠٤ والحلة ٢: ١٦٦

المصادر والمراجع

١- اتجاهات شعر الغزل في عهد الطوائف . انقاذ عطاالله ، رسالة ماجستير مكتوبة بالآلة الطابعة.جامعة بغداد -كلية الآداب ١٩٨٦

٢-الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ ه) .تحقيق محمد عبد الله عنان مصر.دار المعارف

٣-أعمال الأعلام : لسان الدين بن الخطيب. تحقيق ليفي بروفنسال .بيروت.دار المكشوف ط٢ ، ١٩٥٦

٤-البيان المغرب :أبن عذارى المراكشي تحقيق كولان وبروفنسال بيروت :دار الثقافة .

٥-تاريخ الأدب الأندلسي-عصر الطوائف والمرابطين . الدكتور إحسان عباس .بيروت دار الثقافة ط١، ١٩٦٢ .

٦-الحلة السيراء :ابن الأبار القضاعي(ت ٦٥٨هـ) تحقيق الدكتور حسين مؤنس . مصر ط١ ١٩٦٣

٧-حلية الأولياء وطبقات الأصفياء :أبو نعيم الاصبهاني (ت ٤٣٠ ه) القاهرة مطبعة السعادة ١٩٦٧.

٨-خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء الأندلس والمغرب) العماد الأصبهاني . تحقيق آذرتاش آذرنوش وآخرون.تونس الدار التونسية للنشر ١٩٧١

٩- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : علي بن بسام الشنتريني(ت ٥٤٢ ه) تحقيق الدكتور إحسان عباس. بيروت. دار الثقافة ١٩٧٥

١٠- رايات المبرزين وغايات المميزين: ابن سعيد الأندلسي. تحقيق الدكتور النعمان عبد المتعال القاضي .لجنة إحياء التراث الإسلامي. القاهرة ١٩٧٣

١١- الشعر في ظل بني عباد :الدكتور محمد مجيد السعيد. النجف الاشرف ، مطبعة النعمان ط١ ١٩٧٢

١٢- قلائد العقيان ومحاسن الأعيان: الفتح بن خاقان الاشبيلي (ت ٥٢٩ ه) تحقيق الدكتور حسين يوسف خريوش. الأردن . مكتبة المنار ط١ ١٩٨٩

١٣- المطرب في أشعار أهل المغرب ابن دحية الكلبي ت ٦٣٣. تحقيق مصطفى عوض الكريم. الخرطوم ط١ ١٩٥٤

١٤- مطمح الأنفس ومسرح التأنس : الفتح بن خاقان.تحقيق محمد علي شوابكة. بيروت ط١ ١٩٨٢

١٥-المعجب في تلخيص أخبار المغرب :عبد الواحد المراكشي ت ٦٤٧ هـ تحقيق محمد سعيد العريان لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ١٩٦٣

١٦-معجم الأمثال:الميداني.تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. القاهرة ط٢ ١٩٥٩

١٧- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب.المقري التلمساني .تحقيق الدكتور إحسان عباس .بيروت. دار صادر ١٩٦٨

١٨- وفيات الأعيان:ابن خلكان.تحقيق الدكتور إحسان عباس.بيروت. دار صادر ١٩٧٢

إصدارات المجمع العلمي العراقي

* الزمخشري اللغوي وكتابه الفائق - الاستاذ الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي .

تناول المؤلف في كتابه الزمخشري (الرجل) بشكل مختصر موجز ، وذلك لان الزمخشري سبق ان درس بما يعطي صورة كاملة عن شخصيته وعلميته . ثم تناول المؤلف الفاضل كتاب (الفائق) ليقف على أهم المعارف والفنون التي تناولها المؤلف بالبحث ، وقد تركز البحث على الاهتمام بجانبين هما : الظواهر المنهجية ، والظواهر العلمية . الكتاب (١٩٨) ص . مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م .

* فاعول صيغة عربية صحيحة (دراسة ومعجم) - الدكتور عبد الله الجبوري .

درس المؤلف صيغة (فاعول) في العربية ، ليخلص الى ان هذه الصيغة عربية صحيحة ، بعد ان قدم ادلة تنهض الى تأييد ما ذهب اليه . وقد أتبع المؤلف عن معجمه الصيغ الملحقة بـ (فاعول) امثال : (فاعولة) و (فاعولاء) ونحوهما ، إلا لإيضاح مبهم او لتمثيل . وقد استطاع المؤلف بفضل معجمه هذا ان يرد ما ورد من هذه الصيغة في اللغات الاخرى الى الاصل الجزري المشترك . الكتاب ٢٠٨ ص ، مطبعة المجمع العلمي ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .

* مخطط بغداد في معجم البلدان لياقوت الحموي (تحقيق ودراسة) - الدكتور موفق سالم نوري .

ان ما كتبه ياقوت عن بغداد جدير بالاهتمام الحقيقي لانه لم يورد ما اثبتت به المصادر فقط ، بل ذكر معلوماته الخاصة عنها بفضل اقامته الطويلة فيها ، وبذا كون نصاً جديداً عن بغداد ومخططها في أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع الهجري .

الكتاب (١٩٨ ص) / ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م ، مطبعة المجمع العلمي

* مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة - الدكتور نعمة رحيم العزاوي

يقع الكتاب في قسمين ، تناول المؤلف في القسم الاول : مفاهيم ومصطلحات تعد توطئة لدراسة مناهج البحث اللغوي ، وتناول في القسم الثاني : مناهج البحث اللغوي ، فخصص لكل منها فصلاً توخى فيه الاحاطة بالجانبين النظري ، والتطبيقي للمنهج ، متلمساً جذوره في التراث اللغوي العربي . (الكتاب ١٤٢ ص) . مطبعة المجمع العلمي ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م .

* مجلة المجمع العلمي :

صدر الجزء الاول المجلد الثامن والاربعون من (مجلة المجمع العلمي) . وقد تضمن هذا الجزء محوراً عن (التاريخ الاسلامي) اسهم فيه : د . عبد اللطيف البدري (التعليم الطبي في الاسلام) ، و د . فاضل خليل ابراهيم (تدريس التاريخ في العراق) ، و د . محمد عبد الله عويضة (منهج التعامل مع السيرة النبوية) ، و د . عبد الواحد ذنون طه (تاريخ المغرب والاندلس : مدخل لدراسة نقدية جديدة) و د . عصمت برهان الدين (تقلقل الماسونية في الدولة العثمانية) .

كما تضمن هذا الجزء دراسة تحليلية عن وصايا السيد الرئيس القائد (حفظه الله) اعدتها دائرة العلوم الانسانية ، اضافة الى بحوث اخرى ، والتقرير الختامي لعام ٢٠٠٠ م .

كما صدر الجزء الثاني الذي ضم بحوثاً ودراسات ، منها : النحت في اللغة العربية ، د . احمد مطلوب ، والمراسيم الملكية من مصادر القوانين التشريعية في العراق القديم ، د . عامر سليمان اضافة الى محور العلوم الصرفة والتطبيقية الذي ضم دراسات عن دور الجامعات في التنمية العلمية والتكنولوجية د . فائق حسن جريو . واستثمار العلم والثقافة في التنمية الشاملة د . رياض حامد الدباغ ، وتطبيقات واساسيات في الاستشعار الضوئي والاشعاعي في التحاليل الهورمونية د . مصطفى المهدي المظفر ، والحاسوب الضوئي د . نبيل عبد الرزاق ، والمواد الصلبة واقعها وآفاقها المستقبلية د . صفوان السامرائي و د . عبد الله ابراهيم .

* لغة الضاد (الجزء الرابع) دائرة علوم اللغة العربية . تضمن هذا الجزء النشاط الثقافي الذي قدمته الدائرة خلال السنة المنصرمة . وهذا الجزء ثلاثة اقسام ، وهي : ندوة تدريس اللغة العربية ، كانت جلستها الاولى في طرائق تدريس اللغة العربية ،

أما الثانية فكانت في قضايا لغوية ونحوية عامة تتصل بالتعبير اللغوي، ومشكلات النحو والصرف.

وضم القسم الثاني محاضرتين، الاولى بعنوان (الشعر والمسرح) والثانية (شهادات القصاصين في تجاربهم وواقع التعبير. في حين تناول القسم الثالث (الشهادة في الاسلام) من خلال بحوث تناولت الشهادة وفضلها، ومكانة الشهيد في الاسلام.

● اوراق مجمعية

صدر العدد الاول من أوراق مجمعية (في كانون الثاني/ ٢٠٠١) وقد حفل العدد بمواد ثقافية عن الشيخ عبد الكريم المدرس والاحياء المجهرية والبيئية والقضية الفلسطينية ومعنى السنة والعام وجديد المجمع العلمي

في حين ضم العدد الثاني الصادر في شباط ٢٠٠١ مواد ثقافية ودراسات منها عن واحد من اعلام الفكر هو الدكتور شوقي ضيف والكتابة المسمارية اصل التسمية وتاصيل اسماء الانهار الرئيسة في العراق، واصدار مكتبة التاريخ والحضارة الاسلامية على الاقراص المكتنزة

وكان العدد الثالث الصادر في آذار ٢٠٠١ متضمناً مواد مختلفة عن الدكتور احمد سوسة والكتابة من وجهة نظر العراقيين القدماء، والتصوير المجسم والواح الخط المسماري وغير ذلك

وقد تضمن العدد الرابع من اوراق مجمعية الصادر في نيسان ٢٠٠١ مواد متعددة عن: نيسان الفكرة والامل، وابو الثناء الآلوسي ونخلة التمر في التراث والتطورات الحديثة في علم الاجنة ومعنى الهامّ وجديد المجمع العلمي وغيرها

وكان العدد الخامس من اوراق مجمعية الصادر في آيار ٢٠٠١ قد حوى موضوعات مختلفة منها: في ذكرى ثورة مايس وعن الدكتور جواد علي والتاريخ واهمية التاريخ وانسان اليوم والغذاء ومعنى الواسطة وجديد المجمع العلمي.

وحوى العدد السادس من أوراق مجمعية (صدر في حزيران ٢٠٠١) موضوعات متنوعة منها: غزو العراق بين المغول والولايات المتحدة وعبد الغني جميل وفلسطين في قلوبنا دائماً والتنوع الحيوي ومعنى التشويش وجديد المجمع العلمي.

واخيرا حفل العدد السابع من اوراق مجمعية (صدر في تموز ٢٠٠١) مواد متنوعة منها: تموز الخير والعطاء واحمد ناجي القيسي علماً من اعلام العراق والقباب: نظرة فيزيائية هندسية والانسولين وداء السكري ومعنى الآتاري

هذا الى جانب اصدار كتيب عن اصدارات المجمع العلمي بين السنوات (١٩٥٠ - ٢٠٠٠ م) وهي الكتب المؤلفة وتتضمن ١٨٨ عنواناً، والكتب التي ساعد المجمع على طبعها وتتضمن ٩٨ عنوانا ومجلة المجمع العلمي وتضمنت ٩٠ مجلداً، ومجلة هيئة اللغة الكردية وفيها ٢٦ مجلدا، ومجلة هيئة اللغة السريانية وفيها ١٨ جزءا واوراق مجمعية ومنها ٣٢ عددا.

الطريق الى القدس

المركز الثقافي - ابو ظبي

محمد رجب السامرائي

للقدس عند المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها مكانة متميزة، كونها أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين. وقضية القدس الشريف ذات أبعاد متعددة، منها الروحية والتاريخية والسياسية والدينية والمعمارية والفنية والعلمية.

وفي هذا الكتاب (الطريق الى القدس) محاولة لتحليل موقع المدينة المقدسة في المنظومة الجغرافية الإسلامية منذ بدء اللحظة النبوية وحتى نهاية الدولة العثمانية في القرن الماضي.

يقع الكتاب لمؤلفيه: شمس الدين الكيلاني ومحمد جمال باروت في عشرة فصول، وعدد صفحاته (٣٩٤) صفحة من القطع المتوسط، أصدره المجمع الثقافي في أبو ظبي وقدم له محمد السويدي أمين عام المجمع الثقافي.

مركز العالم

كُرس الفصل الاول لبيان مفهوم الجغرافية المقدسة التي تمثل ركناً أساسياً في الفكر الرمزي الديني، إذ إنّ جميع الاديان والثقافات اشتركت في تقديس المكان وتعيين مرجعية مقدسة فيه، وهو (أي المكان المقدس) يضع المؤمن في مركز العالم، لأنه يمثل نموذجاً سماوياً. وأشار الباحثان إلى احتلال الجغرافية المقدسة بمحوريها التركيبي الافقي والتوارد العمودي مرتبة أولى في القداسة، إذ تمثل نصّاً من نوع متميّز يقوم على علائق حضور هي الجغرافية الحسيّة نفسها، وعلاقات غياب تتمثل بالوضعية الجغرافية والميتافيزيقية التي تتجاوزها وتعطيها مضموناً يتخطى وضعيتها الحسية الجغرافية المحددة إلى وضعية مقدسة.

وأفرد الباحثان الفصل الثاني للحديث عن الحقبة النبوية، وتوزعت الدراسة فيه على ثلاثة موضوعات، الاول وحدة الاصل الإبراهيمي، أشارا فيه إلى وحدة الجغرافية الإسلامية المقدسة التي تتألف من أطراف ثلاثة متدرجة في القداسة إلا أنها متكاملة ومترابطة وهي: مكة (البيت الحرام) والمدينة (المسجد النبوي)، والقدس (المسجد الاقصى والصخرة المشرفة)، وأنّ ترابط الاطراف الثلاثة ووحدتها يقوم على رؤية الإسلام التوحيدية للاصل الإبراهيمي الواحد الذي ترجع إليه الاديان السماوية اليهودية، والمسيحية، والاسلام. والموضوع الثاني: هو مظاهر المنظومة، أشار الباحثان فيه إلى القدم الإلهي بمعنى أنّ قدسيتها (القدس) سابقة لاي بناء شُيد عليها، لأنّ الحجر الاسود والمسجد الاقصى في الرؤية الإسلامية من السماء، وقد ربطتهما رمزية الاسراء والمعراج مع السماء بعرى روحية تامة. وفي هذا الصدد أيضاً أشار الباحثان إلى تبادل موقع القبلة بين مكة

والقدس، وهذا التبادل نعبير عما يوحدهما، ويعد من أبرز مظاهر وحدة القداسة الإسلامية التي تربط مكة مع القدس. أما الموضوع الثالث في هذا الفصل فكان حول موقع القدس في الرؤية الإسلامية لنهاية العالم، وقد ذكر المؤلفان شواهد قرآنية وأحاديث نبوية في هذا الشان. وخُتم الفصل الثاني بحديث الاسراء والمعراج بين الرمزية والمادية.

وتناول الباحثان في الفصل الثالث الفتح العمري ـ نسبة الى الخليفة عمر بن الخطاب ـ أشارا فيه إلى أن الفتح العربي الإسلامي للقدس عام ١٧ هـ ـ الموافق عام ٦٣٨ م. لم يكن خارج الرؤية النبوية نفسها التي رسخت القدس كجزءلا يتجزأ من أطراف المنظومة الجغرافية الإسلامية الثلاثة المقدسة، وأن وصول المسلمين إلى القدس هو نوع من عودتهم إلى أصلهم المؤسس بمعنى العودة إلى مدينة آبائهم في العقيدة ليشكلوا وجوداً أرضياً في قلب تلك الموروثات القديمة المقدسة. وكان الفصل الرابع دراسة عن قبة الصخرة (أبهة المقدس) ودلالاتها الرمزية. وقد ذكر الباحثان في هذا الشان أنها امتازت بتصميمها الفريد في تاريخ العمارة الإسلامية لأنها مزجت بين جمال الهندسة المعمارية والذوق العربي، وتوسعت في الحديث عن تفاصيل القبة وطرز بنائها وزينتها.

وكرس الباحثان الفصل الخامس للحديث عن مكانة القدس في المخزون الرمزي الإسلامي في العصر العباسي، وأشاروا إلى أن خلفاء بني العباس قد أولوا بيت المقدس اهتمامهم باعتباره مركزاً دينياً مُبجلًا عند المسلمين كافة، فقد زار أبو جعفر المنصور بيت المقدس مرتين ونقش المأمون أسمه في القدس.

وخصص مؤلفا الكتاب الفصل السادس لدراسة المرحلة الفاطمية والمرحلة السلجوقية منذ وفاة كافور الإخشيدي عام ٣٥٧ هـ، ومهاجمة القائد الفاطمي جوهر الصقلي مصر واستقرار رأي الوزير العباسي ابن الفرات في بغداد على التصالح معه. وكان الفصل السابع دراسة للقدس في عهد الفرنج، ابتدأه المؤلفان بالحديث عن الانقسام الإسلامي في تلك الوقت. وأشارا الى محاولة الإبادة الثقافية للمقدسات الإسلامية، والضغط الشعبي الاسلامي لاستعادة القدس.

الفتح الصلاحي

وعقد المؤلفان الفصل الثامن لدراسة الفتح الصلاحي، وقد تناولا فيه موضوعات عدة منها: القدس أولًا، وعظمة القدس تحمي الافرنج، وفتح القدس يكتسب رؤية قدسية، واعادة بناء القدس الإسلامية كمدينة سلام للديانات الثلاث.

وعقد المؤلفان الفصل التاسع من كتابيهما للقدس المملوكية أشارا فيه إلى الإهتمام المملوكي بعمارة القدس، وتوسع المماليك ببناء المدارس التنكزية والمدرسة الاشرفية، وبيان الزوايا ودلالاتها عندهم.

ـ الاخير: العثمانية

أما القدس العثمانية (١٥١٥ ـ ١٩١٧ م) فهو عنوان الفصل الأخير (العاشر) الذي بدأ بتوطئة تاريخية للموضوع أشار الباحثان فيه الى مكانة القدس عند السلطان سليم الاول وسليمان القانوني، ثم تحول خدمة القدس الى تقليد عثماني وابراز طبقة موظفي القدس، وخُتم الفصل والكتاب بنبوءة يوسف الحكيم (صُلح الكل) يتصدّع.

مطبوعات وردت المجلة

● أخبار التراث العربي (القاهرة) ع ٨٧، مج ٨ (١٤٢١ ـ ٢٠٠٠) ٣٩ ص وقد اشتمل على ما يتصل بمعهد المخطوطات العربية وجهوده ومنشوراته وأخبار الجامعات والمؤسسات الثقافية والندوات الفكرية. وتضمن شيئاً من نشاطات مجمع اللغة العربية (القاهرة) ودورته (٦٦) وأخبار المحققين والباحثين والرسائل الجامعية المجازة وما نشر من كتب التراث حديثاً.

● أخبار التراث العربي (القاهرة) ع ٨٨، مج ٨ (١٤٢١ ـ ٢٠٠٠) ٣٨ ص وقد تضمن شيئاً من أخبار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومعهد المخطوطات العربية ودعوته لاقامة ندوة عن المرحوم العلامة الشيخ حمد الجاسر، وموجزاً بندوة التراث العربي المخطوط في فلسطين وما صدر من فهارس وأخبار الجامعات والمؤسسات الفكرية والمطبوعات التراثية في الوطن العربي وخارجه وأخبار المحققين والباحثين والرسائل الجامعية المجازة.

● دراسات تاريخية «دمشق» ع ٦٩ ـ ٧٠، س ٢٠ (٠٠٠ ـ ١٩٩٩) مجلة علمية فصلية محكمة تصدر عن لجنة كتابة تاريخ العرب في جامعة دمشق وقد احتجن العدد بحوثاً تاريخية رصينة لباحثين أفاضل منها: الصراع على اشبيلية بين الفونسو السادس ويوسف بن تاشفين (٤٠٤ ـ ٤٨٤، ١٠١٣ ـ ١٠١١) بقلم د: فارس بوتر، الدولة والحضارة عند ابن خلدون بقلم د: منيرة محمد، وغيرها من البحوث.

● المجلة الثقافية (الاردن) ع ٥١ (١٤٢١ ـ ٢٠٠٠) مجلة ثقافية فصلية تصدر عن الجامعة الاردنية وقد اشتملت على بحوث منها: لغتنا والحياة بقلم د: محمد بركات أبو علي، الكرم ودواعيه في الشعر الجاهلي: عبد الغني زيتوني، هل تأثر دانتي بأبي العلاء المعري؟ بقلم عبد المطلب صالح، النقد الاجتماعي في شعر يحيى بن الحكم الغزال ـ د. خالد لفته باقر، حركة الترجمة من الالمانية الى العربية د. عبده عبود وغير ذلك من البحوث والدراسات الادبية والعلمية.